

الجزء الثاني

عقيد

عبد العزيز البِتشْتي

المكتب المصري الحديث

الثعـــابين



الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

البتشتي، عبدالعزيز
الثعابين/ عبدالعزيز البتشتي
القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ٢٠٠٨م
مج ٢ ، ٢٤ سم
تدمك : ٩٧٧٢٠٩١٧١٢
ا. الثعابين
أ. العنوان ٥٩٧ / ٩٦

المكتب المصري الحديث
www. almaktabalmasry. com
info@almaktabalmasry. com

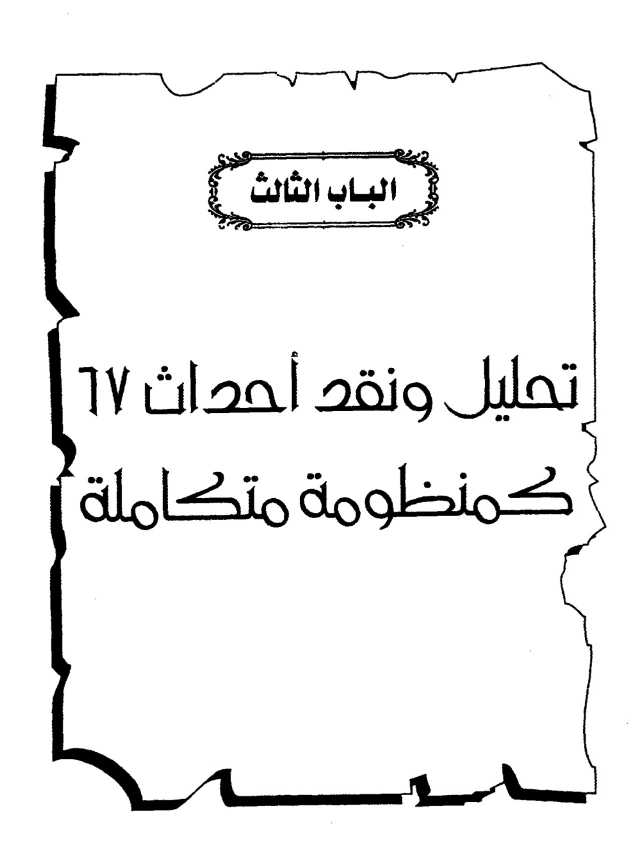
القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٢٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

الثعـابين

الجـزء الثانى

عقيـد
عبد العزيز البِتشْتِي

المكتب المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com



الباب الثالث

تحليل ونقد أحداث ٦٧ كمنظومة متكاملة

الفصل التاسع

بحث الادعاء السوفيتي
وكيف نرد عليه؟

« المعركة أمريكية
والأداء إسرائيلي »

جنرال ديجول

١ - بحوث استراتيجية عالمية لدراسة أسباب هزيمة مصر في ٦٧:

اهتم عدد كبير من مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية، لكلا المعسكرين (الأمريكي، والسوفيتي) بدراسة حرب ٦٧، وأسباب هزيمة مصر، ويرجع هذا الاهتمام لاعتبار أن هذه الحرب كانت ضمن أحداث الصراع بين المعسكرين، على أنه لا يفوت علينا أن نتائج الدراسات المعلنة من مراكز الدراسات الاستراتيجية للمعسكر الغربي المعادي لنا هي لتضليلنا عن الأسباب الحقيقية للهزيمة، لأن مصلحة العدو ليست إرشادنا إلى أخطائنا لإصلاحها، الأمر الذي يُعطي الأهمية الكبيرة للبحوث التي قام بها المعسكر السوفيتي، باعتبار أن مصر كانت محسوبة ضمن المعسكر السوفيتي استراتيجيا - وليس عقائديًا - وهو ما جعل من هزيمتنا في ٦٧ هزيمة للمعسكر السوفيتي بأكمله، علاوة على الناحية المعنوية لمسئولية السوفيت عن إعداد الجيش المصري وكفاءته القتالية، اعتبارًا من إمداده بالسلاح والعتاد، وتقديم برنامج كامل لأساليب ونظم القتال وهو "النظام القتالي للعقيدة السوفيتية" بالإضافة إلى تقديم برنامج كامل "لأساليب وطرق التدريب القتالي" مع الكم الرهيب من الخبراء السوفيت الذين قاموا بتدريب الجيش، للوصول به إلى مستوى الجيوش الحديثة، الأمر الذي دفع بالقيادة السوفيتية بتكليف خبرائها لتقديم دراسة كاملة عن أسباب الكارثة، إلا أن نتائج هذا البحث لم تنشر على الرأي العام المصري، باستثناء بعض الجمل والمقتطفات، التي نشرها بعض الكُتاب ، والتي انتقوها لتؤيّد وجهة نظرهم الذاتية، أكثر منها تشير إلى مضمون البحث، ولا يزيد مضمون ما كتب عن نتائج الدراسات السوفيتية عن أنها اتهمت كبار القادة المصريين بالخيانة، وطالبونا بمحاكمتهم وإعدامهم رميًا بالرصاص، وعرضت هذه المقتطفات من نتائج البحث السوفيتي بدون الإشارة إلى الأسباب التي استندت عليها، لتكشف لنا بوضوح عن تحيّز هؤلاء الكتاب لانتماءاتهم الأيديولوجية وعن أن هدفهم كان لإثارة الرأي العام المصري ضد الاتهام السوفيتي أكثر منها، محاولة للقيام بالواجب لتحديد السلبيات التي قد يكشفها

البحث، وعلى سبيل المثال ما كتبه محمد حسنين هيكل [1] "عن أن السوفيت أعلنوا وجود خيانات داخل القوات المسلحة المصرية ووجود عملاء للـC.I.A (المخابرات المركزية الأمريكية) وبالتالي إسرائيل، وأن أحدهم الفريق أ. صدقي محمود قائد الطيران، كذلك أن ضباطنا وخاصة كبار القادة من طبقة برجوازية، تعوّدوا على العيشة السهلة، واندفعوا نحو المكاسب المادية، وأنهم لا يؤمنون ولن يؤمنوا يومًا بالاشتراكية، وأنه لكي يصبح لدينا قوات مسلحة حقيقية علينا أن ندفع بالشبان من الفلاحين والعمال إلى المراكز القيادية، وأشاروا إلى أهمية وجود الضابط بين جنوده، يُعلمهم، ويرعى مشاكلهم حتى الشخصية منها، لا يشعرهم أنه من طبقة أعلى منهم".

٢ - هل اتهام السوفيت لكبار قادتنا بالخيانة أمر يستحق الدراسة؟

هل يمكن أن يتطرق لذهن أي مصري - مجرد الشك - في احتمال قيام "جنرالات" الجيش المصري بعمل مشبوه، يُوصف بالخيانة بقصد هزيمة الجيش المصري وتدميره؟!... طالما لا يبدو أن هناك أدنى مبرر لهذه الخيانة، ذلك أن "جنرالات" الجيش كانوا شركاء في حكم مصر، يتمتعون بكافة الامتيازات في الدولة؛ إلا أن اتهام السوفيت الصريح لكبار قادتنا بالخيانة، ومطالبتنا بمحاكمتهم وإعدامهم رميًا بالرصاص يفرض علينا بحث هذا الاتهام، حتى يمكننا الرد عليهم لرد اعتبار كبار قادتنا أمام العالم بعد تلويث سمعتهم وشرفهم - باعتبار أن هذا الاتهام أُعلن على العالم أجمع - على أن يكون ردنا مُدعّم بأسباب موضوعية وحقائق، وإلا أصبح ما نقوله مجرد آراء ذاتية مبنية على الروح الشيفونية والنعرة القومية، والتي لن يقبلها العالم لبعدها عن العلم والمنطق.

وعلى ذلك، ومع إقرارنا بأننا لا نقبل اتهام كبار قادتنا بالخيانة شكلا أو موضوعا، فإنه من الناحية الموضوعية العقلانية علينا قبوله مبدئيًا، باعتبار مبدأ "قبول الآراء المعارضة" لنا، حتى يتم تحليله ومناقشته والفصل فيه، خاصة وأن هذا الرأي جاء من المعسكر الحليف لنا استراتيجيًا، علاوة على أن تقادم هذه القضية باعتبارها أصبحت بعد ٤٠ عام حدث تاريخي قديم - يفرض علينا حسمها...

وطالما قبلنا بحث هذا الفرض؛ فإن الأمر يوجب علينا التخلي عن الحساسية الشديدة تجاه كبار قادتنا الذين هم فوق الشبهات، ذلك أن الشخصيات التاريخية التي لعبت أدوار بارزة وحاسمة في تاريخ الأمم والشعوب غالبا ما تتعرض للنقد الشديد الذي يصل إلى أشد الاتهامات بشاعة، وهو الأمر الذي يجعل في بحث هذه

الاتهامات ما قد يراه البعض مساس وجرح لهذه الشخصيات القومية ورموز الأمة، ولكنها سنة التفوق والشهرة والمجد، وعذرنا فى ذلك إننا نهدف إلى إثبات براءة كبار قادتنا من هذه التهمة الشنعاء؛ حين شُهِّر بهم في العالم أجمع... أما إذا توصلنا إلى غير ذلك... فإن الحقيقة فوق مجاملة أي إنسان، مهما كان وضعه ومركزه الاجتماعي.

وتظهر في قضيتنا هذه، عقبة شديدة تعوق منهج البحث ألا وهى: عدم قبول الرأي العام المصري أي تحليل أو رؤية جديدة لحرب ٦٧، تخالف التحليل أو الرؤية السائدة والتي فرضت عليه وأصبح على قناعة تامة بها، وهو أمر طبيعي، حيث يصعب على أي إنسان اقتناعه بمفهوم جديد يناقض تمامًا المفهوم الذي سبق أن استخلصه واقتنع به تمامًا... لذا رأينا استخدام أسلوب غير تقليدي لتحليل وعرض القضية يتناسب مع طبيعتها، ألا وهي: " أسلوب الراهب كوبرينقوس " والذي عالج به قضية لها نفس الإشكالية، حين قام بتحليل وعرض نظريته التي خالف بها النظرية السائدة في ذلك الوقت والتي كان العالم على قناعة تامة بها.

٣ـ أسلوب "كوبرنيقوس" في منهج البحث عن صحة الفرض السوفيتي:

ظل العالم يؤمن بدوران الشمس حول الأرض طيله ١٤ قرن من الزمان، طبقا لنظرية "بطليموس السكندرى" الذي بنى تصوره على ما تراه الحواس ويقبله الحس، وأتسقت نظريته مع العقيدة المسيحية، والتي تفرض الإيمان بمركزية الأرض للكون كحقيقة من حقائق الكتاب المقدس.

وكان أهم تطبيق لهذه النظرية هو: "هداية السفن في البحار"، حيث كانت النجوم هي الوسيلة الوحيدة لهداية السفن... وطالما كان العالم القديم لا يعرف من البحار إلا: "المتوسط والأحمر وشواطئ المحيط الهندي"، فقد اقتصرت دراستهم على نجوم نصف الكرة، الذي يشمل هذه البحار فلم تظهر مشاكل تذكر... ومع الكشوف الجغرافية الحديثة، والرحلات الطويله عبر المحيطات، دخلت السفن في مجال آخر لتظهر لها نجوم النصف الآخر من الكره الأرضية، الأمر الذي كشف قصور نظرية بطليموس وتخلف علم الفلك عن اللحاق بسفينة كولومبس، التي وصلت للعالم الجديد.

لقد كان تنامى علم الجغرافية و معلوماته الجديدة مع سفينة كولومبس، هو الذي فضح تخلف علم الفلك، بعد فشل نظرية بطليموس في تفسير حركة النجوم، الأمر الذي دفع بعلماء الفلك للبحث عن مخرج لهذه المشكلة ؛ ولكن دون جدوى...

حتى ظهر الراهب كوبرنيقوس، الذي خرج عن المألوف في أسلوبه، لمعالجة المشكلة وذلك حينما طرح جانبا تلك النظريات التي قيدت فكر العلماء المعاصرين له، لينطلق بفكره خارج الكهف المظلم لنظرية بطليموس المقدسة، التي حجرت على عقول العلماء الآخرين، والتي لم يكن لأحد الخروج عنها، وقام بابتكار أسلوب جديد في البحث، حيث قام ببساطة برسم النجوم على قطعة من الورق، وكذلك رسم مسار حركة هذه النجوم والكواكب كما هي في الواقع، ثم نظر في حركة جميع النجوم والكواكب كمنظومة متكاملة، ماذا تقول هذه المنظومة ببساطة؟... وياللعجب ... لقد قالت أن الأرض و الكواكب هي التي تدور حول الشمس، وليس العكس كما تقول النظرية المقدسة فأعلن ببساطة هذه الحقيقة.

ألا ترى في البساطة، وسيلة عملية وفعالة من وسائل البحث العلمي... طالما أمكنها تصحيح معتقدات وآراء و تحليلات سابقة فاسدة كانت فى حكم التقديس. ... أما وأن، هذا الكم الهائل من القصص والتحليلات الكاذبة التي فرضها "جنرالات" الجيش، كوجهة نظر ورؤية أحادية على الرأي العام المصري، قد حولها إلى رؤية مقدسة، الأمر الذي جعل منها قيود تكبل عقول وفكر الرأي العام المصري وتعوق انطلاقه خارج حدود هذه الرؤية، بالضبط مثلما فعلت نظرية "بطليموس" المقدسة في عقول علماء الفلك في القرون الوسطى.

أما وأن، هذه البساطة قد استطاعت أن تقدم حلا لمشكلة مسار النجوم والكواكب... وصححت نظريات فاسدة كانت مقدسة، وأطلقت للعقل حريته في التفكير بعيدا عن آراء وتحليلات تقيده وتحجر عليه، فكيف لا تستطيع هذه البساطة أن تجد لنا حلا لمشكله ٦٧ وألغازها الأربعة؟

وهل كانت أحداث الأرض أكبر من أحداث السماء ومسار نجومها وكواكبها؟ ... إذن تعالى نجرب هذه البساطة، ولنطرح جانبا تلك الرؤية الأحادية والتحليلات المقدسة لكبار قادتنا، التي قيدت فكرنا وعقولنا وحبسته في داخل إطارها المغلق والمظلم... تعالى نقوم ببساطة، كما فعل كوبرنيقوس حينما رسم مسار الكواكب والنجوم على قطعة من الورق، ونظر إلى حركتها في مساراتها كمنظومة متكاملة : فاكتشف الحقيقة .

تعالى نرسم أماكن الوحدات والوسائل العسكرية على خريطة من الورق لسيناء، كما كانت في الواقع لحظة نشوب الحرب في ٦٧، ثم ننظر إليها

كمنظومة متكاملة، أو كخطة عسكرية... أليست الخطة العسكرية في أبسط مضمون لها هي أوضاع القوات والوسائل العسكرية على أرض المعركة؟

إن هذه الأوضاع هي ببساطة الخطة العسكرية الحقيقية، التي نفذناها في حرب ٦٧... تعالى ننظر إلى المنظومة، كما فعل كوبرنيقوس، لنحدد منها أهدافها باعتبار أن شكل وأوضاع القوات على الأرض تحدد أهدافها بدقة من خلال المنظومة المتكاملة، أي بمعنى الاستنتاج العكسي، حينما يظهر هدف الخطة من خلال أوضاع القوات على الأرض، وبذلك يمكننا وضع رأي السوفيت كافتراض في صورة خطة عسكرية سوف نطلق عليها اسم كودى "ثعبان" ... ثم نعيد النظر في أحداث حرب ٦٧ لنتحقق فيما إذا كانت تسير وفقا لتحقيق أهداف الخطة "ثعبان" ... أم لا؟

٤ ـ الخطة "ثعبان":

هو مضمون الادعاء السوفيتي بخيانة مجموعة من كبار القادة المصريين بتعاونهم مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A)، لتسهيل غزو إسرائيل للأراضي المصرية، وتدميرها للجيش المصري، واستيلائها على "سيناء"، في صورة خطة عسكرية، تم تنفيذها بدل من الخطة الأساسية "قاهر".

وهو الأمر الذي يناقض تماما ما أعلن على الرأي العام المصري من أن هزيمة الجيش المصري في حرب ٦٧ كانت لأسباب: "الأخطاء والإهمال والتخبط"، وإنما كانت بتخطيط مدبر ومحكم تم الإعداد المسبق له، وتنفيذه في صورة غاية في الدقة و المهارة و هو مضمون الخطة "ثعبان".

كما أنه لا يجوز الخلط بين الأمرين... ذلك أن: "الأخطاء والإهمال والتخبط" هي مسائل طبيعية متوقعة، طالما أن كبار القادة كانوا يسيرون على الخطوط والمعالم الرئيسية للخطة العسكرية المعتمدة "قاهر".. أما إذا اختفت تماما خطوط ومعالم الخطة "قاهر"، وظهر أنهم يسيرون على خطوط ومعالم أخرى لا تمت بأي صله للخطة "قاهر"؛ فعلى أي أساس إذن تقيِّم هذه الأعمال على أنها "أخطاء أو إهمال أو تخبط"؟

من ناحية أخرى فإن "الأخطاء والإهمال والتخبط" لايصنعون خطة متكاملة غاية في الدقة والإتقان، حتى أنه من المستحيل ان تظهر مجموعة من الأعمال التي تتصف "بالإهمال والأخطاء والتخبط" كمنظومة عمل متكاملة، تسير وفقا لفكرة فلسفية محددة لتحقيق أهداف محددة، إلا إذا كانت في حقيقتها خطة أخرى تم إعدادها وتدبيرها مسبقا.

وحتى يمكننا تحليل وبحث هذا "الادعاء" علميًا، والفصل في صحته، فإنه علينا أن نخضعه لأسلوب المنهج العلمي المتبع في مثل هذه القضايا، وذلك بوضع هذا "الادعاء" كفرض، ثم نقوم بمحاولة إثبات هذا الفرض، وبالتالي نصل إلى الحقيقة فيما إذا كان الفرض صحيحًا أم خطأ.

٥- حدود فلسفة البساطة في منظومة حرب ٦٧:

كيف نظر الراهب "كوبر نيقوس" لمنظومة حركة النجوم والكواكب؟ أو كيف كانت أبعاد وحدود البساطة التي عالج بها المسألة؟

معنى نظر الانسان لمنظومة أو لأي قضية هو دخول العامل البشرى فيها، والذي يحولها إلى وجهة نظر ذاتية، تختلف من شخص لآخر، ومن هذه **الزاوية حكمت** فلسفة البساطة بفصل المنظومة، كظاهرة كونية لها نواميسها وقوانينها المستقلة، واعتبارها أكبر وأبعد ما تكون عن قدرات الأنسان، وفوق إمكانات حواسة البشرية المحدودة، والتي تقل عن قدرات كثيرا من الحيوانات، حتى ضلت العين واضلتنا ١٤ قرن من الزمان لنسلم بسلطان العقل بعد تحريره من القيود، ليحكم بنور الفكر، ويدرك ما لم تدركة العين، ويصحح فيما أخطأت في إدراكه الحواس.

وكذلك بالمثل، إذا ما عزلنا أنفسنا عن منظومة أحداث حرب ٦٧، بفرضها أشبة بظاهرة كونية مستقلة مثل ظاهرة حركة الكواكب والنجوم في السماء، مع اعتبار أن منظومة حرب ٦٧ ليست بنفس بساطة منظومة الكواكب والنجوم، لاختلاف طبيعة كلا من المنظومتين، إحداهما عناصرها الفاعلة من البشر، والأخرى من الكواكب والنجوم، الأمر الذي يستلزم بالتالي اختلاف في كيفية التعامل مع كلا من المنظومتين، أما أولى هذه الاختلافات: فنجد أن منظومة الحرب طالما كانت عناصرها الفاعلة من البشر، الذين قد تربطنا بهم علاقات اجتماعية؛ فإنه بالتالي يدخل فيها تأثير الثقافة بمفرادتها من قيم وعادات وتقاليد ... كذلك يظهر فيها تأثير الجانب الذاتى للانسان "العواطف"، وكل ذلك غير موجود في منظومة الكواكب والنجوم لكوبرنيقوس، والذي لم يرتبط بأي علاقة اجتماعية مع أي كوكب من الكواكب، لا صداقة مع المريخ ولا نسب مع عطارد و لا عداء فكري أيديولوجي مع أي منها، وبالتالي لا توجد عوامل سيكولوجية ولا دوافع ذاتية تسبب له حرج في أن يعلن ببساطة حقيقة أن المريخ وعطارد يدوران حول الشمس، ليهوى بمركزهما الاجتماعى إلى الحضيض.

أما الاختلاف الثانى: ففي كيفية إثبات حقيقة المنظومتين، ففي الظاهرة الكونية للكواكب والنجوم لم يخرج الإثبات عن رصد الكواكب والنجوم من المراصد الفلكية وحسابات رياضية، لتظهر كحقيقة يقينية لا جدال فيها أوضح من قرص الشمس، خلافا لمنظومة الحرب التى يعوق إثبات حقيقتها البشر أنفسهم، بأهوائهم وأغراضهم الذاتية، الأمر الذي يفرض تحليل كل حادثة في الحرب ووضعها تحت حكم المنطق والعقل وقوانين الطبيعة وسياق الأحداث الزمنى، حتى نتمكن من التحقق من كل حدث.

أما الاختلاف الأخير: فيأتى من أن أحداث الحرب لها خلفيات تاريخية مؤثرة عليها، حتى أنها تعتبر جزء من منظومة الحرب نفسها، أي أن الحرب ليست مجرد أيام القتال الفعلية، ولكن تتضمن مرحله الإعداد والتنظيم ومرحله التحضير للحرب علاوة على مرحله الحرب الفعلية، وهو خلاف منظومة الظواهر الكونية، والتي ليس لها خلفية تاريخية مؤثرة على حركتها، فمنذ وجد آدم على ظهر الأرض والكواكب هي الكواكب والمريخ هو المريخ وعطارد هو عطارد، وكلها تدور كما كانت تدور من قديم الأزل.

٦- "افتراض"، تنفيذ جنرالات الجيش للخطة "ثعبان" في حرب٦٧:

وكما فعل "كوبرنيقوس" حينما أزاح جانبا نظرية "بطليموس"، طالما لم تسير على خطوطها الكواكب والنجوم، حيث وضع "فرض" جديد لتفسير تلك الظاهرة، وذلك بافتراضه أن الكواكب هي التي تدور حول الشمس وليس العكس...

ولم يعلن هذا "الفرض" كنظرية علمية تنسخ نظرية "بطليموس" الفاسدة؛ إلا حينما نجح في إثبات صحة "فرضه" يقينًا، وأنه يفسر الظاهرة الكونية تفسيرًا صحيحًا".

كذلك نفعل نحن، حين نزيح جانبًا الخطة "قاهر" طالما لم تسير على خطوطها قواتنا في حرب ٦٧... لنضع بدلاً منها الخطة "ثعبان" كفرض لتفسير ظاهرة هزيمة ٦٧... ونرى هل ينجح هذا "الفرض" في تفسير هزيمة ٦٧ تفسيرًا صحيحًا؟.

وهل الخطوط الاستراتيجية التي نفذها جنرالات الجيش المصري في مراحل حرب ٦٧ في سياق الخطة "ثعبان"؟.

أما عن مراحل حرب ٦٧، فهي في إطار مراحل الحرب التقليدية العادية وهي:

- مرحله الإعداد والتنظيم للحرب.

- مرحلة التحضير للحرب.
- مرحله الحرب الفعلية.
- مرحلة تحقيق الغاية السياسية من الحرب_" محاوله قلب نظام الحكم ".

٧- دورنا في البحث دور الادعاء،والحكم النهائي للقاريء:

دورنا في هذا البحث هو عرض الأحداث وتحليلها ، ويكتمل هذا الدور في تقمص دور الادعاء السوفيتي... على أنه لا يتبادر إلى ذهن القارئ أن الهدف من الكتاب هو إثبات التهم على كبار القادة ، باعتبار أننا اتخذنا دور الادعاء ، ولكن على العكس ، فإن الكتاب هو محاولة لتحليل هذا الادعاء السوفيتي من كل جوانبه ، حتى يمكن إبراء ذمة كبار القادة وشرفهم الرفيع من التلوث بالخيانة ، أما الحكم النهائى فقد تركناه لجميع القراء ، حتى نضمن تجنب الخطأ الفردى في الحكم على قضية أمة بأسرها.

على أن يقوم القارئ بالحكم على كل مرحلة على حدا ، فيما إذا كانت جميع الأعمال والإجراءات التي تضمنتها حققت الخطة " ثعبان" أم لا؟ ... ثم الحكم على جميع المراحل كمنظومة متكاملة.

الفصل العاشر

مرحلة الإعداد والتنظيم

« من وُلّي من أمر المسلمين شيئًا فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه، فقد خان الله ورسوله»

حديث شريف

١ ـ الإعداد للحرب هو نصف الطريق إلى النصر:

أما وأن مصر ـ في ذلك الوقت ـ كانت في حالة "هدنة" مع إسرائيل، بناء على "اتفاقية الهدنة" التي أبرمت عام ١٩٤٩...

أما وأن، إسرائيل ما لبث أن اخترقت تلك الاتفاقية، ليتجدد القتال مرة أخرى عام ١٩٥٦، بالعدوان الثلاثي، حتى تم وقف أعمال القتال، وتعهد الطرفين بالالتزام باتفاقية الهدنة، وذلك في أول عام ١٩٥٧..

فإنه، منذ ذلك الحين، وحتى اندلاع حرب ٦٧، أي حوالي ١١ عام، تعتبر هذه المدة هي: "فترة الإعداد والتنظيم لحرب ٦٧ "... ومن هنا جاءت محاسبة "القيادة العسكرية" على هزيمة ٦٧ فيما أعدته خلال مدة ألـ ١١ عام للحرب... وحيث تعتبر مرحلة: "الإعداد والتنظيم للحرب"، هي أول مرحلة من مراحل الحرب.

إعداد الجيش المصري لحرب ٦٧، يشمل موضوعات كثيرة، تحتاج إلى أكثر من كتاب، وقد نرى في الاكتفاء بانتقاء البعض منها : ما يؤدي نفس المضمون. كما يقول المثل: "ما لايدرك كله، لا يترك كله " وقد انتقينا ثلاث موضوعات هي:

- إنشاء مراكز قيادة جديدة لتدار منها حرب ٦٧.
- تعيين القادة والضباط الذين سيقودون الجيش المصري في حرب ٦٧.
- إنشاء نظام لإنذار الدولة بالحرب.

أما وأن، تنظيم مراكز القيادة التي سيدير منها القادة آليات أعمال القتال والحرب، هي من أهم وأخطر التنظيمات في الهيكل التنظيمي لبناء الجيش المصري... فقد تم إنشاء " هيئة الأركان العامة " في أعلى قمة الهيكل التنظيمي للجيش المصري، وفقًا لأحدث تنظيمات مراكز القيادة في أقوى جيوش العالم.

أما وأن، إعداد أي جيش يتوقف في المضمون الأخير على إعداد القادة الضباط الذين سيقودون أي معركة... وطالما أن الحرب هي: "لعبة يكسبها

ويخسرها الجنرالات".. فإنه قد تم إعداد القادة والضباط وفق أفضل منهج علمي، يشتمل على تدريبهم في أكاديمية "فرونز" العسكرية بالاتحاد السوفيتي.

أما وأن "نظام إنذار الدولة" من أهم وأخطر النظم، لتأمين الأمن القومي، وذلك لأهمية إنذار الدولة بالخطر الداهم المتوقع بقدوم جيش الأعداء لغزو أراضينا... حتى نأخذ كافة استعداداتنا للحرب ؛ ولا نؤخذ على غرة.. فإنه قد تم وضع نظم الإنذار للدولة ـ في تلك الفترة ـ وفقًا للأسس والقواعد العلمية، وبما يضمن تأمين الدولة من الهجوم المباغت للعدو.

ومع استكمال تنظيم الهيكل التركيبي للجيش المصري، وعلى قمته مراكز القيادة... ومع استمرار إعداد وتأهيل القادة ليكونوا على أعلى درجة من الكفاءة والخبرة العملية.... أصبح الجيش المصري يسير في خطى ثابتة صاعدة واعدة. تؤكد تقدم كفاءته القتالية في منحنى بياني تصاعدي مستمر... إلا أن أي باحث في فترة الـ ١١ عام، التي هي" فترة الإعداد والتجهيز للجيش المصري للحرب، تستوقفه بعض الأحداث الغاية في الأهمية والخطورة، والتي تشكل شذوذ في سياق الخط الذي كان يسير عليه الجيش، منذ بدأت حكومة "الزعيم" في إعادة بنائه... ألا وهي: "إنشاء مجموعة من مراكز القيادة الجديدة فوق الهيكل التركيبي للجيش"!!... وهذه المراكز الجديدة، هي التي تم فيها إدارة جميع آليات الأعمال العسكرية والقتال في حرب ٦٧ ؛ بدلاً من المراكز القيادية التي كان من المفروض والواجب أن تقوم بهذا الدور.

كذلك وبنفس الدرجة من الأهمية والخطورة يستوقفنا أيضًا استبدال كبار القادة والقادة الذين كان من الواجب والمفترض أن يقودوا التشكيلات والوحدات العسكرية في حرب ٦٧، بآخرين لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة والمؤهلات اللازمة، وذلك قبل الحرب مباشرة... الأمر الذي يضع علامات استفهام كثيرة تستوجب البحث والتحليل.

أما ما يثير استفزاز أي باحث مصري أوعربي، فهو إجراء تعديل في أسلوب عمل وآلية " نظم الإنذار " بما يخل بفكرة عمل هذه النظم، وبما يفقدها الهدف والغرض منها.

٢- إنشاء مراكز قيادة جديدة، لتدار منها حرب ٦٧:

أما وأن، قد تم الانتهاء من تشكيل مراكز القيادة للجيش المصري، وفقًا لأحدث الأسس والنظريات العلمية العسكرية... فإنه لا يجوز بعد ذلك إجراء أي

تعديل جوهرى على هذه التنظيمات... وبالتالي يكون إنشاء مراكز قيادة جديدة تخالف في جوهرها الأسس والنظريات العلمية ؛ هو عمل لا يهدف سوى الإضرار بالجيش المصري صراحة وبلا مواربة، حتى يمكننا استنتاج الهدف من هذه التنظيمات من خلال بحث وتحليل العناصر الأساسية المكونة لكل تنظيم. وما يمكن أن تؤديه منظومة هذه العناصر كوحدة متكاملة وكذلك آلية العمل بها... طالما أننا حين ننشئ أي تنظيم جديد نقوم بتوفير العناصر الأساسية التي تحقق المهمة الموكولة له.

والتنظيمات الجديدة لمراكز القيادة هي الآتي:

أ ـ قيادة القوات البرية:

- **كتب الفريق الحديدي [٢]:**

« أصدرت "القيادة العليا" للقوات المسلحة قرارًا بإنشاء قيادة جديدة ضخمة، لم تكن موجودة من قبل، ولا نظير لها في معظم الجيوش الحديثة، سميت بقيادة القوات البرية، وأعطيت هذه القيادة الجديدة مهمة الإشراف الكامل على كافة القوات البرية في فروع القوات المسلحة الثلاثة: "الجيش ـ البحرية ـ الطيران" معفية بذلك "رئاسة هيئة أركان حرب القوات المسلحة" من الإشراف المباشر على التشكيلات والوحدات، وبالتالي من سلطات واسعة ضرورية للسيطرة عليها.

وكان من الطبيعي، نتيجة لهذا القرار، أن تحتاج هذه القيادة الجديدة إلى أعداد ضخمة من الضباط من جميع الرتب، يكاد عددهم يصل إلى نفس عدد ضباط رئاسة هيئة الأركان العامة، الأمر الذي كان واضحًا أنه لا يمكن تنفيذه إلا على حساب الوحدات المقاتلة والتشكيلات وباقي الأسلحة والقيادات الأخرى الموجودة، ومع ذلك فقد بدئ فعلاً بإنشاء " قيادة للقوات البرية "، وحاولت هذه القيادة الجديدة، بطبيعة الحال، وتمشيًا مع الأفكار السائدة وقتئذ، أن تحصل على أكبر مكاسب ممكنة من ناحية السلطات والاختصاصات، وكذا الضباط عددًا ونوعًا، لتتمكن من ممارسة اختصاصاتها الجديدة، كل هذا طبعًا على حساب القوات الموجودة فعلاً، رغم النقص المزمن فيها من الضباط، وقد أدى هذا كله إلى تمييع الأمور وزيادة الحساسيات، حيث برزت فئة جديدة من كبار الضباط، تعتبر هدفًا " للولاء ". وحار الضباط في تحديد موقفهم من هذه الفئة، وتنازعها السلطات والاختصاصات مع رئاسة هيئة أركان حرب

القوات المسلحة، التي كانوا قد نظموا علاقاتهم بها لفترة طويلة مضت، وأصابوا في هذا نجاحًا وطمأنينة.

بدأت القيادة الجديدة في تولي اختصاصاتها على مراحل اتفق عليها، وتعمدت أن تدخل المعركة في أثر المعركة مع رئاسة هيئة الأركان العامة، لتثبت وجودها، وتعلن عن بدء الحياة فيها أمام الملأ، ومع ذلك خسرت بعض المعارك، وكسبت بعضها الآخر، وتعثرت خطوات المولود الجديد، وتراكم الضباط في مكاتبهم بعد تعيينهم في وظائفهم الجديدة غير قادرين على تصريف الأمور».

ذكر الفريق"الحديدي" السلبيات التي ظهرت من إنشاء القيادة الجديدة "قيادة لقوات البرية"، ولم يذكر كيف تم إنشاء هذه القيادة، ولا الأسباب التي دعت إلي نشائها، لأن من المفروض – منطقيًا – أن يهدف هذا التعديل إصلاح عيوب أو سلبيات كانت قد ظهرت، وهو الأمر الذي لم يحدث، ففي حين كان تنظيم القيادة العامة يتضمن كل عناصر ومقومات القيادة الناجحة، التي تضمن لها القيام بأعمالها على الوجه الأكمل...جاء تشكيل قيادة القوات البرية ليرجع بنا إلي الوراء.. إلي جيوش القرون **الوسطي**... هذا مع كونها كانت خطوة لتقسيم القوات المسلحة إلى ثلاثة أقسام كثلاث أسلحة رئيسية: "القوات البرية، القوات البحرية، القوات الجوية"، الأمر الذي يجعلنا نُلحق هذا الأمر إلى البند التالي وهو " تقسيم القوات المسلحة إلى ثلاثة أقسام" باعتبارها جزء من هذا النظام.

ب - تقسيم القوات المسلحة إلى ثلاث أسلحة رئيسية:

" قوات برية، قوات جوية، قوات بحرية "

مرة أخرى نرى أن أخطر المسائل لم يتعرض لها كبار القادة نهائيًا، ذلك باعتبار عدم جدوى المبررات السلبية " أخطأ، أهمل... " حتى أن مجرد الكلام في الموضوع قد يكشفها.

وقضية تفتيت القوات المسلحة إلى ثلاث أسلحة "برية، جوية، بحرية" هو أمر يخالف نظم الحرب وقوانين القتال الحديثة بصورة مطلقة، والتي فرضت وحدة جميع الأسلحة تحت قيادة واحدة يمكنها إجراء التنسيق والتعاون بينها وبين بعضها لتحقيق هدف واحد مشترك، بمعنى العمل كفريق واحد، حتى سمي هذا النظام "بمعركة الأسلحة المشتركة" ليدخل هذا الاسم ضمن الثقافة العامة لأي مواطن مثقف. ويعتبر التنسيق بين الأسلحة والوحدات المرؤوسة بداخل كل وحدة عسكرية، هو أهم واجب لكل قيادة على جميع المستويات المختلفة. حتى إذا ما

وصلنا إلى قمة القوات المسلحة كان الواجب الأساسي للقيادة العامة للقوات المسلحة هو التنسيق بين الأسلحة الرئيسية المختلفة لتحقيق هدف الدولة الاستراتيجي في الحرب. ومن خلال هيئة الأركان ، وحيث يُعتبر رئيسها ـ وهو: "رئيس الأركان" ـ القائد الفعلي للقوات المسلحة، والذي تحت سيطرته جميع أجهزة وهيئات و إدارات القيادة العامة، أما القائد العام فيُعتبر أشبه "بالرمز" فقط ، وبالتالي يعتمد اعتمادًا كليًا على" هيئة الأركان "، وهذا الأمر كان ساريًا حتى تعيين الفريق أ. محمد فوزي رئيسًا للأركان عام ١٩٦٤، والذي تحقق في وجوده التصدع الجسيم والخطير بانفصال الأسلحة الرئيسية عن هيئة الأركان وهي "القوات الجوية، والقوات البحرية" وشبه الانفصال الكامل للقوات البرية. وذلك تحت أي حجة، أو تحت أي مسمى غير مقبول ولا منطقي، مثلما قيل عن موضوع الأقدمية.

وبهذا الأسلوب استطاعت "شلة المشير" عزل هيئة الأركان للقوات المسلحة عن عملها الرئيسي، في صنع القرار، أو الإشراف. أو التنسيق بين أفرع الأسلحة الرئيسية، لتحقيق أهم خاصية للمعركة الحديثة في أنها: معركة الأسلحة المشتركة"، وذلك بضرورة عمل كافة أسلحة ووحدات الجيش كفريق واحد. لتحقيق هدف واحد مشترك.

وأصبح بهذا الأسلوب، يقوم قادة الأسلحة الرئيسية بعرض أعمالهم ومقترحاتهم في صيغة قرار جاهز للتصديق مباشرة من المشير عبد الحكيم عامر كقائد عام وبصفة شخصية، لتتفادى هذه القرارات المرور على الجهات الرقابية المتخصصة، والتي تتمثل في "أجهزة وهيئات وإدارات" هيئة الأركان العامة الأمر الذي قلب المسألة، ليتحوّل دور المشير عبد الحكيم عامر إلى مجرد التوقيع فقط بالتصديق على قرارات قادة الأسلحة الرئيسية - (على أن يصدر القرار باسم المشير عامر) – دون أن يتمكن من معرفة محتويات هذه القرارات وأبعادها وتأثيرها على القوات المسلحة ، وذلك لتجريده من عناصر القيادة ، التي كانت تساعده في فحص ومعرفة هذه القرارات ، وبالتالي أصبح قادة الأسلحة الرئيسية هم أصحاب القرار وصنّاعه بصورة فعلية.

ومع نذير الحمائم بالحرب... كان ولابد أن تطفوا هذه القضية، كأخطر قضية خلال رفع درجات استعداد الجيش للحرب، بين الزعيم جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر، وقد تعرّض الأستاذ هيكل لهذه القضية بأسلوبه المعهود ، الذي لا يحدد معه أبعادها ،حين قلبها في صورة مناقشة أشبه بدردشة بين

جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر وكأنه موضوع قابل للنقاش وتناول الآراء المختلفة فيه، حيث كتب [٣]:

«أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرارا بأن يكون الفريق أ.عبد المحسن مرتجي قائدًا عامًا لقوات الجبهة المصرية مع إسرائيل، في حالة بدء أية عمليات عسكرية، كذلك تضمَّن الأمر أن يتولى الفريق أ. صدقي محمود قيادة القوات الجوية، كما يتولى الفريق أ. سليمان عزت قيادة القوات البحرية.

وكان هذا الترتيب لقيادة الجبهة مثار مناقشة بين جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، فقد كان رأي "جمال عبد الناصر" هو أن تكون قيادة الجبهة شاملة لكل الأسلحة على نمط ما أظهرته تجارب الحرب العالمية الثانية – بمعنى أن يكون القائد العام للجبهة هو المسئول عن قيادة عمليات الأسلحة جميعا (برية، جوية، بحرية) في حين كان رأي "عبد الحكيم عامر" أن هذا التوحيد للقيادة قد يؤدي إلى حساسيات شديدة بين القادة!! وأنه من الأفضل أن يتولى قائد كل سلاح مسئولية الجهد الذي يقوم به سلاحه!!"» .

وتظهر نتيجة التفتيت الخطير لوحدة القوات المسلحة وفصل الأسلحة الرئيسية عن هيئة الأركان في شهادة الفريق أ. صدقي محمود قائد الطيران حيث يقول[٤]:

"أنا كنت أضطر أحيانًا لأنهي أعمالي، ولأني مش عارف أقابل المشير، للحاجات الكثيرة التي هو مشغول بها، أن أركب معاه الطائرة، وهو رايح سوريا أيام الوحدة وأخلّص ورقي وأعمالي، وأرجع في نفس الطائرة، وكنت أروح معاه اليمن وهو طالع، علشان أخلّص ورقي وأعمالي، وأرجع في نفس الطائرة، نتيجة لأن المشير لم يكن متفرغًا، وفي تقديري إنه ساب أمر القوات البرية بالكامل لشمس بدران."

لاحظ بدقة كيف استطاع المارشال "صدقي"، بلباقة وذكاء خلط الحقائق بأن رمى بالمسئولية على انشغال المشير عامر بمهام سياسية خارج عمله بعيدًا عن جوهر القضية، وهي تخطيه هيئة الأركان بكل أجهزتها وهيئاتها الرقابية المتخصصة، ثم كيف قلب الأمور بأسلوب " حدث ولا حرج " حين كشف عن أسلوب عرضه للأعمال والقضايا المختلفة على المشير عامر في ظروف غير ملائمة من جميع النواحي – أثناء رحلته بالطائرة – وهو الأمر الذي يفرض التشتت الذهني له، ليتحوّل الأمر إلى مجرد التوقيع والتصديق له على كل ما قام بتدبيره، وكأنه يعرض صورة مشرفة لإخلاصه ومثابرته في عمله!! أما النتيجة العملية المباشرة

فكانت فى التدمير المروع والبشع للطيران المصري تحت قيادة المارشال صدقي محمود في غمضة عين؟!!

وخطورة هذا الأمر، هي التي جعلت الغالبية من الكتاب الاستراتيجيين يتجنّب الكلام عنه، والذي يعتبر أهم سبب بصورة مطلقة في جميع السلبيات التي أصابت القوات المسلحة، حيث يسمح " لشلة المشير " أن تفعل ما تشاء، دون رقابة أو إشراف من هيئة الأركان، كذلك من باب التكرار نشير إلى أن قيام "شلة المشير" بفصل هيئة الأركان لم يكن له هدف إلا إصدار وتنفيذ قرارات تضر وتهدم في استراتيجية الجيش المصري، والتي كان من المستحيل أن تسمح بها "هيئة الأركان"،

ويمكننا تلخيص أسلوب واليات العمل " بمكتب المشير "القائد العام في الآتي:

المشير عبد الحكيم عامر القائد العام... قائد بلا قيادة بعد تجريده من كل عناصر القيادة والسيطرة التي كانت تساعده ـ (وهو مضمون فصل هيئة الأركان) ـ وبذلك أصبح دوره مجرد التصديق على مقترحات وأعمال جنرالات المماليك، والتي في صيغة قرارات صادرة منه إليهم، لتظهر الصورة وكأنه هو الذي أصدر هذه الأوامر إلى جنرالات المماليك، الذين ضمنوا بهذا الأسلوب إلقاء كل المسئولية عليه بتوقيعه على جميع القرارات التي يصدروها هم، على اعتبار أنه صدق عليها، الأمر الذي جعل منه – من الناحية الشكلية – صاحب السلطة المطلقة والسيطرة المطلقة على القوات المسلحة، أما من الناحية الفعلية فالعكس، إذ كان الأمر كله بيد جنرالات المماليك "شلة المشير".

ظهر دور مكتب المشير عامر في القيام بأعمال ومهام المشير عامر في أثناء غيابه عن المكتب ـ شبه المستديم ـ لانشغاله بمهام سياسية كثيرة، الأمر الذي كان متوقعًا، عند تعيينه نائبًا لرئيس الجمهورية عام ١٩٥٨،... حتى يكون تحويل التصديق على جميع أعمال وقرارات: " أجهزة وإدارات هيئة الأركان " من الفريق أ.محمد فوزي رئيس هيئة الأركان ـ [الذي عزلته " شلة المشير" من الناحية الفعلية] ـ إلى المشير عامر ـ لم يكن يعني في الحقيقة، عمليًا وواقعيًا، سوى تحويلها إلى مدير مكتبه المقدم شمس بدران.

ويلاحظ أننا بدون فهم طبيعة هذا النظام الشاذ الغير نمطي أو تقليدي، من المستحيل أن نفهم كيف استطاع المقدم شمس بدران مدير مكتب المشير أن يحصل على كل هذه السلطات وهذه السيطرة؛ إلا إذا لجأنا لأسباب ميتافيزيقية وروحانية،

أو أنه أشبه بشخصية راسبوتين، والأمر في حقيقته لا يزيد عن أن الظروف والمناخ الفاسد هما اللذان صنعا هذا المنصب وليست شخصية شمس بدران.

منظومة النظام الجديد، وديناامية العمل داخل القوات المسلحة كلها منظومة غير شرعية اعتمدت عناصرها على سيطرة "شلة المشير" على الجيش المصري الطائفي - من خلال فلسفة الولاء وآلية "شبكة خلايا أهل الولاء" المتشعبة داخل وحدات القوات المسلحة - والتي وصلت لمرحلة الاستبداد والتسلط منذ آخر عام ١٩٦٤، وهو بداية امتداد سلطة "شلة المشير" وتسلطها على القطاع المدني وأجهزة وأنشطة الدولة المختلفة، مع ملاحظة أن " مكتب المشير " كان يعمل في ذلك الوقت كمكتب سياسي يمثل سلطة جنرالات الجيش المصري على الدولة، حيث تصدر منه جميع القرارات والأوامر إلى أجهزة الدولة المدنية مباشرة - كما أوضحنا سابقاً في الجزء الأول من الكتاب - أشبه برئاسة مجلس الوزراء.

جـ- إنشاء القيادة العليا للقوات المسلحة:

صدر القرار بتشكيلها في منتصف عام ١٩٦٦، وبالنظر لتشكيلها نجد أنها هي نفسها "مكتب المشير عامر" القائد العام، أي أن "مكتب المشير عامر" أطلق عليه اسم القيادة العليا للقوات المسلحة.

على أن هذا التغير الجذرى فى طبيعة عمل المكتب، طالما تربع فوق قمة الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة قيادياً، كان يستلزم إضافة عناصر قيادة وسيطرة عليه، الأمر الذي لم يتم، لتصبح المسألة مجرد تغيير اسم، من اسم مكتب القائد العام إلى اسم القيادة العليا للقوات المسلحة.

وبهذا الأسلوب الفهلوي اكتسب مكتب المشير الشرعية والسلطة للتدخل في كل شئون القوات المسلحة، بما فيها العمليات، حيث كانت هيئة العمليات دائمة الاعتراض على كل ما يصدر من قرارات فردية من مكتب المشير فيما يخص العمليات بدون الرجوع إليها، باعتبارها الهيئة المختصة، وباعتبار خطورة التدخل في هذه الأمور – بغير ضباط هيئة العمليات – على الاستراتيجية العسكرية المصرية، وبالتالي على الأمن القومي المصري.

أما ديناامية العمل فلم تختلف عما كانت عليه في مكتب المشير ، حيث اعتمدت على فلسفة الولاء و "شبكة خلايا أهل الولاء"، كذلك تركيز السلطات من الناحية الشكلية في يد المشير عامر ؛ ليضمن النظام عدم ثبوت أي مسئولية على جنرالات شلة المشير، ذلك بتوقيع المشير عامر بالتصديق على جميع القرارات

والأوامر ، التي هي في حقيقتها أصدرتها "شلة المشير" من الناحية الفعلية، كذلك وصلت خطورة دور مدير مكتب المشير" شمس بدران " إلى حد أن تركزت جميع سلطات الجيش في يده، حتى أصبح هو القائد الفعلي للقوات المسلحة.

تشكيل القيادة العليا (٥) للقوات المسلحة (مكتب المشير عامر)

- المشير عبد الحكيم عامر	القائد العام
- العقيد شمس بدران	نائب عن المشير عامر + وزير الحربية
- الفريق أ. حليم هلال	مساعد القائد العام
- الفريق أ. هلال عبد الله هلال	مساعد القائد العام
- لواء أ.ح علي عبد الخبير	مدير الأركان العامة
- ضباط مكتب المشير	(المستشارين)

وتتبع القيادة العليا مباشرة إدارة المخابرات الحربية برئاسة اللواء محمد أحمد صادق

الهدف من إنشاء القيادة العليا للقوات المسلحة:

حينما تريد أن تنشئ أى كيان جديد فلابد أن توفّر له العناصر الأساسية، التي تضمن له تحقيق مهمته، وعكس هذه القاعدة صحيح ، حيث يمكننا معرفة هدف أى منشأ من خلال العناصر الأساسية المكوّنة له. فمثلا إذا أنشأنا مستشفى فعلينا أن نوفر لها عناصرها الأساسية من أطباء وممرضين وأدوات وأجهزة طبية لنضمن تحقيق المستشفى لهدفها وهو علاج المرضى. تُرى لو استبدلنا طاقم الأطباء بمجموعة من الأشقياء محترفي الإجرام، وبدلاً من الأدوات والأجهزة الطبية، الأسلحة والأدوات التي اعتاد الأشقياء والبلطجية استخدامها مثل السكاكين، المطاوي، البلط وغيرها، هل نكون قد أنشأنا هذه المستشفى بهدف علاج المرضى؟ أم أن هناك هدف آخر مريب وراء هذا التشكيل؟!

ذلك لأن عناصر تكوين المستشفى لا تحقق سوى هدف واحد فقط وهو قتل المرضى، وهو ما كشفته عناصر تكوينها، حتى ولو كنا نفترض حسن النيّة في أصحاب المستشفى....طالما أن الأحكام على الأمور دائما لا تُبنى على حسن أو سوء الظن، ولكن تبنى على الأسباب المادية التي توجب حدوث هذه النتيجة، تُرى هل هذا الأمر يحتاج منا إلى انتظار نتيجة ممارسة هذه المستشفى لأعمالها، لنتأكد فيما إذا كانت عالجت المرضى أم قتلتهم؟

كذلك، إذا أنشأنا "قيادة عليا " للقوات المسلحة بدون أن نُوفّر لها العناصر والمقومات الأساسية، التي تضمن تحقيق أهدافها، وذلك بتشكيلها من مجموعة من الضباط ليس عندهم اي فكرة عن العمليات الحربية، لنستبدل بها "القيادة العامة" للقوات المسلحة والتي تشمل عدد كبير من الهيئات والأجهزة والإدارات التي يعمل بها أكفأ القادة المؤهلون والمتخصصون في كافة أسلحة القوات المسلحة....تُرى، هل في هذه الحالة يمكننا أن ندّعي أننا أنشأنا هذه القيادة العليا بهدف تحقيق الأهداف الاستراتيجية للدولة؟.. أم أنّ هناك هدف أخر من انشائها؟.

- **يقول الفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات في ٦٧ عن أسلوب عمل القيادة العليا " في شهادته (٦) :**

س: « أسلوب إصدار أوامر من القيادة العليا للقوات المسلحة إلى القوات المسلحة، هل جميع الأوامر كانت تصدر عن طريق القيادة من مركز العمليات، مركز القيادة الرئيسي..؟! أم كان يوجد أسلوب آخر شمل إرسال ضباط كما حدث بالنسبة لعملية قفل خليج العقبة؟

القاضي: أنا أقول لسيادتك ... إن هناك قيادة عليا للقوات المسلحة... وكان فيها مستشارون لهذه القيادة العليا للقوات المسلحة... وكانوا يذهبون ويعودون لي بتقرير من القيادة العليا للقوات المسلحة.. إن إحنا ذهبنا.. واستكشفنا أو وجدنا كذا وكذا وكذا... ويمكن كثير من التخبيط الخاص بشرم الشيخ في القيادة العليا تم بهذه الطريقة... والسؤال هو لماذا أنشئت القيادة العليا للقوات المسلحة؟... وماذا كان الهدف منها؟... وما هو الضرر الذي عاد على القوات المسلحة من أن فردًا أيًا كان هذا الفرد.. يقوم كاتب ورقة ويقول تعمل كذا وكذا وكذا.. ويوقّع... لا هيئات.. ولا أجهزة!!

س: انفصالية؟

القاضي: بقت انفصالية واضحة

س: أذكر في قفل خليج العقبة وردت لقيادة القوات البحرية إشارة من قائد القاعدة هناك بتقول: صدرت الأوامر من إبراهيم العرابي باتخاذ كذ وكذا... وأرسلت قيادة القوات البحرية تسأل من هو إبراهيم العرابي؟

القاضي: طلع المقدم إبراهيم العرابي وموجود في مكتب المشير».

- **ويقول [٧] أيضا :**

« كل هذه الصراعات شاهدتها ، واستغربتها ، يمكن في وقت من الأوقات ، لأنهم كناس كبار ، وقرّبوا يشيبوا ، ليس من المفروض أن يحدث بينهم كل هذا ، فكنت أرى حاجات زي كده. لدرجة أنني كتبت مرة واحدة جواب بتاريخ ١٩٦٧/٥/٩ لرئيس الأركان ولو سمحت لي أقرأه، وسلمت الجواب لرئيس الأركان يوم ٥/٩ أي قبل ٥/١٤ بخمسة أيام، ولم أكن أعرف طبعا أن ٥/١٤ حيحصل والجواب كالآتي:

رسالة إلى رئيس الأركان:

القاضي: أنا بقول فيه كالآتي: السيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة أتقدم بتقريري المختصر هذا بعد أن مارست عملي في رئاسة هيئة العمليات في القوات المسلحة مدة حوالي ٨ شهور.. وهي كانت ٦ شهور الحقيقة.. وقد شعرت خلال هذه الفترة أن هيئة العمليات لا تشترك في التخطيط لعمليات القوات المسلحة إلا في بعض الأعمال ذات الطابع الروتيني ، كما أنها لا تشترك في بناء طلبات السيد نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وعلاوة على ذلك فإن هذه الهيئة قليلا ما تعلم بقرارات السيد نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، بما يخص عمليات مقبلة مما يجعلها في حرج عندما يتضح ذلك بالنسبة لمجريات الحوادث، أو عندما يلاقي حاجات اتخططت فعلاً، حاجة اتقالت، حاجة اتعملت، وتكون النتيجة الحتمية لذلك أن تجرى عمليات ما وتنفذ ولا تكون هذه الصورة بشكل أو بآخر لدى الهيئة وقد تعلم الهيئة بعد إلحاح ما أو بالصدفة بنتائج القيام ببعض العمليات. ولما كان التخطيط والمراقبة والمتابعة لعمليات القوات المسلحة هي أول مسئوليات هذه الهيئة لذا أرفع لكم تقريري هذا آملا أن لا يترتب على وجودي شخصيًا على رأس هذه الهيئة ما يجعلها لا تقوم بمهامها الرئيسية وتفضلوا بقبول... وكتبت على المظروف (سري وشخصي - من الفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات إلى السيد رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة) والمستلم رقيب أول عبد الحفيظ عبد الله في إدارة الأركان بتاريخ ٦٧/٥/٩. أنا أقول له أنا لا أشرف ولا أخطط... أقول له أنا أعلم فقط بقراراتكم ولكني لا أعمل فيها شيء.

س: إيه كان اتخطط في ال .

القاضى: جايز منها انه قال للبحرية اعملى كذا.... ، و كذا.... ، و أنا لا أعرف

س: لا .... يمكن فيه حاجة معينة سيادتك علشان كده كتبتها

القاضى: ده اللي أنا عملته ، ده حصيلة لما كان بيحصل ، و أنا لا أدرى به

س: طب كده حاجة يعني نعرفها

القاضي: كان هناك مثلا ميدان كميدان "اليمن" بصفة خاصة، وكان هناك في ذلك الوقت أمور كثيرة تجري وتتخذ قرارات وتتحرك قوات وتتغيّر قوات ولا نعرف عن كل ذلك أي شيء.. نعرف بنتائجه في الآخر. وخلاف ذلك ما تفعله القوات الخاصة وخلافه، الأفرع والأسلحة المختلفة تصدر تعليمات من المشير إلى قائد القوات الجوية بكذا.. كذا.. وكذا.. نجد أنفسنا بعد عشرة أيام نحضر حاجة ما نعرفهاش. هذا الخطاب كتبته يوم ٥/٩ قبل المعركة.. قبل المعركة مباشرة.

س: عند رفع حالات الاستعداد.. بالضبط.

القاضي: رفع حالات الاستعداد.. ولولا رفع حالات الاستعداد الله أعلم كان حصل إيه.

س: وفي هذه التقارير.

القاضي: ما الذي يمكن أن أفعله؟ لا أدري.. هل كنت أمشي أم أستقيل.. إنما يعني بعدها بشهر مباشرة كنا سايبين القوات المسلحة... ففرضي أقول إن الاستشعار ده لم يكن من...

س: يصح رفع الاستعداد القتالي أبلغ لسيادتك بالإشارة.

القاضي: آه طبعا.. تعليمات من القيادة العليا للقوات المسلحة...كذا... كذا... كذا... وأنا....

س: لم تحدث أي مقابلة.

القاضي: ولا نعلم به.. لماذا...

س: لماذا والقوات المسلحة طالعة رايحة.

القاضي: وهذا هو السبب في إنشاء القيادة العليا للقوات المسلحة حتى لا نسأل أين نحن وماذا يجري.. وحتى لا نخطط.. المهم لا نفعل شيئًا».

الخلاصـــة:

"القيادة العليا" للقوات المسلحة . هي نفسها مكتب المشير عامر . الذي كان يمثل سلطة "شلة المشير" السياسية علي الدولة، وقد فرضت سيطرتها وسلطانها على هيئة الأركان ـ بكل ما فيها من أجهزة وهيئات وإدارات متخصصة يعمل فيها خيرة ضباط مصر المتخصصون لهذه الأعمال ، والذين حرصت الدولة بكل طاقاتها على توفير كافة الإمكانات من منح دراسية، وتدريب، وخبرات عملية لتأهيلهم لهذه الأعمال.

بالنظر للهدف من القيادة العليا ، والتي أنشئت في صيف عام ١٩٦٦ نكتشف أنها لم تُنشأ إلا لقيادة حرب ٦٧ ، وبالتالي فإن جميع الأعمال والأهداف التي حققتها منذ إنشائها حتى اندلاع الحرب كان لها التأثير المباشر والفاعل في أحداث حرب ٦٧.

اتبعت "شلة المشير" أسلوبًا خاصًا يضمن تحقيق أهدافها الهامة، ذلك بتوفير الأسباب التي تضمن لها تحقيقها ، من خلال إعادة تشكيل مُكوّنات وعناصر الكيان المكلف بالتنفيذ بحيث يضمن تحقيق هذه الأهداف، بصرف النظر عن اسماء الأشخاص المكلفين بالتنفيذ، الأمر الذي قد يُحدث خلطًا في تحديد المسئولية، والتي تقع في الحقيقة أساسًا على الذين خططوا لإنشاء النظام نفسه وصناعة مكوناته وعناصره الفاعلة ، قبل مسئولية الأفراد الذين قبلوا التنفيذ.

د- تشكيل قيادة للجبهة ومركز القيادة المتقدم:

أصدرت القيادة العليا قرارًا بتشكيل قيادة للجبهة، وتعيين الفريق أ. عبد المحسن مرتجي قائدًا عامًا لقوات الجبهة المصرية مع إسرائيل [٨] الأمر الذي أوجد قيادتان لجيش ميداني واحد.

وقد تضمّن أمر تشكيل " قيادة الجبهة " تشكيل مركز قيادة متقدم. بمعنى أن أمر التشكيل تضمن تنظيمين مندمجان معًا في تنظيم واحد " قيادة جبهة + مركز قيادة متقدم". أما الأخير - "مركز القيادة المتقدم" - فهو أحد مراكز السيطرة للقيادة العامة وأحد أهم اختصاصات ومسئوليات هيئة عمليات القوات المسلحة، الأمر الذي يعني نزع أحد أهم اختصاصات هيئة العمليات وضمها على قيادة الجبهة بقيادة الفريق أ. " مرتجي ".

واختصارًا للجدل في هذه القضية سنطبق مباشرة القاعدة الذهبية السابقة بأن: " مكوّنات وعناصر تشكيل أي تنظيم يحدد بالضبط مهمته والهدف والغرض من إنشائه "، وقد تم تشكيل هذا التنظيم من مجموعة من الضباط الذين لا يعرفون

شيئًا عن خطة العمليات للدفاع عن سيناء " قاهر "، وبالتالي لا يملكون أي صلاحية للقيادة، حتى أن " المرتجي " نفسه كان قائدًا للقوات المصرية باليمن ؛ حينما استدعي من اليمن قبل الحرب بأسبوعين خصيصا ليتولى هذه المهمة.

إذن ببساطة شديدة نستنتج أن تشكيل هذه القيادة، لم يكن بهدف تحقيق أهداف الدولة الاستراتيجية لحماية الأراضي المصرية وتطبيق الخطة " قاهر"، وأن هناك هدف آخر وراء تشكيل هذه القيادة، والتي كل ضباطها بما فيهم " المرتجي " نفسه ليس عندهم أى فكرة عن خطة الدفاع عن مصر" قاهر"... تُرى، ما هو ذلك الهدف؟!... بعد أن حُسم الأمر وظهر أنه ليس لتطبيق خطة الدفاع عن الأراضي المصرية بصورة مطلقة؟

- **وفي البداية سنتعرض لوجهة النظر التي أجمع عليها كبار القادة، كتب الفريق أ. محمد فوزي [٩]:**

« تم هذا رغم أن الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة المصرية لا يوجد فيه مركز قيادة للجبهة، بناءًا عليه فلم يكن مقررًا لهذا المركز أي اختصاصات أو سلطات مسبقة في التنظيم العام... وبذلك حدث ازدواج في الاختصاصات والسلطات أيضا وازدواج في المسئوليات والقيادة والسيطرة.. بين قائد الجبهة وبين قائد الجيش الميداني الوحيد في "سيناء"، ونتج عنه بلبلة في الفكر التنظيمي وفي تسلسل القيادة لدى رئيس هيئة العمليات».

- **وكتب الفريق "الحديدي" [١٠]:**

« وهكذا وجدت قيادة الجيش نفسها وبعد مجهود شاق بذلته في الأيام الأولى التي تلت يوم ١٩٦٧/٥/١٤ أمام منافس خطير لم يكن في الحسبان، وبدأ ممارسة سلطاته عليها أو على الأقل رغب في ذلك، فكان رد الفعل الطبيعي أن تعمل قيادة الجيش الميداني على مقاومة نفوذ القيادة الجديدة، وإقامة العراقيل أمامها، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، وساعدها في هذا النجاح إلمامها الكامل بالخطط الموضوعة، وبطبيعة الأرض وبموقف قواتها التي كانت تعيش معها من قبل، بينما كان الضيوف الجدد، رغم تمتعهم بجميع السلطات والصلاحيات، ورغم أن معظمهم كان على كفاءة شخصية عالية، ومن المبرزين علميًا وعمليًا، إلا أن غالبيتهم كانوا حديثي العهد بمسرح العمليات، ويبدون ولا شك اهتمامًا خاصًا في الأيام الأولى على الأقل، بشئون إعاشتهم وبالرغبة في

تفهم خصائص المسرح وخواص القوات. وقد ساعدت القيادة العليا في القاهرة على جعل الموقف غامضًا والمسئولية غير واضحة، فبينما أصدرت أوامرها بتشكيل القيادة الجديدة ممثلة لقيادة المشير عبد الحكيم عامر في الجبهة مؤقتًا، داومت على الاتصال بقيادة الجيش، مصدرة إليها تعليماتها، متجاهلة في نفس الوقت، وفي معظم الأحيان، القيادة الجديدة التي لم تُسلّم بالهزيمة، واستمرت في إصدار أوامرها، ممارسة لمسئولياتها على قدر الإمكان، وبدا لها أن خير تدعيم لسلطانها أن ينحصر في أن تذيع بيانات إنشائية موجهة إلى القوات، تستحث فيها هممهم لتحقيق النصر في المعارك المقبلة، ونشرت هذه البيانات على صفحات الجرائد وأذيعت على العالم من محطات الإذاعة المصرية، كما نشرت المجلات كثيرًا عن المؤتمرات الصحفية والأحاديث الخاصة تأكيدًا لمسئولية القيادة الجديدة عن جبهة قتال إسرائيل».

تحددت وجهة نظر "الجنرالات" هذه من خلال المنظومة التي رسموها وصوّروها لأحداث المعركة، والمبنية على أساس عدم الشك في حسن نواياهم وأهدافهم الوطنية، وأن المسألة لا تعدو عن مجرد إهمال وأخطاء وارتجالية في إصدار الأوامر ومنها هذه القيادة – قيادة الجبهة – التي شكلت فأحدثت ازدواج في الاختصاصات والسلطات و... الخ، على أن إنشائهم لهذه القيادة لا يؤكّد حسن النية.. ذلك لأن إنشاء أي قيادة جديدة، يسبقه تشكيل لجان ومؤتمرات من ضباط متخصصين لتحليل وبحث الأسباب التي تدعوا لإنشائها، قبل أن يتم التصديق على إنشائها، فكيف إذن يكون إنشاؤها خطأ، أو إهمالاً؟..قد حاول الحديدي بلورة وحصر كل السلبيات في كونها أحدثت تداخل في الاختصاصات والسلطات بين قيادة الجبهة وقيادة الجيش، إلا أننا – للغرابة – نجد أن واقع الأحداث أثبت عكس ذلك، حيث أنه لم يحدث أي ازدواجية أو تداخل في الاختصاصات أو السلطات، ولم تكن قيادة الجبهة بأي حال منافسًا على الإطلاق لقيادة الجيش، ذلك أن الفريق أ. مرتجي لم يتدخل نهائيًا في أعمال الفريق صلاح محسن، بل وكان مثالاً للتعاون معه وترك له الأمر كله يفعل ما يشاء.

الأمر بهذا الشكل يفرض علينا للتوضيح الإشارة إلى أن "مرتجى" عندما كُلّف بالدخول في صراع مع الفريق أ. محمد فوزي رئيس الأركان من خلال منصبه كقائد للقوات البرية، فقد نفّذ مهمته بصورة غاية في البراعة والإتقان، حتى سمع

وتسامع العالم كله عن مشاجرات "مرتجى" مع "فوزي"، والتي أدت في النهاية إلى الحالة النفسية السلبية التي أعلنها "فوزي" في مذكراته.

لكن عدم حدوث هذا الصراع الذي تكلم عنه سواء "محمد فوزي" أو"الحديدي" يشير لعدم وجود أسباب تدعوا لهذا الصراع، وهو الأمر الذي يثير الشك. (هذا مع عدم الاعتبار لموضوع البيانات والتصريحات الإعلامية "للمرتجى"، والتي كانت مهمة خاصة مكلف بها، ليس لها ارتباط بمهام وأعمال قائد الجيش).

إذن بإسقاطنا هذا الرأي نعود إلى ما وصلنا إليه يقينا بأن: "هناك هدف مريب من وراء تشكيل هذه القيادة والتي جميع ضباطها لم يكن عندهم أي فكرة عن خطة الدفاع "قاهر"، كذلك ومن جهة أخرى، فإن معرفتنا للأعمال التي نفذتها قيادة الجبهة في الحرب، يمكن أن يوصلنا بالتالي إلى استنتاج المهمة التي كلفت بها.

إذن، فما هي الأعمال التي قامت بها قيادة الجبهة في حرب ٦٧ لا شيء!!

نعم.. إجمالي الأعمال التي نفذتها قيادة الجبهة بقيادة الفريق أ. مرتجى... لاشيء!! وبالتالي فإن المهمة المكلفة بها قيادة الجبهة هي: لا شيء!!

وكيف تكون هناك قيادة في أي جيش تدخل حرب مهمتها... لا شيء ؟

ألا ترى أن الأمر فيه ريبة وشكوك؟!

وطالما أن مهمة قيادة الجبهة - والتي هي لا شيء - عندما تدخل ضمن منظومة مهام و أعمال عناصر الجيش فى الحرب تغيّر فى مضمون المنظومة تغييرًا كليًا.. أشبه بالصفر عندما يدخل ضمن منظومة الأعداد، فإذا وضعناه على يسار منظومة الأرقام العددية تختلف النتيجة عما إذا وضعناه في يمين المنظومة أو في وسطها... النتيجة مختلفة تمامًا في كل حالة.

أما إذا دخل اللاشيء كمهمة لقيادة الجبهة في منظومة العمليات الحربية، يكون أيضا أشبه تماما بدخول الصفر في العمليات الرياضية، فمثلا ٧ ÷ صفر = مالا نهاية، أي أن مهمة قيادة الجبهة والتي هي لاشيء تحدث تأثيرًا غير متناه على النتيجة الكلية للمعركة، وقد ظهرت خطورة دور " اللا شيء " الموكولة " لقيادة الجبهة " في حرب ٦٧، عمليًا أثناء المعركة، في إلغاءها دور "مركز القيادة المتقدم"، والذي استولت عليه من "هيئة العمليات"، حيث أغلقه "المرتجى"..... حتى نجد أن نجاح "الجنرالات" في صنع أحداث الكارثة، التي جاءت تداعياتها مع صدور قرار

"الانسحاب"، كان نتيجة غلق "مركز القيادة المتقدم"، والذي كان من الواجب والمفترض أن يكون تحت قيادة وإدارة "هيئة العمليات"، والتي كان من المتوقع - كأمر طبيعي - أن تتدخل في تنظيم وقيادة عملية الانسحاب ؛ بدلاً من " الجنرالات " الذين فروا من ميدان القتال وتركوا جنودهم لهذا المصير البشع.

هـ ـ وزارة الحربية - وشمس بدران:

كان دخول أعمال ودسائس السياسة، من خلال آليات وزارة الحربية، هو العنصر الفاعل الرئيسي في إشعال حرب ٦٧، وذلك بتولي العقيد شمس بدران منصب وزير الحربية في منتصف عام ١٩٦٦، حيث امتلك كلا السلطتين " السياسة والعسكرية" معًا- وقد وضحنا هذه القضية في الفصل الثامن من الجزء الأول للكتاب ا - وسوف نقتصر هنا على التأثير السلبي لدور شمس بدران كوزير حربية في ممارسته السياسة الداخلية في خلال نقطة واحدة هي: "ميزانية الجيش المصري عام ٦٦/ ٦٧، أي ميزانية عام حرب ٦٧، والتي كانت تحت مسئوليته المباشرة، وقد عرضت هذه القضية في صورة ادعاء على حكومة الزعيم جمال عبد الناصر بتخفيضها ميزانية الجيش في ذلك العام حيث تسبب ذلك في الإضرار الجسيم بمصلحة الجيش المصري في أخطر فترة.

طرح جنرالات "شلة المشير" القضية في أسلوب غير موضوعي، بغرض خلط الحقائق وتضليل الرأي العام عن الحقيقة... وقد تسيد أسلوب: " حدث ولا حرج " فى عرض قضية ميزانية القوات المسلحة عن عام ٦٦/٦٧، وبدون حدود، وبدون ضوابط، كان الكلام من منطلق اللانهائي في قضية محددة بأرقام داخل المستندات الرسمية للدولة. كم كانت ميزانية القوات المسلحة في العام السابق لها؟ وكم كان المبلغ المخفض؟ أو ما هي النسبة المئوية للتخفيض؟ و ما هي الأسس التي وضعت لتوزيع نسبة التخفيض على بنود صرف الميزانية مع اعتبار أهمية بنود أكثر من بنود أخرى؟

- **كتب الفريق الحديدي**[١٢] :

> « كانت هذه المرة الأولى في تاريخ القوات المسلحة التي تم تنفيذ هذه التخفيضات بطريقة جدية.. وهي المرة الوحيدة التي يخبئ فيها القدر أقصى هزيمة للقوات المسلحة!!»

- **كتب الفريق أ. محمد فوزي [١٤]:**

« زاد الحوار والتعليق حول ميزانية القوات المسلحة عام ٦٧/٦٦ بعد المعركة مباشرة حتى انقلب إلى لغط واتهام للدولة. كما ذكر القادة والضباط الذين قدموا للمحاكمات، كذلك بعض من كتبوا عن هزيمة ١٩٦٧ قائلين بأن القوات المسلحة معذورة في عدم إعداد قواتها بشكل كامل بسبب تخفيض الميزانية عام ٦٧/٦٦، وكانت المبررات العلنية هو إنجاح خطة التنمية الاقتصادية، بالإضافة إلى المبرر الجاهز وهو تعويض نفقات اليمن».

- **يقول الفريق "الحديدي" [١٥]:**

« لذا كان التنسيق ضروريا بين احتياجات القوات المسلحة المناط بها توفير الأمن الخارجي للدولة وبين احتياجات باقي القطاعات فيها، ويُبنى هذا التنسيق على أساس تقدير احتمالات الصدام المسلح المتوقعة، فلو كان الاحتمال قائما، فيجب أن تحدد أولا الاستراتيجية العسكرية وأهدافها.

لقد كان التناقض المخل، أن السنة التي هدد فيها أمن الدولة الخارجي ووصل فيها إلى حافة الهاوية، هي نفسها السنة التي وجد المخططون للاقتصاد فيها ضرورة إجراء توفير في كل قطاعات الدولة، بما فيها قطاع القوات المسلحة.

وهنا يجب أن نتساءل ؛ هل جرفتنا الأحداث فجأة إلى حد تهديد أمن الوطن؟ أم خدعتنا المعلومات عن حقيقة نوايا العدو؟ " »

ثم انطلقوا من قاعدة " حدث ولا حرج " لعرض كل السلبيات التي صنعوها، باعتبارها كانت نتيجة لتخفيض الميزانية، باستغلال طبيعة القضية وتأثير نقص المال على كل عنصر من العناصر الفاعلة في كيان وكفاءة القوات المسلحة، وتداخلت الحقائق مع إصدار شمس بدران وزير الحربية عدة توجيهات بتخفيض بعض البنود الهامة المؤثرة على كفاءة القوات المسلحة حتى أنهم أعلنوا هذا التخفيض اشتمل الآتي:

- تخفيض استهلاك وقود العربات والمركبات [١٦] التي تعمل في الشئون الإدارية والنقل والمواصلات.. ثم ربطوا هذا التخفيض بالوقود المخصص للتدريب وبالتالي أثره على التدريب حتى كان تحديد مستوى التدريب إلى سرية مشاة وما يعادلها.. الأمر الذي يناقض ما ثبت [١٧] رسميًا أن تخفيض التدريب لمستوى سرية كان فقط لوحدات المنطقة الشرقية _ والتي تعادل فرقة واحدة مشاة فقط _ وبناءًا

على طلب تقدم به الفريق صلاح محسن قائد المنطقة ، لأسباب وظروف خاصة بالمنطقة الشرقية، كذلك ذكر عن إلغاء بعض المشروعات والمناورات العسكرية ، بالاضافة إلى تخفيض[١٨] عدد ساعات تدريب الطيارين.

- تسريح دفعة رديف[١٩] قبل التاريخ المقرر بثلاث شهور ، بحجة توفير ماهيات هذه الدفعة وتكاليف معيشتها!!....

ودفعة الرديف هي أعلى كفاءة قتالية على الإطلاق؛ لحصولها على أطول فترة تدريبية بالنسبة لباقي الأفراد الآخرين، في الوقت الذي يمثل فيه إجمالي المبلغ الذي تم توفيره رقم هزيل جدًا بالنسبة لتأثيره الكبير على الكفاءة القتالية لقواتنا.

- تخفيض مرتبات [٢٠] استكمال القوات المسلحة إلى "مرتبات سلم منخفض" لتقليل المصروفات وتوفير المال.. حتى وصل العجز يوم ٦٧/٥/١٤ أي عند رفع درجات الاستعداد إلى:-

نقص ٤٠٪ من الأفراد

نقص ٣٠٪ من الأسلحة الصغيرة

نقص ٢٤٪ من قطع المدفعية

نقص ٤٥٪ من الدبابات

نقص ٧٠٪ من المركبات

هـذا بالطبع بعد خروج دفعة الرديف مبكرًا ٣ شهور!!

ثم حشرت تخفيض الميزانية في أغلب القضايا الشائكة، لتعرض كسبب على الرأي العام المصري بعد فصل هذه القضايا عن نتائج التحقيقات التي أثبتت خلاف ذلك، مثل عدم بناء دشم وملاجىء الطائرات أو عدم إقامة مطارات كان مخطط إنشائها وترك الطائرات مكدسة في مطاراتها ، الأمر الذي يوجب الرجوع لنتائج التحقيقات وليس عرض وجهة نظر ذاتية، كذلك عدم استكمال بعض الاسلحة أو الأجهزة في بعض الوحدات في الوقت التي كانت متوفرة في مخازن القوات المسلحة ...

- **يقول اللواء عثمان نصار [٢١] قائد الفرقة الثالثة مشاة في حرب ٦٧:**

« لقد صدر لي الأوامر بالتحرك إلى سيناء ، كقائد فرقة مشاه تتضمن لواء مدرع من مائة دبابة، كانت جميعها غير مزودة بأجهزة اللاسلكي، معنى ذلك

أنني كقائد لهذا اللواء أنزل من دبابتي وأجري بين المدرعات وأخبّط بيدي على كل دبابة وأقول لمن فيها ": تقدم يا علي.. تقدم يا محمد.. إضرب يا خليل.. إرجع يا موسى.. ».

واختصارًا للجدل في هذه القضية، تعالى إلى الأرقام، أرقام الميزانية من داخل دفاتر ومستندات الدولة، حيث كتب الفريق أ. محمد فوزي الذي عُيّن وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة بعد انتهاء الحرب مباشرة [٣٢]:

« يمكن القول أن دعوى تخفيض ميزانية القوات المسلحة عام ٦٧/٦٦ هي دعوى خاطئة بدليل أن الميزانية للعام المالي ٦٦/٦٥ كانت ١٧٤ مليون جنيه وميزانية ٦٧/٦٦ كانت ١٧٤ مليون جنيه وميزانية ٦٨/٦٧ كانت ١٧٤ مليون جنيه ، أيضًا بالإضافة إلى ميزانية الطوارىء والتي كانت تسمى بميزانية اليمن في هذا الوقت ، أي لم تتغيّر ميزانية القوات المسلحة خلال السنوات الثلاث المذكورة».

وقد كتب محمد فوزي مذكراته بعد معرفته بعض الأسرار كوزير حربية والتى تدخل ضمن اختصاصاته.

مسألة الادعاء بتخفيض الميزانية لا يمكن ادراك كل أبعادها إلا من خلال منظومة أعمال "شلة المشير" كتنظيم سياسي، ومن خلال فلسفة ومبادىء وديناميكية العمل داخل التنظيم اعتبارا من السرية التي أحاطوا بها القوات المسلحة لتدور كل التدبيرات التي أحكموها باعتبارها أسرار لا تخرج من بين القادة الذين غرس فيهم مبدأ الولاء، وإحكام السيطرة على الجيش ، باعتباره جيش مملوكي أو طائفي لا يخضع لسلطة الدولة ومع انضمام جهاز المخابرات العامة برئاسة صلاح نصر انتهت كل أجهزة الرقابة الفعالة على الجيش، الأمر الذي مكّن لهم الاستبداد، فى حين كانت ميزانية القوات المسلحة ضمن الوسائل المستخدمة فى خطتهم التي تحقق أهدافهم.

تُرى، أين ذهبت أو بُددت ميزانية القوات المسلحة عن عام ٦٧/٦٦؟... وهل كان هناك من يجرأ علي محاسبة المسئول عن تبديدها، وعدم صرفها على بنودها الأساسية؟

ألا ترى، أن أمر الكارثة وأحداثها العسكرية غطى تماما على جريمة ميزانية القوات المسلحة، بالرغم من تأثيرها كعنصر فاعل في صناعة الكارثة؟.

٣ – تعيين القادة والضباط الذين سيقودون الجيش المصري في حرب ٦٧:

مسألة تعيين أو تنقلات القادة والضباط في المراكز القيادية المختلفة داخل الهيكل التنظيمي للجيش المصري ؛ يخضع للوائح وتعليمات منظمة وملزمة للقائمين بالاضطلاع بمهام هذا العمل – بفرع شئون الضباط بإدارة كاتم أسرار – وأهم هذه القواعد: "أن يكون القادة والضباط مستكملين للشروط اللازمة لتولي تلك المراكز القيادية المرشحين للنقل إليها، وهو الأمر الذي يحقق الكفاءة القتالية العالية لوحدات الجيش.

تُرى، لو أن "إدارة كاتم الأسرار" أصدرت نشرتها السنوية الخاصة بتعيين وتنقلات القادة والضباط ؛ وفيها بعض السلبيات مثل: " تعيين بعض القادة أو الضباط في مراكز قيادية دون أن يتوفر فيهم الشروط اللازمة لتولي هذه المراكز؟!......

بالتأكيد، علينا مبدئيًا ؛ أن نقدم حسن النية – كأمر طبيعي تلقائي – واعتبار أن هذه السلبيات مجرد " أخطاء أو إهمال " غير مقصودة، وأنها أمور طبيعية متوقعة من أي إنسان، فليس منا من لا يخطئ.... طالما ظل مجموع إعداد القادة والضباط الذين شملتهم السلبيات تمثل عدد صغير بالنسبة لإجمال أعداد القادة والضباط الذين شملتهم النشرة بالكامل... حتى يكون تقييمنا الموضوعي لتلك النشرة ؛ أنها سليمة ولا غبار عليها.. ذلك لأن الاستثناء بوجود أخطاء قليلة لا ينفي سلامتها... بل يؤكد القاعدة طالما طبقت مع أغلب القادة والضباط.

لكن.... ماذا لو صدرت النشرة هذه، وقد شملت السلبيات جميع القادة والضباط الذين شملتهم تلك النشرة؟!.

في هذه الحالة، هل يجوز لنا اعتبار أن نشرة التنقلات هذه بأكملها " أخطاء وإهمال "؟!!... كلا ليس فقط لأن ذلك لا يقبله المنطق والتفكير السليم، ولكن أيضًا، لاعتبار أسلوب تنظيم العمل في " إدارة كاتم أسرار " الذي يضمن سلامة العمل، حيث تضم الإدارة عدد كبير من الضباط المتخصصين والمتمرسين، الذين يعملون بأسلوب غاية في الدقة والإتقان، بدءًا بمراجعة ملفات خدمة القادة والضباط المرشحون لتولي أي مراكز قيادية، والنظر فيما إذا كانت مؤهلاتهم وتقارير كفاءتهم السنوية السرية وكافة الشروط الأخرى تتناسب مع المناصب المرشحين لتوليها أم لا؟!... على أن يتم مراجعة " النشرة " على عدة مستويات بما لا يحتمل حدوث أي " أخطاء أو إهمال "، إلا على سبيل الندرة أو الاستثناء... ترى، لو تم تغيير

جميع القادة والضباط من مراكزهم القيادية قبيل الحرب لفترة صغيرة — [هؤلاء الذين كانوا قد وصلوا — كأمر طبيعي — إلى درجة عالية من الكفاءة القتالية، بعد تأهيلهم، كل حسب مركزه أو وظيفته القيادية، بالإضافة إلى حصولهم على الخبرة العملية من التدريبات في مراحل التدريب القتالي داخل الوحدات — كمجموعات عمل متكاملة، وهو الأمر الذي تطلب عدة سنوات من التدريب الشاق المتواصل] — باستبدالهم بقادة وضباط آخرين، ليسوا على درجة من الكفاءة القتالية، ولا يملكون أي خبرة عملية تتناسب مع المراكز القيادية المعينون عليها أو المهام المكلفون بها حسب الخطة " قاهر "؟

وإذا كان تعيين قائد لوحدة عسكرية بدون استيفائه للشروط اللازمة لتوليه هذا المنصب القيادي ؛ يعني عدم صلاحيته لقيادة هذه الوحدة العسكرية، ويترتب على ذلك — كنتيجة مباشرة لهذا الأمر — سقوط الكفاءة القتالية لهذه الوحدة العسكرية التي اضطلع ذلك القائد بقيادتها... أي لم يعد يعتد بها كوحدة قتالية في الحرب من الناحية الفعلية الواقعية..... نتيجة طبيعية لا تحتاج إلى إثبات.

فما بالك، لو تم تعميم هذا الأمر على جميع وحدات الجيش المصري قبيل الحرب مباشرة؟!

ألا يعني ذلك، ضياع الجيش المصري، وأنه أصبح في " الباي باي " أو أنه تم بالفعل تدميره قبل أن تبدأ المعركة العسكرية؟.... وهو ما سيظهر بالتحديد في وقائع أحداث الحرب الفعلية... **إذن، على أى أساس تم إختيار "القادة" في حرب ٦٧:**

بتطبيق الحكمة " يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب " تقوم إدارة شئون الضباط بوضع الشروط المناسبة لكل منصب من مناصب القوات المسلحة، حيث يُمثل اختيار الضباط لمناصبهم القيادية أحد خطوط الاستراتيجية الهامة والمؤثرة في تنفيذ أهداف القوات المسلحة ومنها الخطة " قاهر "، لتؤكد بصورة قاطعة أن اختيار الضباط لمناصبهم القيادية لابد أن يضمن تحقيق الخطة " قاهر " للدفاع عن الدولة، وعكس هذا المبدأ صحيح: إن اختيار ضباط لمناصب قيادية يشترط فيهم عدم إلمامهم بالخطة " قاهر" يؤكّد أن هناك هدفاً مريباً من وراء هذا الاختيار مطلوب تحقيقه.

الفريق صلاح محسن " قائد الجيش الميداني ":

تم تعيينه في صيف ١٩٦٦، ولما كانت جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة في سيناء تشكل جيش ميداني تحت قيادته - ماعدا الفرقة الرابعة مدرعة

الاحتياطي الاستراتيجي العام للقوات المسلحة والتابعة مباشرة للقيادة العليا للقوات المسلحة - فإنه بالتالي يُعتبر القائد الفعلي الذي قاد المعركة في حرب ٦٧، والمسئول عن عدم تنفيذ أهداف الدولة الاستراتيجية والخطة " قاهر"، وذلك سواء بموافقته على تغيير الخطة " قاهر " وكان في سلطته رفض هذا التغيير والتمسك بتنفيذها، أو مسئوليته عن إدارة المعركة، وبالتالي عن نهايتها المفجعة، مع اعتبار أن القيادة العليا هي أساسًا لمساعدته وليس للتهرب من المسئولية وإلقائها عليها، الأمر الذي يجعل من دور الفريق صلاح محسن قائد الجيش الميداني أهم الأدوار التي صنعت كارثة ١٩٦٧.

قادة التشكيلات الرئيسية:

قام شمس بدران بتغيير قادة التشكيلات الرئيسية ورؤساء أركانهم قبل الحرب مباشرة – بيومين فقط – وعددهم ١٢ برتبة لواء، الأمر الذي يكشف عن أهدافه بصورة سافرة لدرجة الاستفزاز.. حيث قام بتغيير جميع قادة التشكيلات ورؤساء أركانهم في لحظة واحدة، وقبل الحرب بيومين، بالرغم أن جميع كبار القادة أعلنوا صراحة توقعهم للحرب بنسبة ١٠٠٪، بعد قرار الرئيس عبدالناصر بغلق مضيق العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية ، الأمر الذي يؤكد وجود هدف مريب وراء تعيين هؤلاء القادة الذين لا يملكون أي صلاحيات لقيادة تشكيلات في وقت الحرب، هذا بالإضافة إلى مسئولية قادة التشكيلات أنفسهم لقبولهم هذه المناصب، رغم قناعتهم بعدم استطاعتهم تنفيذ المهام المكلفين بها، لعدم إلمامهم بالخطة " قاهر" والتي من المستحيل أن يُلموا بها خلال يومين أو حتى شهرين، وبالتالي فإن عدم اعتذارهم عن قبول هذه المناصب – وكان في استطاعتهم ذلك ، لأن المناصب الرئيسية التي يتوقف عليها مصير الحرب وتعريض الأمن القومي المصري للخطر، يكون لكبار القادة حق الاعتراض عليها – هو ما يؤكّد الشك في وطنية هؤلاء القادة، الذين جاءوا لتنفيذ مهام أخرى خلاف مهام الخطة " قاهر " التي لا يعلموا عنها شيئًا.

- **كتب الفريق الحديدي[11] تحت عنوان تغيير القيادات:**

« إن كنا قد لمسنا من بعيد موضوع نقص الضباط، فلابد لنا هنا أن نلمس أيضًا موضوع القادة الذين كتب لهم القدر أن يكونوا على رأس التشكيلات في الحرب التي اهتز لها تاريخ المنطقة، فبالرغم من مرور بضعة شهور على الحركة الواسعة التي تم فيها تعيين قادة جدد لتشكيلات ووحدات القوات المسلحة،

وبالرغم من الحقيقة الكبيرة والمعروفة جيداً أن الوحدة أو التشكيل يعمل كفريق واحد، يجب أن يكون متفاهمًا ومتجانسًا، ويأتي هذا التفاهم والتجانس أثناء المدة التي يتم فيها اتصال القادة بمرءوسيهم في الظروف المختلفة والمتغيّرة ليتعرفوا على طباعهم وخصائصهم، وكانت المدة التي انقضت منذ صيف عام ١٩٦٦ حتى مايو (أيار) ٦٧، تكاد تكفي للوصول إلى هذا التفاهم والتجانس، ومع ذلك فقد صدرت الأوامر بتغيير عدد كبير من هؤلاء القادة مرة أخرى لأسباب غير واضحة، اللهم إلا إذا كانت الكفاءة قد انتصرت على الولاء أخيرًا، ولكن لدهشتنا عُيِّن بدلهم قادة جدد، بعضهم قليل الخبرة بطبوغرافية سيناء وبخططها الدفاعية، والبعض الآخر انقطعت صلته بالتشكيلات التي كان يقودها من قبل، والجميع لا تربطهم أية علاقة بقياداتهم الجديدة، وهكذا تم نقل غالبية قادة الفرق التي أرسلت إلى مسرح العمليات في أول الأمر، تلك الفرق التي لم ينلها أسلوب الفتح التعبوي، والمكوّنة من خيرة الضباط والجنود.

ومن بين أمثلة القرارات التي نقل بمقتضاها الكثير من القادة ذلك القرار الذي عيّن ضابطًا كبيرًا كان يعمل في عاصمة ألمانيا الغربية، وفي عمل متصل بتدبير احتياجات القوات المسلحة من أوروبا، قائدًا لتشكيل في سيناء بعد أن ساقته الظروف إلى زيارة خاصة مفاجئة للقاهرة، لم يقض فيها إلا بضعة أيام، ولكنها كانت كافية لتقع عليه عيون المسئولين، فيوضع في هذا الاختبار الصعب، ومن سوء الطالع أن يُطالب هذا الزائر تعيين صديق له ليعمل رئيسًا لأركان تشكيله وكان هذا يشغل وظيفة تعليمية كبيرة بالقاهرة، فأجيب إلى طلبه، فيصبح على رأس التشكيل قائدًا ورئيسَ أركان لا تربطهما به سابق معرفة، وقرار آخر مشابه تضمّن نقل قائد فرقة ليتولى قيادة فرقة أخرى قبل الاشتباكات بأيام معدودة فلا هو استطاع أن يتفهم خصائص الذين سيشتركون معه في المباراة المرتقبة، ولا استطاعت فرقته القديمة أن تتعرف على طباع قائدها الجديد.

لا ضرورة لأن أخوض أكثر من هذا فيما نال القادة الآخرين ، ومن مستويات مختلفة من تغيير وتبديل، حيث إن ذلك مسجل بلا شك في وثائق القيادة العامة للقوات المسلحة».

التزم الفريق الحديدي بالخط الذي حددته له "شلة المشير" بتصوير "أحداث حرب ٦٧" على أنها مجرد منظومة من الإهمال والأخطاء والقرارات الارتجالية، مع

الثقة المطلقة في وطنية وإخلاص كبار القادة. ومن خلال هذه الصورة وضع سيناريو الأحداث على شكل أوامر ارتجالية مثل تعيين أحد الضباط برتبة اللواء كان يعمل بعاصمة "ألمانيا" قائد لاحد التشكيلات، وآخر كان يعمل بسفارة باكستان.. وغيرها.. الخ. والصورة غاية في الاستخفاف والاستهبال، ذلك أن القرار كان يشمل تغيير جميع قادة التشكيلات ورؤساء أركانهم بدون استثناء، وليس مجرد قرار فردي يشمل حالة أو اثنين يمكنه اعتبارها حالات استثنائية تمت بمبرر الأخطاء أو الارتجالية، الأمر الذي يثبت أنها خرجت من سياسة محددة واضحة المعالم تؤكد وحدة الفكرة و الهدف للقيادة التي رسمت هذه السياسة ، حتى يظهر بصورة قاطعة أن القرار اشترط اختيار جميع القادة ممن لا تتوفر فيهم أي شروط لازمة لتولي تلك المناصب بصرف النظر أنهم قادمون من ألمانيا أو باكستان أو حتى من القاهرة، فكلهم حائزون على شرط الجهل التام بالخطة "قاهر"، ثم الأهم توقيت القرار ليكون قبل الحرب بيومين. الأمر الذي يحتم الإضرار بالأمن القومي المصري.

أما عن تأكيد "الحديدي" على تبرير "شلة المشير" جريمة تغيير وتبديل القادة قبيل حرب ٦٧، باستخدام مبدأهم الفاجر "الولاء قبل الكفاءة"، هو اعتراف صحيح وسافر بارتكابهم هذه الجريمة عن قصد ومع سبق الإصرار والترصد، وليس على سبيل الخطأ والإهمال "... حتى كشفت القضية عن وجههم الغاية في القبح والوقاحة، في أسلوب الاستخفاف والاستهبال، بالتلاعب بفكرة هذا المبدأ الفاجر. مرة بتطبيقه وأخرى بعدم تطبيقه، فى حين أنه في الحالتين تم تعيين قادة غير صالحين للمناصب القيادية المعينون عليها!!.

ونؤكد مرة أخرى على توضيح "الحديدي" لأسلوب استخدام " شلة المشير " فلسفة تطبيق مبدأ "الولاء قبل الكفاءة"، كمبرر جاهز لأي قرار مشبوه، يستحيل أن يعلنوا حقيقته، وفى هذه القضية أستخدم الفريق الحديدي أسلوب الاستخفاف والاستهبال بالتلاعب بفكرة الولاء حين قام مرة بتطبيقها وأخرى بعدم تطبيقها، بالرغم أنه سواء ادعى أن ذلك كان لتطبيق مبدأ " الولاء " أوعدم تطبيقه كانا يضمنا سويًا جهل القادة بالخطة "قاهر" وعدم استطاعتهم تنفيذها!.

قادة الوحدات والقادة على جميع المستويات:

بنفس الأسلوب السابق قام "شمس بدران" بتغيير أغلب القادة على جميع المستويات من خلال نشرات تنقلات، الأمر الذي صنع من هذه النشرات أسباب تحتم جهل القادة بدورهم ومهامهم في الخطة " قاهر" قبل الحرب. ذلك أن القائد الذي لا

يمتلك الكفاءة أو القدرة على القيادة، أو غير ملم بالخطة العسكرية المحددة للحرب، هو نفسه سبب من أقوى الأسباب التي تحتم تحقيق الفشل والهزيمة لوحدته.

- كتب الفريق "الحديدي" [١٢]:

« مع بداية عام ١٩٦٧، كان هناك بالإضافة إلى المشاكل المزمنة موضوع تناقلته الألسن، على مختلف مستويات أصحابها من صيف عام ١٩٦٦، ومع ذلك لم ينته طنينه أو التعليق عليه، ولم ينس نهائيا إلا بالاشتباكات التي بدأت صباح يوم ٥ يونيو (حزيران).

ففي صيف ١٩٦٦، أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة حركة تعيينات وتنقلات واسعة بين القادة والضباط، شملت عددا كبيرا منهم من أكبر الرتب إلى أصغرها، احتاج تسجيلها إلى كتابة عشرات الصفحات، وكانت حركة التعيينات والتنقلات هذه مثار تعليق جميع الرتب، ونظر كل منهم إليها – بطبيعة الحال – من زاوية معينة، وارتبطت غالبًا هذه النظرة بأثر هذه التعيينات على شخصه، ولكن كانت جميع الآراء متفقة على استنتاج واحد، وهو أن هذه العملية كلها كان الدافع إليها تطبيق مبدأ: "الولاء قبل الكفاءة".

وذهب تعليق الضباط على هذه الحركة مذاهب شتى، فلم يبق قائد في وظيفته – إلا نادرًا – حتى وإن كان قد أثبت كفاءة وحقق نجاحًا، بل إن بعضهم نُقل إلى نفس مستوى وظيفته في داخل نفس اللواء أو الفرقة، وفي نفس المحطة العسكرية التي يخدم فيها، الأمر الذي لا يبدو من أول نظرة أنه حقق أي هدف واضح، ولكنه في الحقيقة قد وازن بين ثقل الولاء في التشكيلات ومحطات عملها.

كان من الطبيعي وحركة التنقلات بهذه الضخامة، ومبدأ الولاء هو المحرك الأصلي لها، أن يبرز عدد كبير من القيادات الهامة التي شغلها قادة غير أكفاء، لم يُثبتوا فى أثناء خدمتهم السابقة هذه الكفاءة، أو حتى الرغبة في إظهارها، فقد كان كثير منهم من الطبقة ذات الولاء العالي، عملت مددًا طويلة في الرئاسات المختلفة، حتى وصلت إلى رتب كبيرة، ولم يخدموا إلا في القاهرة أو ضواحيها».

تغيير وتبديل قادة حرب ٦٧ في الميزان:

من الواجب تحديد قيمة التأثير الفاعل لمسألة " تغيير وتبديل القادة في المراكز القيادية قبيل الحرب، على نتيجة الحرب... وهل تعتبر هذه المسألة أحد أهم أسباب

هزيمة ٦٧؟... وقد نرى في تشبيه هذه المسألة بصورة مألوفة لدى القارئ العادي ؛ أبلغ من كثرة الشرح، وذلك في صورة اشتراك فريقنا القومي لكرة القدم في مسابقة لكأس العالم.

تُرى، ماذا لو، قام المدرب المسئول بتغيير جميع لاعبي الفريق القومي لكرة القدم وكذلك جميع الاحتياط [والذين كانوا قد تم انتقائهم من أحسن اللاعبين، وإعدادهم حتى وصلوا إلى مستوى عال ومشرف، كفريق على أعلى مستوى في الكفاءة لكرة القدم] – بآخرين من قدامى اللاعبين – [الذين كانوا قد تركوا الملاعب، ولم يمارسوا اللعبة لعشرات السنين، حتى أصبحوا لا يملكون أي كفاءة أو لياقة بدنية تؤهلهم للعودة إلى الملاعب... حتى وكأنهم نسوا شكل كرة القدم نفسها] – وذلك قبل المباراة النهائية لكأس العالم بعدة أيام؟!

كيف تتخيل شكل هذه المباراة؟.... هل يختلف أحد عن الإجماع في توقع نتيجتها المسبقة؟.... وما هي، الفكرة الفلسفية للمدرب المسئول في تغيير اللاعبين قبل المباراة بأيام وما هي الغاية أوالهدف من ورائها؟....

هل ترى في هذا التصرف حسن النية، والإخلاص للوطن، وأنه على سبيل الخطأ أو الإهمال، أو التخبط "؟!....

ألا ترى، أنها لا تعدوا أن إحداث كارثة قومية كروية.... تصيب جمهور الكرة المصري بصدمة نفسية، وإحباط.... حين يصنع ذلك المدرب الأسباب التي تحتم هزيمة ساحقة مهينة للفريق القومي المصري، لم تحدث في تاريخ الملاعب.... بل ولا في تاريخ كرة القدم منذ الأزل... طالما أساءت لسمعة مصر والمصريين... وأصبحت مضرب للأمثال في هذه اللعبة.... ودليل إثبات أمام العالم أجمع على تخلف مستوى مصر الحضاري في الرياضة.

تعالى ننظر ونعتبر، من مضمون وجوهر هزيمة فريقنا القومي في حالتنا هذه طالما أن المسألة ليست في الهزيمة في حد ذاتها.... لأن الرياضة غالب ومغلوب.... وعلى جمهور الكرة أن يتقبل الهزيمة مثل النصر تماماً... حتى أنه قد يحوز بإعجابه الفريق المهزوم أكثر من الفريق الفائز... ذلك بما قدمه من عرض خلال المباراة، أظهر فيها مهاراته وجديته... حتى أنه كاد أن يفوز، لولا أن التوفيق لم يحالفه.

تعالى نستخلص العبرة هنا، في أن الهزيمة الساحقة المهينة لم تحدث لأسباب طبيعية تقليدية، مثل أي هزيمة في أي مباراة... ولكن العبرة جاءت في أن أسباب تلك الهزيمة صنعها المدرب المسئول حين قام: " بتغيير اللاعبين الأكفاء بآخرين لا

يملكون أي كفاءة في اللعبة "... وهو على دراية ووعي وعلم بنتيجة ما أقدم عليه، وأنها الهزيمة الساحقة الماحقة، لا محال، وأنه بهذه الأسباب لم يصنع فقط مجرد هزيمة، حينما خرج عن حدود جوهر الهزيمة، ليصنع أسباب الكارثة القومية الكروية، طالما أن الصراع على الكرة لإحراز الأهداف لم يحدث بين الفريقين...: والذي هو مضمون وجوهر اللعبة.

مباراة وكأنها من طرف واحد... هو الذي يسدد الكرة ويحرز الأهداف... أما الفريق المصري فما برح عن عجزه وخذلانه، يتلقى الصفعات والركلات... صورة مخزيُة تجسد روح التخاذل والتقاعس للمصريين الذين جاءوا ليهزموا... وهو الأمر الذي أخرج المسألة من كونها مجرد هزيمة تحدث لأحسن الفرق الرياضية... إلى كارثة قومية رياضية أصابت جمهور المصريين بالإحباط واليأس من اللعبة بأكملها، ومن فريقها القومي الذي لا نخوة ولا مروءة له.

تُرى... والأمر كذلك، أمام أعيننا واضح غاية الوضوح، هل يمكن أن تختلف وجهات نظرنا في تحديد أسباب كارثة الفريق القومي في كأس العالم؟

هل يمكن أن نتخيل أن أحد وجهات النظر – والتي مع الأسف أصبحت سائدة – تبرئ المدرب المسئول – ! والذي صنع أسباب تلك الكارثة القومية عند قصد ونية مبيتة ! – باعتباره ضحية تغرير الزعيم جمال عبد الناصر الذي زج به للاشتراك في مسابقة ليس له قدرة ولا طاقة عليها؟!.

هل يمكن أن نشكك في كل الإمكانات المادية والمعنوية التي وفرتها الدولة لجهاز الرياضة، وفي المنهج العلمي الذي وضعته لرفع مستوى الرياضة في مصر، وفي مراحل تدريب اللاعبين منذ النشئ... وفي مدارس الألعاب الرياضية... وفي كفاءة أساتذة التربية الرياضية، والاستعانة بالخبراء الأجانب... حتى يصل الشك إلى نظام الحكم نفسه: باعتباره أفرز هذه الهزيمة النكراء... لنقلب النظام الاشتراكي " إلى نظام ليبرالي "... ثم نرفع بكل وقاحة شعار الهزيمة كرمز لزعيم الأمة الخالد جمال عبد الناصر ونظامه الاشتراكي الناصري؟.

التخطيط لتحقيق المفاجأة لإسرائيل وتدمير الطيران المصري

٤ - نظام الانذار فى الدولة المصرية:

ومن البديهي أن يرتبط تحقيق المفاجأة للعدو بنظام الإنذار، ذلك أن سوء نظام الإنذار أو وجود خلل فيه يؤدي بالتالي إلى عدم وصول إشارة الإنذار إلىالوحدات

العسكرية المكلفة بالتصدي لجيش الأعداء، وبالتالى تحدث "المفاجأة" بوصول جيش الأعداء والأمة تمارس حياتها الطبيعية، دون أن تستعد للقتال والحرب.

وقد نشأ نظام الإنذار من قديم الأزل، وهو في أبسط أشكاله دفع بعض الأفراد قرب الحدود والأماكن المحتمل قدوم الأعداء منها، للملاحظة والتبليغ عن تقدم جيوش الأعداء، حتى لا تفاجأ الأمة وهي تمارس حياتها الطبيعية بهجوم الأعداء فيأخذوا على غرة، وقد تطورت نظم للإنذار مع تطوّر العصور والحضارة، بدأت باستخدام الحمام الزاجل والمرايا العاكسة وغيرها، ووصلت في العصر الحديث إلى نظام غاية فى الدقة و الكمال، حيث انقسم إلى ثلاث أنواع من الإنذار: " استراتيجي، تعبوي، تكتيكي ".

الإنذار الاستراتيجي:

أهم واجبات جهاز المخابرات العامة بالتعاون مع إدارة المخابرات الحربية هو: إنذار جميع أجهزة وهيئات الدولة " مدنيين، أو عسكريين " بنيّة العدو للهجوم، والتي يُستدل عليها بعدة ظواهر، منها: إعلان العدو الإسرائيلى عن "التعبئة العامة " - تحرك القوات الإسرائيلية لمناطق الحشد - النشاط العسكري عمومًا "، على أن هذا الإنذار يكون قبل اليوم المتوقع لهجوم العدو بمدة ٧٢ ساعة على الأقل.

وقد قام الاتحاد السوفيتي، وسوريا بإبلاغنا عن الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية، الذي اعتبر بمثابة إنذار استراتيجي لمصر، وذلك لارتباط "مصر" مع "سوريا" بمعاهدة دفاع مشترك، وهو الأمر الذي يوجب على مصر دخول الحرب مع "سوريا" التزامًا بالوفاء بتلك المعاهدة، وقد قامت الحكومة المصرية بتنفيذ كافة الإجراءات الواجبة في هذا الشأن، وأهمها إعلان القطاعين "المدني والعسكري" على السواء بالحرب، حتى تقوم جميع أجهزة ومؤسسات الدولة، وكذلك جميع مؤسسات المجتمع المدني ـ فضلاً عن الجيش ـ بكافة الإجراءات الواجبة استعدادًا للحرب. أما على مستوى الجيش فإن هذه الإجراءات تتركز في ثلاث محاور: " رفع درجات الاستعداد القتالي للجيش ـ تحرك الجيش إلى "سيناء" لتنفيذ الخطة "قاهر ـ إعلان التعبئة العامة"، وسيتم عرض هذا الموضوع بالشرح في الفصل التالى من هذا الكتاب

الإنذار التعبوي:

أما الإنذار التعبوي فهو إنذار قطاع محدد، مثل شبه جزيرة سيناء بتحرك جيوش العدو فعلاً في اتجاه هذا القطاع بنية الهجوم، ومسئولية الإنذار التعبوى تقع

على قائد القوة المكلفة بالدفاع عن القطاع، وهو قائد "الجيش الميدانى "الفريق صلاح محسن" في حرب ٦٧، حيث يقوم بوضع " نظام إنذار " كامل، يضمن به إنذار القوات الأمامية المتاخمة للحدود السياسية مع إسرائيل – وكذلك باقي القوات – عند تحرك العدو لبدء الهجوم، حتى لا تؤخذ على غرة، وبالتنسيق مع هيئة عمليات القوات المسلحة وهيئة الأركان العامة.

ويختلف "الإنذار التعبوي" عن" الإنذار الاستراتيجي"، في أن الأول يعني تجمّع القوات الاسرائيلية في مناطق الحشد الأمامية استعدادًا للتحرك فعلاً في اتجاه الحدود السياسية، ثم عبورها الحدود في اتجاه قواتنا، أي أنه إنذار بوقوع الحربَ فعلا، أما الثاني " الإنذار الاستراتيجي " فهو مجرد توقع لحدوث الحرب والهجوم الإسرائيلي خلال ٧٢ ساعة، وقد يتم الهجوم أو لا يتم.

وأهـم عناصر نظام" الإنذار التعبوي" المصري عنصران، هما: " نطاق الأمن" – "محطة انذار عجلون بالأردن".

٥- نطـاق الأمـن:

بعد اعلان الانذار بالحرب، وعمل جميع الاجراءات الازمة، وبوصول القوات المصرية الى مواقعها الدفاعية بسيناء انتظارا للقاء العدو والمعركة المرتقبة.

ولكن، تُرى متى يبدأ هذا الهجوم؟ وهو أمر بالتأكيد يصعب تحديده...ولما كان من الصعب، أن تظل القوات جاهزة على أهبة الاستعداد طوال اليوم بصورة مستمرة..وذلك لتلبية حاجات الأفراد من ضرورات الحياة من: " مشرب ومأكل وأخذ قسط من الراحة والنوم، مما دعى خبراء وأساتذة التكتيك إلى وضع نظام يضمن إنذار القوات الأمامية بتحرك قوات العدو، وذلك بأن تدفع الوحدات الأمامية التي على الحد الأمامي، والمعرضة لتلقي أول موجة للهجوم الإسرائيلي، وحدات صغيرة في الأمام في اتجاه إسرائل للمراقبة والحراسة والتبليغ عن تقدم العدو وبدء الهجوم، وذلك بإعطاء "إشارة إنذار" بوسيلة يتفق عليها، وبذلك يتمكن باقي الأفراد من أخذ قسط من الراحة والإعاشة اليومية وممارسة بعض الأنشطة، على أن يندفع جميع الأفراد لاحتلال مواقعهم وأخذهم أهبة الاستعداد لملاقاة العدو بمجرد سماعهم "إشارة الإنذار"، من أفراد الحراسة.

وتتكون الوحدات الصغيرة المكلفة بالتبليغ والحراسة من كتائب "الصاعقة والاستطلاع والحدود، وتندفع في الأمام، وتنتشر في المنطقة التى بين خط الحدود السياسية مع إسرائيل وبين الحد الأمامي لقواتنا، وتعمل على شكل: "دوريات سيارة

على الحدود السياسية، ونقط حراسة، ونقط تصنّت، وكمائن، ومواقع دفاعية صغيرة أو نقط قوية"، على أن تعمل هذه الوحدات على الخطوط أو المحاور المحتمل تقدم العدو الإسرائيلي عليها ، بحيث لابد وحتمًا أن تصطدم القوات الإسرائيلية المتقدمة في اتجاه مصر بهذه الوحدات الصغيرة، **وتُكوّن هذه الوحدات الصغيرة في مجموعها " نطاق الأمن ".**

وسلسلة تبليغ إشارة الإنذار تبدأ من أحد وحدات " نطاق الأمن " إلى أقرب وحدة عسكرية لها مباشرة، باعتبار أن أقرب وحدة هي أيضًا أول وحدة سيهاجمها العدو الإسرائيلي، وبالتالي فهي الأولى بالإنذار والاستعداد، ثم تقوم هذه الوحدة بتبليغ القيادة التابعة لها، وهكذا، و فى نفس الوقت تقوم كل قيادة بتبليغ الوحدات التي تتبعها، حتى تصل الإشارة إلى قيادة الجيش وهيئة العمليات بالقاهرة، على أن تقوم وحدات "نطاق الأمن" بالانسحاب، بعد إعطائها إشارة الإنذار إلى داخل الجسم الرئيسي لقواتنا في الحد الأمامي للدفاعات بمعنى أنه ليس من واجبها الاصطدام مع العدو والتشبث بالأرض ولكن مهمتها هي الإنذار والتبليغ عن تقدم وبدء هجوم العدو، والاشتباك معه أثناء انسحابها.

وتعتبر أول إشارة إنذار ببدء هجوم العدو بمثابة: "الإنذار التعبوي"، أما باقي الاشارات التالية، فهي مجرد بلاغات تقدم معلومات عن تقدم العدو الاسرائيلي، أونتائج اشتباكات هذه الوحدات أثناء انسحابها. كذلك يمكن اعتبار أول إشارة بمثابة إعلان للحرب وبدء هجوم العدو، وبذلك تبدأ القوات المصرية فورا بتنفيذ كافة إجراءات الخطة الدفاعية، والتي تبدأ بمعارك "نطاق الأمن" لستر انسحاب هذه الوحدات، وكذلك تدمير قوات العدو الإسرائيلي وهي في أضعف مراحل هجومه، وذلك أثناء تحركه في "أرتال" وقبل وصوله للحد الأمامي لقواتنا، باستخدام المدفعية الثقيلة، والمتوسطة، والطيران.

ومما سبق نستطيع تلخيص أهم أسس نظام عمل "نطاق الأمن" والتي بضياعها يختل نظام "نطاق الأمن" ولا تصل إشارة الإنذار لقواتنا فى الوقت المناسب فتؤخذ قواتنا على غرة وتحدث المفاجأة فى الآتي:

- "نطاق الأمن" من صلب عناصر الوحدات المقاتلة المرابطة على خط الدفاع الرئيسي، ومكانها بين الحدود السياسية والحد الأمامي لقواتنا، ومهمتها تبليغ وإنذار القوات الأمامية والأقرب لإسرائيل ببدء هجوم العدو الإسرائيلي.

- سلسلة تبليغ إشارة الإنذار تبدأ من وحدات " نطاق الأمن" - مباشرة- إلى أقرب وحدة عسكرية، باعتبار أنها أول من ستُهاجم بالمدرعات الإسرائيلية، على أن تقوم بتبليغ القيادة الأعلى والجوار، والمرؤوسين.. وهكذا.
- أهمية معارك "نطاق الأمن"، وحيث تكون قوات العدو في أضعف مراحلها أثناء تقدمها في أرتال، ثم سلسلة الفتح في تشكيلات المعركة ويتم منها ضربها وتدميرها بالطيران والمدفعية قبل أن تصل إلى الحد الأمامي لقواتنا.

٦ - الإخلال بنظام "نطاق الأمن" يصنع المفاجأة لجيش الأعداء:

أما الإخلال واللعب والتغيير في نظام "نطاق الأمن" بما يحقق عدم وصول "إشارات الإنذار" - ببدء هجوم العدو - لقواتنا،فهو ما يعنى صناعة المفاجأة لإسرائيل، وهو ما قامت به" القيادة العليا"وذلك بالتخطيط المسبق بتغيير الأسس الثلاثة، التي تحدد طبيعة وجوهر عمل "نطاق الأمن" كالآتي:

أ - عزل " نطاق الأمن " بكامله عن الجيش الميداني، على أن يتبع قياديا مكتب المخابرات بالعريش، التابع لمكتب "ابن بدران"، ويقوم المكتب بتجميع بلاغات وإشارات الإنذار من وحدات "نطاق الأمن" ويرسلها إلى ابن بدران "بالقيادة العليا" بالقاهرة حيث يحتفظ بالأشارات لحين أن يتحقق المفاجأة لإسرائيل، وهو ما يخالف قواعد ونظم الحرب، والتي تلزم بتبعية "نطاق الأمن" لقادة القوات الأمامية بسيناء، والأمر ليس فيه وجهات نظر أو رؤى فكرية، أو إلهام عبقري.

ب - تغيير سلسلة تبليغ الإنذار، والتي تبدأ بإنذار الوحدات الأقرب من إسرائيل – وذلك لكونها أول الوحدات التى ستصطدم بأى هجوم إسرائيلى بري- إلى نظام آخر يتلخص فى قيام " إشارة الإنذار " برحلة طويلة، تبدأ من الحدود السياسية مع إسرائيل بسيناء إلى العريش، الى " القيادة العليا" بالقاهرة، وذلك لمنع وصولها إلى قواتنا المقاتلة، بدلا من سرعة وصول الإنذار إليهم، وهو الأمر الذي تم تدبيره ليحقق المفاجأة لإسرائيل في حرب ٦٧، حيث بدأت أول رحلة بلاغ الإنذار- بهجوم العدو- من أحد وحدات " نطاق الأمن " بسيناء إلى مكتب المخابرات بالعريش واستلمها الساعة ٤ صباحًا رئيس المكتب المقدم إبراهيم سلامة، حيث أرسلها إلى مكتب "ابن بدران" بالقيادة العليا الساعة ٧ صباحًا وظلت الإشارة داخل "القيادة العليا" حتى الساعة ٩.٤٠

صباحًا بالقاهرة وبالتالى لم تبلغ "اشارة الانذار" للقوات الجوية حيث أخذت على غرة، وتم تدمير جميع الطائرات المصرية على الأرض منذ الساعة ٨:٤٠. كذلك هاجمت المدرعات الاسرائيلية قواتنا البرية من الساعة ٩ صباحا...كل ذلك و"إشارة الإنذار" ما زالت فى مكتب "ابن بدران" بالقاهرة.

ج - عدم تقديم المعاونة لوحدات " نطاق الأمن " أو ستر انسحابها بالتغطية بنيران المدفعية والطيران ونيران الوحدات الأمامية، الأمر الذي أدى إلى القضاء عليها بسهولة، ونشير هنا إلى أهمية اشتراك الطيران المصري، والذي كان سليمًا حتى الساعة ٨,٤٠ صباحًا، الأمر الذي يعطى المبادأة للطيران المصري قبل الطيران الإسرائيلي بأكثر من ٤ ساعات (أول بلاغ إنذار كان الساعة ٤ صباحًا).

- كتب "استاذ اللامبالاة" الفريق أ. محمد فوزي (٤٢) تحت عنوان "الإنذار الأول":

« تجمعت لدى الدوريات الأمامية لوحدات نطاق الأمن، مشاهدات أنوار وسماع أصوات عربات جنزير في مناطق فتح وحدات العدو واستعداده للهجوم، حوالي الساعة ٤ من صباح يوم ١٩٦٧/٦/٥.

وصلت هذه المعلومات إلى مكتب مخابرات العريش، الذي كان يعمل كمركز استطلاع تعبوي للجيش في نفس الوقت. وقد حاول هذا المكتب التوفيق والتجميع والتحليل لهذا الإنذار بوسائله الأخرى. وأرسل إشارة في الساعة ٧ صباحا من نفس اليوم إلى قياداته العليا بمكتب وزير الحربية شمس بدران بكوبري القبة، هكذا كان أسلوب الاتصال منذ زمن، ولم يعدل هذا الأسلوب ولا استطاع أحد أن يعدله كرؤية لاحتمال قيام العمليات الحربية أو كجزء من تنظيم وإدارة العمليات الحربية.

استقبل الضابط المناوب في كوبري القبة هذه الإشارة، وأرسلها إلى مكتب المشير حيث كان نائما في القيادة العامة بمدينة نصر، استلم هذه الإشارة المقدم على شفيق صفوت مدير مكتب المشير، وعرضها عليه فى غرفة نومه عقب استلامها، أي حوالي الساعة ٧ صباحا، ولم يعلق المشير او المقدم على شفيق صفوت بأي تعليق على فحوى الإشارة، إلا أني علمت بعد ذلك متأخرا في نفس اليوم أى ١٩٦٧/٦/٥، أن هذه الإشارة وصلت إلي الجهة المعنية، أى هيئة عمليات القوات المسلحة فى الساعة ٩.٤٠ أى بعد حدوث الهجوم الفعلى».

لاحظ، التضليل والتدليس في طرح شيخ الكذابين "محمد فوزي" للقضية في الآتي:

- ذكر شيخ الكذابين أن إشارة الإنذار أرسلت من مكتب مخابرات العريش إلى مكتب " ابن بدران " وزير الحربية، وهو يعلم أن " ابن بدران " ضمن تشكيل القيادة العليا، التي تدير العمليات والحرب... إذن، فالإشارة أرسلت إليه ليس بصفته " وزيرًا للحربية " ولكن بصفته القائد الحقيقي والفعلي للمعركة، والذي كان متواجدًا مع المشير عامر داخل غرفة العمليات " بالقيادة العليا " بصورة مستمرة، وذلك بإجماع شهود هذه الأحداث، حيث لم يفارق المشير عامر منذ بدء أزمة ٦٧ في ٦٧/٥/١٤ وحتى نهاية الحرب لحظه واحدة، حتى أنه كان ينام معه في غرفة واحدة في " القيادة العليا ".
- ثم ذكر " شيخ الكذابين " أن " إشارة الإنذار " أرسلت بعد ذلك من مكتب "ابن بدران " إلى مكتب " المشير عامر " في حين أن مكتب " ابن بدران " هو نفسه مكتب " المشير عامر "...... بمعنى أنه ليس هناك مكتبان أحدهما " لابن بدران " والآخر " للمشير عامر " إنما هو مكتب واحد كان اسمه " مكتب المشير"، وأصبح اسمه " القيادة العليا ".... هذا مع حشر اسم المقدم على شفيق في الموضوع بهدف التضليل ذلك أن التلاعب بالمصطلحات أو الوظائف أو الألقاب أو الأسماء، يمكنه " الإيحاء " بمضمون ومعنى مغاير للحقيقة، وذلك لتحقيق توجه سياسي معين، قد يكون في أقل صورة، إحداث لخبطة للقارئ في أركان القصة حتى لا يصل فيها إلى أي معنى أو فكرة.
- لاحظ على وجه الخصوص إلحاق " شيخ الكذابين " وظيفة وزير الحربية "بابن بدران " دائمًا، وذلك للإيحاء لدى القارئ بأن " ابن بدران " يشغل وظيفة مدنية تتبع السلطة التنفيذية للدولة، وليس قائدًا ضمن تشكيل " القيادة العليا " يمثل فيها العنصر الفاعل الرئيسي في إدارة العمليات الحربية، في حين أن العكس كان المفروض أن يكون عند تناوله لدور " ابن بدران " في أحداث المعارك الحربية، حيث كان من الواجب عليه أن يلغي – مؤقتًا – صفته كوزير للحربية، فليس داخل غرف العمليات والحرب مكان " للوزير " ولكن المكان للقادة الذين لهم دور ووظيفة رئيسية في" القيادة العليا".
- لم يذكر " شيخ الكذابين " شيئًا عن الأسلوب الصحيح المفترض أن يتم التعامل معه مع إشارة الإنذار ببدء هجوم العدو للحرب، كما حددتها قوانين ونظم الحرب والتعليمات المستديمة، باعتبارها أخطر إشارة يترتب على التهاون في

الالتزام بالعمل فيما يختص بشأنها. تعرض الأمن القومي للخطر،... ولا يخفى على علم أي مواطن عادي. كيف أن هذه الإشارة تحدث في متلقيها شحنة كهربية شديدة، تسري في كيانه، تدفعه لتوصيلها بسرعة رهيبة إلى من يليه في سلسلة التبليغ المحددة، حين يتحول كل ما هو متاح في خدمة سرعة توصيل الإشارة... إلا أن " شيخ الكذابين " عرض قصة " إشارة الإنذار لهجوم العدو " وكأنها: " إشارة إنذار بوصول عربة بطيخ أو مشمش إلى سوق روض الفرج ".

- رغم الأكاذيب وأسلوب التضليل في صناعة السيناريو والأحداث الدرامية لقصة شيخ الكذابين "محمد فوزي"، والتي تهدف لإخفاء مسئولية جنرالات "شلة المشير" في تغيير "نظام الإنذار" إلى نظام آخر ؛ يضمن تحقيق المفاجأة لإسرائيل... إلا أنه لم ينجح في تبرير احتفاظ "ابن بدران" بإشارة الإنذار بهجوم العدو الإسرائيلي داخل القيادة العليا من الساعة ٤ صباحًا حتى الساعة ٩ صباحًا ؛ لحين حققت إسرائيل المفاجأة وتدمير قواتنا الجوية ووصول مدرعاتها لمهاجمة الحد الأمامي لقواتنا بغتة – بصرف النظر عن تقسيمه هذه المدة الزمنية ما بين مكتب "مخابرات العريش" و "ابن بدران" الغير مفهوم والغير مبرر– الأكثر من هذا، إسقاط "شيخ الكذابين" سيل البلاغات عن تقدم العدو الإسرائيلي، التي أرسلتها وحدات نطاق الأمن منذ ٤ صباحًا حتى ٩ صباحًا، وأين ذهبت هذه البلاغات؟!... هل احتفظ بها مكتب مخابرات العريش؟! أم احتفظ بها " ابن بدران " بالقيادة العليا؟!... ولماذا لم يذكر سوى إشارة واحدة فقط تلك التي أرسلت الساعة ٤ صباحًا؟!.

وفى النهاية... نلخص مضمون النظام الجديد أو نظام " الرحلة الطويلة للإشارة "فى أنه: " نظام يضمن منع وصول إشارة الإنذار بهجوم العدو الإسرائيلي، المرسلة من وحدات " نطاق الأمن " إلى قواتنا المحاربة، حتى يتم تحقيق المفاجأة لإسرائيل"، و ذلك بتدميرها للطيران المصري ودفاعنا الجوي، ومهاجمة قواتنا الأمامية على غرة، بعد ذلك يتم تبليغ الإشارة باعتبارها بلاغ عن خبر لا قيمة له.

٧- "محطة إنذار عجلون" بالأردن:

- **كتب الفريق أ. محمد فوزي [٣٣] تحت عنوان " الإنذار الثاني":**

> « في "محطة عجلون للإنذار المبكر" بقرية عجلون بالأردن جهاز رادار ممتاز ويرتفع ٤٠٠٠ قدم عن مستوى السهل الساحلي بإسرائيل ومدى عمله جيد جدًا ، وتم ربطه لاسلكيًا بشفرة بسيطة على جهازين للاستقبال ؛ أحدهما يمثل مصدر

المعلومات الاستراتيجية والتعبوية لمصر "ج.ع.م" والقوات المسلحة، وهو محطة إرسال واستقبال كبيرة في مكتب شمس بدران بكوبري القبة. وجهاز الاستقبال الثاني كان بغرفة العمليات الرئيسية للقوات الجوية والدفاع الجوي بمنطقة الجيوشي، وهو مركز الاستقبال الرئيسي، بينما كان مكتب الوزير هو الفرعي، أي يستمع فقط لما يُذاع في المركز الرئيسي، هكذا كان تنظيم تبادل المعلومات.

وفي الساعة السابعة بتوقيت إسرائيل، والثامنة بتوقيت مصر، بثت محطة عجلون للإنذار المبكر إلى المحطتين معلومات عن وجود موجات متتابعة من مقاتلات إسرائيل تتجه نحو الجنوب مترجمة باللفظ الكودي "عنب.. عنب.. عنب.

لم تستقبل محطة الاستقبال الرئيسي – بالجيوشي – الإنذار نتيجة خطأ شخصي من عريف الإشارة ، قال عنه في التحقيق: إنه غيّر تردد الاستقبال للوصول إلى استماع أوضح، وفي المرة الثانية قال: إن توقيت العمل بالتردد القديم (حسب جدول العمل بالشفرة) انتهى، فغيّر على التردد التالي. على أي حال، لم يستقبل الإشارة، ولم يصل الإنذار المبكر إلى المركز الرئيسي للطيران والدفاع الجوي عن مصر "ج.ع.م".

أما المحطة الفرعية ، وهي محطة استماع فقط ، خاصة بالمخابرات في مكتب شمس بدران في كوبري القبة ، فقد استلمت الإشارة، وتحليلها واضح ولا يمكن أن يحدث فيه سوء فهم. إنه إنذار أكيد ببدء هجوم طيران العدو على أراضي مصر في اتجاه الجنوب الغربي من إسرائيل، إلا أن الضابط المناوب في كوبري القبة، لم يخطر الوزير ؛ لعدم وجوده في مكتبه بكوبري القبة، أو في مدينة نصر، وبعد مرور حوالي ٤٠ أو ٤٥ دقيقة من استلام الضابط المناوب للإنذار، وبالصدفة خلال مكالمة تليفونية عابرة مع زميله بالمحطة الرئيسية بالجيوشي، أراد أن يُذكره بنفس الإشارة، وما فيها من اسم كودي يدلل على طائرات العدو المغيرة، فقابله الضابط المناوب على نفس المحطة الرئيسية بالتهكم قائلاً: " عنب إيه ويصل إيه..؟! دول فوق دماغنا ". أي أن الطائرات الإسرائيلية تقصف فعلاً مطاراتنا ، وكانت الساعة ٨.٤٥ بتوقيت مصر فعلاً. عدا ذلك لم يصل من أي محطة إنذار أخرى في مصر أي إنذار باقتراب طائرات العدو."»

أ – تحليل وتقييم نظام الإنذار " لجهاز عجلون ":

- يُرسل الأشقاء العرب من قرية عجلون بالأردن إشارة الإنذار ، وطائرات إسرائيل تحلق في السماء متحركة في اتجاه الحدود المصرية، على أن تسبق إشارة "عجلون" اللاسلكية المتحركة بسرعة الضوء الطائرات الإسرائيلية، لتنذر قواتنا لتقوم بالاستعداد للتصدي للطائرات المغيرة.
- إشارة عجلون هي شراء الزمن من الأردن برصيد العروبة والهدف المشترك. وتطير الإشارة لتصل مصر أسرع من طائرات إسرائيل.. فإذا خططت نظام يضيّع الزمن.. فقد ضيّعت القضية.. وضيّعت الجيش المصري.. و ضيّعت الأمة المصرية.. وحققت لإسرائيل المفاجأة والنصر الأسطوري.
- وما دامت القضية هي قضية زمن فإن رأسمالك كله ـ كمخطط ـ هو الدقائق المعدودة بين وصول إشارة عجلون، ووصول الطائرات الإسرائيلية المغيرة، لأقرب أهدافها في مصر، وهي مطار العريش، مع باقي المراكز الحيوية للقوات المسلحة بسيناء. وبحسبة بسيطة تجد أن هذا الزمن لا يتعدى بضع دقائق، وهذه الدقائق القليلة، بالكاد، تكفي لانطلاق النسور المصريين بطائراتهم لاعتراض طائرات العدو المغيرة.

وبهذه الحسبة، وبالدقائق القليلة، تفرض الحلول نفسها، وكأنها حلول حتمية، لا خيار لك فيها، فهل تجد بديلاً ـ منطقيًا ـ لوضع جهاز استقبال في كل مطار من مطارات سيناء الأربعة، علاوة على أجهزة في كل الأماكن الهامة، سواء داخل سيناء أو في كافة أنحاء الأراضي المصرية؟..... جهاز الاستقبال لا يزيد سعره عن جهاز الاستقبال المنزلي ـ الراديو ـ بضع جنيهات!.

هذا ولا ننسى أن إنذار "عجلون" يمثل إنذار "استراتيجي وتعبوي" معًا فيكون بمثابة إنذار للدولة كلها بشقيها "العسكري والمدني".. الجيش والشعب معًا.. مع التأكيد على عدم معرفة أهداف طائرات العدو المغيرة، فيما إذا كانت عسكرية أم مدنية – [مثل تدمير: مصانع أو مفاعل إنشاص الذري أو السد العالي أو مدرسة أطفال لإلقاء الروع وإرهاب المدنيين الآمنين].

وبافتراض أنه لا يوجد سوى جهاز استقبال واحد ـ وهو أمر غاية في الغرابة ـ فإن مكانه الطبيعي هو مطار العريش، الذي يصبح مركزًا لإعادة توزيع وإرسال الإشارة لجميع أنحاء جمهورية مصر عبر موجات الأثير ، في صورة قطعة موسيقية أو

مقطع أغنية متفق عليها ، أو بلاغ في صياغة مفتوحة ، لتستقبلها أجهزة الاستقبال "الراديو" المنزلية المفتوحة داخل مراكز القيادة بصورة مستمرة ٢٤ ساعة في اليوم.

تُرى – هل كان التخطيط يُحقق الاستفادة من الدقائق القليلة لضمان تحقيق أقصى سرعة في وصول إشارة الإنذار لقواتنا المقاتلة؟... أم العكس؟... كان يضمن إضاعة هذه الدقائق القليلة، وبالتالي تحقيق المفاجأة لإسرائيل؟

ب – هل كان التخطيط لنظام الإنذار يضمن تحقيق المفاجأة لإسرائيل؟:

ويتحدد التخطيط في أمرين: الأول: تخصيص جهاز واحد" بمركز الجيوشى" لاستقبال إشارة الإنذار من الأردن وجهاز آخر بمكتب شمس بدران، الأمر الثاني: فهو تشفير إشارة الإنذار من الأردن:

١) تخصيص جهاز واحد فقط لاستقبال إشارة عجلون "المركز الجيوشي" وآخر "لابن بدران":

جهاز استقبال واحد فقط لاغير!!، وحيث وضع الجهاز" بمركز قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى بالجيوشي" بالقاهرة لاستقبال الإشارة وإعادة توزيعها إلى جميع وحدات القوات المسلحة، الأمر الذي يؤدي لضياع الدقائق القليلة جدًا في استقبال الإشارة وإعادة إرسالها إلى جميع المطارات والمراكز الهامة للدفاع الجوي وغيرها في جميع أنحاء الجمهورية.

جهاز واحد فقط!!!

عُرضة بالتأكيد لعدم استقبال الإشارة... عُطل بالجهاز لسوء الاستخدام.. سقط الجهاز على الأرض فانكسر.. الفرد المكلف بتشغيل الجهاز غيّر التردد.. أو غير مدرّب.. أو نام فى أثناء الخدمة.. أو.. أو.. أو..... إلخ.

جهاز استقبال آخر في مكتب "ابن بدران":

ذكر محمد فوزي أن هذا الجهاز خاص بالمخابرات الحربية، وفي مكتب الوزير ابن بدران!!، وليس عليه مسئولية رسمية في تبليغ الإشارة.

على أننا نخالف رأي الفريق أ. محمد فوزي في إسقاط مسئولية "ابن بدران" عن تبليغ الإشارة ؛ باعتباره وزيرًا للحربية، ذلك أنه كان يشغل منصب الرجل الثاني في القيادة العليا، بالإضافة إلى كونه وزيرًا للحربية، وفي جميع الأحوال فقد استقبلت الإشارة وعُلم بخطورة محتوياتها – كما يقول محمد فوزي – فكان عليه – باعتباره سواء وزير للحربية أو عنصرًا في القيادة العليا – تبليغ وحدات الجيش

مباشرة. فضلاً عن إبلاغ "هيئة الإذاعة والتلفزيون" لإذاعة بيان عسكري إلى كافة مؤسسات وأجهزة الدولة فضلاً عن كافة أفراد الشعب ؛ لاتخاذ كافة إجراءات الأمن والوقاية الواجبة في هذا الشأن.

تشفير الإشارة:

كشف الفريق "الحديدي" – وكان معيّنًا رئيسًا لمحكمة " قضية الطيران ومسئوليته عن النكسة " – عن أسباب عدم وصول الإنذار للمطارات، والتي قام بالتحقيق فيها ضمن قضية الطيران، حيث توصلت المحكمة إلى حقيقة الأمر، وبالتالي تكون رواية الفريق "الحديدي" أدق من رواية " محمد فوزي" لاعتمادها على الأدلة والوثائق التي سردت في المحكمة.

وذكر الفريق" الحديدي" في روايته: أنه تم الاتفاق بين" القيادة العليا" المصرية وحكومة الأردن على إرسال إشارة الإنذار مشفرة!! الأمر الذي يكشف عن حتمية إضاعة الدقائق الخطيرة في هذا الأمر.. بداية من ترجمة مضمون إشارة الإنذار إلى شفرة قبل إرسالها من الأردن ثم إعادة ترجمة الشفرة، لمعرفة محتوياتها بعد استقبال الإشارة بالقاهرة.

والسؤال هنا... ما الحكمة في إرسال إشارة عجلون مُشفّرة؟!

والشفرة هي أحد الوسائل التي تحرم العدو من الاستفادة من المعلومات التي تتضمنها الإشارة.

أو بمعنى آخر.. ما هو الضرر لو أرسلت الإشارة مفتوحة و نجحت إسرائيل فى التقاطها وعلمت أننا كشفنا هجومها الجوي؟!

الحقيقة أنه لا يوجد أى ضرر فيما لو أرسلت الإشارة مفتوحة و التقطتها إسرائيل و علمت بمحتوياتها، في الوقت الذي يحدث ضرر شديد عند تشفير الإشارة، وذلك لتضييع الوقت الثمين في إعادة ترجمة الشفرة لمعرفة محتوياتها، مما يؤدي إلى فقد قيمة الإشارة نفسها، وتعرض الجيش والأمة المصرية لخطر الهجوم الجوي المباغت للعدو الإسرائيلي.

وبالتالي يتضح لنا: أن الهدف من تشفير الإشارة هو تضييع الوقت الثمين مما يؤدي إلى تحقيق المفاجأة لإسرائيل.

على أن "الحديدي" كشف لنا عما هو أمرّ وأدهى في مسألة الشفرة، وبالتالي في مسألة تحقيق المفاجأة لإسرائيل، بصورة لا تقبل الجدل أو بصورة مطلقة.

- **كتب "الحديدي"** [44]:

> « إن مفتاح الشفرة لهذه الرسالة كان قد تغيّر في الدقائق الأولى من يوم ٥/٦!! ولم يتمكن من استقبالها في القاهرة من فك رموزها ، حيث إنه استخدم مفتاح الشفرة عن الفترة التي سبقت يوم ٥/٦ بجهل وإهمال».

ما هذا؟!!... مفتاح الشفرة تغيّر في الدقائق الأولى من يوم الحرب نفسه بالضبط!! لا قبل ذلك، ولا بعده!!

خذ التالية... إن "ابن بدران" احتفظ لنفسه بمفتاح الشفرة، ولم يعطه لأحد على الإطلاق، حتى انتهت إسرائيل من تحقيق المفاجأة والتدمير الكامل لقواتنا الجوية!!... وهو مضمون ما ذكره "محمد فوزي" في الاتصال التليفوني بين الضابط المناوب بمكتب "ابن بدران" الذي استقبل إشارة الإنذار ونظيره بمركز الجيوشي، الذي استقبل نفس الإشارة، وأنهما تشاورا في هذا الأمر.. وبالتالي فهو يكشف عن عدم معرفتهما للشفرة، وإلا فعلى ماذا كانا يتشاورا؟! حتى إذا ما ظهرت طائرات العدو الإسرائيلي المغيرة فوق رؤوسهم، استنتجوا بداهةً – بأنه الأمر المقصود من الإشارة المشفّرة بالرمز "عنب أو بصل".

- **و قد ذكر "محمد فوزي"** [45] **عن سيطرة "ابن بدران" على إشارة الإنذار فى شهادتة:**

> « من ناحية المعلومات الاستراتيجية التعبوية، وأنها تصب في كوبري القبة، معناها: أن الأجهزة كانت موجودة هناك، وكان يسيطر عليها وزير الحربية، الذي ليس له اختصاص في إدارة العمليات.. أو العمليات عمومًا.. ولمزيد من الإيضاح فإن جهاز إنذار عجلون في الأردن يصب في وزارة الحربية بكوبري القبة التابعة للوزير... يعني الإنذار لما يجي أو الإشارة تبلغ لوزير الحربية، ولا تُبلّغ للقيادة العامة للقوات المسلحة.. إلا إذا قال».

ج - الخلاصة:

كيف تحققت المفاجأة لإسرائيل؟

- **هل بتخطيط وذكاء من القيادة الإسرائيلية؟**
- **هل بسبب خطأ أو إهمال أو تخبّط من القيادة المصرية؟**
- **هل بتخطيط من القيادة العليا المصرية؟**

كيف يُعقل أن يُرهن الأمن القومي لأمة في عراقة مصر على جهاز استقبال أشبه بالراديو ببضع جنيهات؟!!

هل كان تغيير مفتاح الشفرة في الدقائق الأولى من يوم ٦/٥، يوم الحرب نفسه، لا قبلها!!.... ولا بعدها!!.... صدفة؟!!!

وهل احتفاظ "ابن بدران" بمفتاح الشفرة لنفسه، وبالتالي عدم فك رموز الإشارة ومعرفة محتواها حتى انتهاء إسرائيل من تدمير قواتنا الجوية... صدفة أيضاً؟

وهل كُنّا في حاجة لإشارة عجلون وأبناؤنا في "نطاق الأمن" كانوا يرسلون لنا إشاراتهم لإنذارنا منذ ٤ صباحًا، أي قبل إشارة عجلون بأكثر من ٤ ساعات، واستمروا يرسلوا الإشارات حتى استشهادهم جميعًا في معارك نطاق الأمن حوالي ٩ صباحًا ؟.

لقد ضحّى أبناؤنا المقاتلون المصريون الشرفاء في "نطاق الأمن" بحياتهم، في سبيل إنذار جيش الأمة المصرية.. وتلقت "شلة المشير" هذه البلاغات عن بدء هجوم العدو، وأخفوها عن قواتنا ليصنعوا المفاجأة لإسرائيل، وليأخذوا جيشنا على غرّة وليصنعوا مجدًا وأسطورة لجيش إسرائيل، وأنه لا يُهزم!

٨- تحقيق المفاجأة لم يحل لغز تدمير القوات الجوية المصرية:

لما كان تحقيق المفاجأة لا يحقق لإسرائيل سوى تدمير نسبه تتراوح من ١٠ إلى ١٥٪ من إجمالي القوات الجوية المصرية، حسب النسبة التي أجمعت عليها وأقرتها مراكز الأبحاث الإستراتيجية العالمية، حتى أن الفريق أ. صدقي محمود نفسه اعترف بذلك، وهو الأمر الذي يؤكد وجود أسباب خطيرة حققت التدمير الكامل لقواتنا الجوية، حتى نكتشف أن الضجة التي أثيرت حول تحقيق المفاجأة تمت بهدف التغطية على الأسباب الحقيقية التي تسببت في التدمير الكامل في القوات الجوية، وهو الأمر الغاية في الغرابة والغير مسبوق أيضًا.

وطالما أن قضية الطيران قد فصل فيها القضاء العسكري المصري، حين قضى بإدانة قائد الطيران الفريق أ. صدقي محمود وآخرين، ولما دارت المحاكمة في سرية ، فإننا نرى أن الوقت قد حان لكشف النقاب عن هذه القضية، وإعلان أسرارها على الرأي العام المصري، ذلك لتقادم القضية وسقوط الأسباب التي فرضت سريتها.

الفصل الحادي عشر

المرحلة التحضيرية لحرب ٦٧

« لابد من الآن أن نعرف بالضبط من هم معنا في الخط .. لأنه في القتال يستحيل أن يكون هناك ناس على الخطين »

هواري بومدين

١ – إعلان الإنذار الاستراتيجي بالحرب... الزعيم يدق طبول الحرب:

في صباح يوم ١٩٦٧/٥/١٤، أعلن الزعيم جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية، "الإنذار الاستراتيجي بالحرب"، إلى كافة أفراد الشعب المصري، وإلى كافة أجهزة مؤسسات الدولة "المدنية والعسكرية" على السواء، وإلى كافة قطاعات المجتمع المدني.. حتى يبدأ الجميع بالعمل بتنفيذ كافة الإجراءات الواجبة في هذا الشأن.

ويطلق على الفترة منذ لحظة إعلان "الإنذار الاستراتيجي بالحرب"، وحتى اندلاع الحرب وبدء الاشتباك الفعلي مع جيوش الأعداء: "الفترة التحضيرية للحرب".... وفيها يتم استجماع كل طاقات الأمة المصرية وكل ما أعدته من قوى مادية ومعنوية لذلك اليوم المشهود... وهي بالتالي تعتبر أخطر فترة مؤثرة على نتيجة الحرب.

وبناء على إعلان الزعيم جمال عبد الناصر "الإنذار الاستراتيجي بالحرب" أصدر المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش المصري التعليمات الواجبة في هذا الشأن للجيش المصري... والتى تنحصر في ثلاث محاور هي:

- رفع درجات استعداد الجيش المصري إلى درجة الاستعداد الكاملة للقتال.
- تحريك وحدات الجيش إلى أماكنها المحددة بالخطة " قاهر ".
- إعلان التعبئة العامة للجيش المصري.

٢– رفع استعداد الجيش المصري إلى درجة الاستعداد الكاملة للقتال:

بمجرد أن تلقى المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش المصري بلاغ "الإنذار الاستراتيجي بالحرب" من الزعيم جمال عبد الناصر – أصدر تعليمات العمليات رقم ١ في الساعة ١٢ ظهر نفس اليوم ١٩٦٧/٥/١٤، وكان نص البند الأول فيها يقرر " رفع درجات الاستعداد للجيش المصري إلى درجة الاستعداد الكاملة".

وإصدار القرار أشبه بإطلاق إشارة بدء السباق مع الزمن لكل "أفراد وهيئات وأجهزة وحدات الجيش المصري" لمراجعة واستكمال كل عناصر ومقومات المعركة- مثل استكمال النقص في "الأسلحة، المعدات، والعربات"، ومراجعة الخطط العسكرية، وتأكيد مهام الوحدات... حتى إذا ما استكمل جميع الأفراد لكل وحدة عسكرية هيئاتهم الكاملة للقتال، يتم تحرك الوحدة فورًا إلى مواقعهم المخصصة لهم للقتال والحرب "بسيناء" حسب الخطة "قاهر"، وذلك بما لا يزيد عن ٧٢ ساعة من صدور القرار.... أما نقد وتقييم ما تم في هذا المحور، فلا نرى ضرورة لعرضه، ذلك لأنه من الموضوعات العسكرية البحتة، والتي قد لا يهضمها القارئ العادي.

٣ــ تحريك وحدات الجيش إلى أماكنها المحددة بالخطة "قاهر":

كان البند الثاني في تعليمات العمليات رقم (١) التي أصدرها المشير عامر والتي أشرنا إليها قرار نصه الآتي: "حشد القوات المسلحة فورًا، على جبهة " سيناء " وتنفيذ الخطة الدفاعية "قاهر"، وكان من الواجب المفترض قيام جميع الوحدات العسكرية المشتركة في الخطة "قاهر" بتنفيذ القرار فورًا... بمجرد إتمام رفع درجات الاستعداد، وخلال ما لا يزيد عن ٧٢ ساعة من صدور القرار... ذلك أن جميع الوحدات العسكرية كانت على دراية تامة بواجباتها ومهامها حسب الخطة "قاهر"... وكان قادة وضباط هذه الوحدات، يقومون باستطلاع أماكن وحداتهم على الخطوط الدفاعية المخصصة لهم في " سيناء "، بصفة دورية... وبالتالي فلم يكن هناك أي مشكلة في سرعة تنفيذ الوحدات للخطة " قاهر"(*).

إلا أنه ـ مع الأسف ـ قامت "شلة المشير" بعقد عدة مؤتمرات داخل "القيادة العليا"، وأصدرت منها عدة تعليمات بتغيير مهام وأوضاع الوحدات والوسائل العسكرية بما يخالف مضمون وجوهر الخطة "قاهر"، وبما يخالف أيضًا قواعد ونظم الحرب التي تؤكد على ضرورة الالتزام بالخطة الموضوعة وعدم المساس في هذا الوقت الحرج بهذه الخطة بأي حال؛ إلا في أضيق الحدود وعند الضرورة الشديدة.

(*) ملحق (أ) تعليمات العمليات رقم (١) التي أصدرها المشير عبد الحكيم عامر.

أ - هل يجوز تغيير خطة الدولة العسكرية " قاهر" لحظة نشوب الحرب؟

يعتبر تغيير الخطة " قاهر" أخطر عامل فاعل بصورة مطلقة صنع الكارثة. ذلك أنه خلق الأوضاع السيئة للقوات المصرية على مسرح العمليات لحظة نشوب الحرب، الأمر الذي حتّم صدور قرار الانسحاب إلى خط الممرات، وذلك لإصلاح تلك الأوضاع السيئة على الأرض، لإعادة اتزان الشبكة الدفاعية، مما أتاح الفرصة لـ"شلة المشير" لصناعة الكارثة، وبالتالى تُرجع الكارثة إلى السبب الأصلي وهو تغيير الخطة "قاهر".

- **وتحت عنوان تغيير الخطط الموضوعة، كتب [٣١] الفريق الحديدي:**

« إن التغيير الفجائي في الخطط الموضوعة التي بذل فيها جيل بعد جيل من القادة المصريين خلاصة فكرهم وخبرتهم وثقافتهم العسكرية للوصول إليها، ولم تكن هذه الخطط عفوية أو انفرد بها شخص واحد أو حتى جهاز واحد في القوات المسلحة، بل كانت دراسة دقيقة لطبيعة الأرض وخصائصها أكثر من مرة، وسنة بعد سنة بل جيل بعد جيل من كبار العسكريين في مصر، وبطبيعة الأسلوب العسكري المصري كانت الخطط تُفحص على عدة مستويات، ويُبدي كل مستوى رأيه وتعليقه حتى تصل في النهاية إلى أكبر مستوى عسكري، وهو رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة، المناط به عرضها على القائد العام مع توصياته بشأنها قبل أن يتم التصديق عليها توطئة لمرحلة تنفيذها.

وتوضيحًا لذلك بصفة إجمالية كان كل مستوى من القيادات يراجع خطة المستوى التابع له مباشرة ليتحقق أن خطته المقترحة تفي بالغرض من العملية، ومنفذة للتعليمات التي حددها له، ولم تكن المراجعة قاصرة على الخطة بصفة عامة بل كانت تشمل أيضا خطط التخصصات والفروع المختلفة المشتركة في تنفيذ الخطة.

ومع ذلك فقد تم أثناء المرحلة التحضيرية التي نحن بصددها تغيير كبير في الخطة القائمة في ذلك الوقت، وتضمّن هذا التغيير تعديلاً أساسيًا في الحد الأمامي للدفاع والذي كان مقررًا منذ عام ١٩٥٧ في أعقاب الاعتداء الثلاثي، ولم يسبق مناقشة هذا الحد خلال هذه المدة الطويلة».

ب - كيف استطاعت " شلة المشير " تغيير الخطة " قاهر"؟

مع اعتبار أن المساس بالخطة الدفاعية "قاهر" هو مساس "بالرمز" للأمن القومي بما يحمله هذا "الرمز" من قيمة، ذلك أن الخطة "قاهر" هي حصيلة علم

وجهد وإخلاص كافة العلماء والمفكرين الإستراتيجيين المصريين الشرفاء لحماية أرض مصر، فكيف إذن أمكن تغييرها؟!

الحقيقة أن تغيير الخطة "قاهر" أو المساس "بالرمز" للأمن القومي، هو نتيجة وصول "شلة المشير" إلى أعلى مرحلة من السلطة والاستبداد والطغيان على القوات المسلحة وعلى الدولة، فلم يأبهوا بأي أمر مقدس يعوق تحقيق أهدافهم. وقد قامت "شلة المشير" بالإعداد لهذا الأمر خلال سنوات عدة قبل الحرب لتضمن تحقيق النجاح في هذا الأمر، وقامت بعدة إجراءات أهمها ثلاثة(*) هي: "تقسيم القوات المسلحة إلى ثلاث أسلحة رئيسية، وفصل هيئة الأركان عن صنع القرار، وتشكيل القيادة العليا لتوضع على قمة التنظيم الهرمي للقوات المسلحة"، ثم سارت الأمور كالآتي:-

صناعة الأسباب التي تدفع لاتخاذ قرار محدد:

أدخلت "شلة المشير" أسلوباً حديثاً ـ بالنسبة لنا ـ في صنع القرار، وهي صناعة الأسباب ـ أو فبركة الأسباب ـ التي تدفع أو تُحتّم اتخاذ قرار محدد، وذلك من خلال تقديم تقارير مخابراتية بمعلومات ـ كاذبة ـ عن أوضاع للعدو الاسرائيلي، أو تحركاته، أو نواياه المستقبلية، تفرض رد فعل وقائي ـ (يقابل هذه المعلومات الجديدة) ـ من جانبنا يستلزم إجراء تعديلات على الخطة الدفاعية "قاهر"، وقد تم صياغة التقارير المخابراتية، بما تتضمنه من معلومات بحيث تضمن تحقيق تغيير الخطة قاهر" كما أرادوا بالضبط.

الصراع بين "القيادة العليا" و"هيئة العمليات":

حاولت " هيئة العمليات " أن تفرض وجودها، وأن تتولى إدارة العمليات باعتبار أن ظروف الحرب يستوجب ترك الأمور لأصحابها ولمن هم جديرون بها، وأن خطر هذا الأمر يمس الأمن القومي والذي هو شرف وعرض الأمة المصرية، ودخلت "هيئة العمليات" في صراع شديد مع "القيادة العليا" لتفرض رأيها من خلال استراتيجية الدفاع عن مصر وهي الخطة "قاهر"، وكان يمثل هيئة العمليات في هذا الصراع الفريق أنور القاضي رئيس هيئة العمليات، أما القيادة العليا فيمثلهم جميع ضباط "القيادة العليا" الذين هم ضباط "مكتب المشير" عامر الملقبون "بالمستشارين". وقد انتهى الصراع لصالح مستشاري " القيادة العليا " الذين سيطروا تمامًا على إدارة العمليات.

(*) راجع الفصل السابق مباشرة، فصل رقم (١٠) من الكتاب.

- **ويوضّح هذه الصورة الفريق أنور القاضي[32] رئيس هيئة العمليات في حرب ٦٧ في شهادته:**

«س: طيّب نريد أن نعرف ما الذي أدى إلى تغيير المجهود الرئيسي للقوات المسلحة في اتجاه المحور الجنوبي؟ وكيف تمت؟ ومن هو صاحب الفكرة؟! أو من الذي صوّر أن العدو سيقوم بمجهوده الرئيسي من هذا الاتجاه مما جعلنا نوجه معظم قواتنا إلى نفس الاتجاه؟!

القاضي: حسب ما أذكر.. أن الذي أثّر علينا في ذلك معلومات وملخصات مخابرات مختلفة.. واجتماعات كان يُدلي فيها بالرأي عدد من المعاونين.. أنا أعتقد.. أو تقدر تقول أنه كان هناك قيادتان، القيادة العليا إلى جانب القيادة الأصلية، ومعاونون يُصوّرون مع التقارير الواردة عن العدو، يصوّرون اتجاهات مجهود رئيسي جديد، أو اتجاهات هجوم للعدو جديدة، وكان التركيز في وقت من الأوقات ينحصر ما بين أبو عجيلة وأم قطف على ما أذكر، فكان التصوير الكبير جدًا أن المجهود الرئيسي للعدو ما بين أم قطف وجنوب اتجاه القُسيّمة، وبناء على هذه المعلومات أو التصوّرات ظهرت آراء وكلام يعني.

س: ووادي طره.. والستارة، وحاجات جديدة.

القاضي: كان يُدلي بدلوه في الرأي ناس كثيرة، مستشارون موجودون على مستوى "القيادة العليا" للقوات المسلحة، ده يقول كذا، نعمل ستارة، وطلعت حاجة اسمها الستارة عشان تتعمل في المنطقة من الكونتلا شمالاً لوادي طره ومنطقة المطله.

س: كل هذا يتم في مؤتمرات تتبلور.. مثلا مع سيادة المشير؟

القاضي: هي مؤتمرات مع المشيرعامر وأفراد أكثر منهم هيئات، يعني ممكن تقول وجزء من المخابرات.. الاستطلاع وجزء من مستشارين كانوا يوصلون تحليلهم إلى شكل ما.

س: يعني هذه حكاية الستارة (المضادة للدبابات) لمواجهة الهجوم على الجنوب... طيّب إنتم كهيئة عمليات أليست هذه مسئوليتكم؟

القاضي: لا نستطيع أن ننكر صلتنا بهذا الموضوع كهيئة عمليات، ولكن كنا نأخذ الحاجة زي ما تقول هي الحقيقة الموجودة.. وبعد بحث

المجهود الرئيسي للعدو يبقى معناه، نُوجّه مجهودنا الرئيسي له..
وإن كنا لم نحوّل معه مثلاً الاحتياطيات ولا النسق الثاني،
ولكن أنشأنا يمكن بعض الوحدات.. الوحدات المتحركة التي
ذكرناها من قبل.

س: كان يهمنا أن نعرف من هم هؤلاء المستشارون؟

القاضي: والله أنا أقول لسيادتكم.. اعتبر مثلاً أن مكتب المشيرعامر في ذلك الوقت كان كله مستشارين، وكانوا كلهم يدلون بدلوهم».

طلعة استطلاع جوية ناجحة للطيارين المصريين الوطنيين:

جاء هذا الأمر ليكشف القناع عن وجه "القيادة العليا"، ذلك عندما استطاع بعض الطيارين المصريين [٣٣] القيام بطلعة استطلاع جوية ناجحة داخل عمق إسرائيل بـ ١٥ كم يوم ١٩٦٧/٦/٢؛ فلم يجدوا حشودًا عسكرية إسرائيلية على المحور الجنوبي، حيث لم يجدوا سوى كتيبة ناحال خلفها لواء ميكانيكي وبعض الدبابات. وتعتبر هذه المعلومات أول معلومات استطلاع صحيحة ١٠٠٪، وبالتالي أصدر المشير عبد الحكيم عامر تعليمات [٣٤] بتخصيص قوات من المحور الجنوبي للتمركز على خط الممرات وهي "الفرقة ٦ مشاه + لواء مدرع".

وقد ذكر محمد فوزي أن هذه التعليمات لم تصل إلى الوحدات لتنفيذها!.

ج - قصة العميد عبدالمنعم خليل قائد لواء المظلات كمثال لوحدة تغيّرت مهمتها:

بدأ التغيير[٣٥] في الخطة من اليوم الأول، في الفترة التحضيرية للحرب، وهو يوم ٦٧/٥/١٤ بتغيير مهمة اللواء الرابع مشاة المخصص للدفاع عن شرم الشيخ، بتعيين اللواء المظلي المخصص كاحتياط استراتيجي بدلاً منه.

- **ونترك العميد عبد المنعم خليل قائد اللواء المظلي في حرب ٦٧ لكي يعرض قصته [٣٦] وحيث كتب:**

« وفي مساء يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ استدعيت بصفتي قائدًا لقوات المظلات إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، وقابلت الفريق أنور القاضي رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة واللواء بهي الدين نوفل نائبه حيث كلفت بناء على تعليمات المشير عامر بمهمة لم تكن في الحسبان!! ولم تكن في الخطة العامة للقوات المسلحة سواء الخطة الدفاعية أو الهجومية بالنسبة لقوات المظلات!! وكانت

المهمة: " تأمين منطقة شرم الشيخ، بغرض حرمان العدو من الاستيلاء عليها وغير مسؤول عن الملاحة في المضايق ". على أن تكون القوات في مواقعها قبل أول ضوء يوم ٢٠ مايو ٦٧.

وفي الطريق إلى مركز قيادتي في أنشاص، وضعت فكرة خطة التحرك جوًا، فلم يكن أمامي إلا أقل من ٧ ساعات حتى تطلع شمس اليوم التالي!!

والحمد لله فقد تم التحرك حسب الخطة الموضوعة، ووصلت إلى مطار شرم الشيخ أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ مع أول طائرة مع وحداتي ومعي رئيس العمليات المقدم أ.ح. محمود عبد الله، وللأسف لم نكن قد سبق لنا استطلاع أو زيارة هذه المنطقة من قبل، ولكن قابلنا قائد موقع الحدود في المطار.. ومنه علمت أن قوات الطوارىء الدولية مازالت في المنطقة، ولم تخل الموقع الذي يصلح لاتخاذه مركزًا للقيادة إلا بعد حوالي ٢٤ ساعة!! وخلال هذه الفترة إتخذت من مقر ضابط الحدود مقرًا مؤقتًا لنا.

وقمت باستطلاع وتخصيص المهام لوحداتي، وكانت الوحدات تصل تباعًا، سواء قوات منقولة جوًا إلى مطاري شرم الشيخ أو الطور أو تصلنا من مطار الغردقة... وفي الأيام التالية بدأت قولات العربات والدبابات بأنواعها والمصفحات ثم الإمدادات تصل إلى المنطقة بدون خطة موضوعة!! وبعض القوات كانت قد وصلت إلى الطور، ثم صدرت إليها أوامر بالعودة إلى السويس، ثم تغيّرت الأوامر مرة أخرى بالعودة إلى الطور!!

خطة تأمين منطقة شرم الشيخ:

خططت القيادة العامة للقوات المسلحة الخطة " قاهر " التي كانت تنص على قيام اللواء الرابع المشاه المدعم باحتلال وتأمين منطقة شرم الشيخ، وأن تتم السيطرة على هذه القوات من "القيادة العليا" في القاهرة مباشرة.. ولكن ما خُطط لم يُنفذ!! وأصدرت القيادة توجيهات بتجهيز قوة من المظلات لاحتلال شرم الشيخ على وجه السرعة!!

وتحركت وحدات وأسلحة ومعدات وعربات مقاتلة وإدارية وورش متخصصة، ولم يسبق لهذه الوحدات العمل معًا لا في هذه المنطقة أو غيرها، وبالطبع لم يتم تنظيم التعاون بينها.

وكانت الوحدات حائرة في الجو أو على الأرض، وعلى سبيل المثال لا الحصر هبوط طائرتي نقل إلى أرض الهبوط في شرم الشيخ قبل غروب يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ يقودها طياران سعوديان وتحمل كتيبة صاعقة بحرية مصرية بقيادة المقدم

هلوده، الذي أفادني أنه كان في مهمة إلى مطار الغردقة، ولكن صدرت له الأوامر وهو في الجو بالهبوط في مطار شرم الشيخ!! وكانت مشكلة إيواء هذه الوحدة وإعاشتها من المشاكل الكثيرة التي واجهتني كقائد منطقة منفصلة وظهرت آثارها الخطيرة، عندما صدرت لنا الأوامر بالانسحاب غرب القناة يوم ٦ يونيو ١٩٦٧....

ولقد تغيّرت خططي يومًا بعد يوم، بل أكثر من مرة في اليوم، لأن وصول وحدات جديدة بطريقة مفاجئة يُحتّم تعديل الخطة وطلب تصديق جديد عليها من المشير عامر!! وبدأت رحلة المكوك بين المشير عامر وبيني، يقوم بها ضباط مكتبه: "المقدم عرابي والمقدم صلاح عبد الحليم ومدير مكتب المشير للشئون البحرية العميد بحري محمود فهمي عبد الرحمن"... كما كان يُرسل لي رسائل شفهية مع كبار القادة... مرة مع الفريق أهلال عبد الله ومرة مع الفريق عبد المنعم رياض... كما فوجئت مرة بوصول اللواء مصطفى الجمل، وبقائه معي يُتابع أعمالي وتصرفاتي حتى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ولم أره حتى نهاية الحرب!! ومازلت حائرًا للآن عما كان في فكر المشير عامر عن مهمة اللواء الجمل!!. "».

لاحظ تأكيد اللواء عبد المنعم خليل في مذكراته على أسلوب القيادة في إرسال المستشارين بأوامر إلى الوحدات العسكرية مباشرة دون علم هيئة العمليات.. وهذا الأسلوب اتبع مع جميع الوحدات والتشكيلات... بحيث في النهاية... يصبح هناك أوضاع للقوات المصرية بهيئة العمليات، مختلفة تمامًا عن الأوضاع الحقيقية بعد تغييرها بواسطة مستشاري "القيادة العليا" بإرسال المقدم العرابي.. أو الفريق أ. هلال بأوامر شفهية، وهو أسلوب يتنافى تمامًا مع قوانين وقواعد الحرب....

د - أسلوب " القيادة العليا " في تغيير الخطة " قاهر ":

تميّز أسلوب "القيادة العليا" عند تغييرها لمهام الوحدات العسكرية، بكثرة تحريك وتغيير أماكن هذه الوحدات قبل الوصول بها الى أماكنها النهائية المخصصة، وذلك قبل الحرب مباشرة، وهذه التحركات هى التي وصفها محمد فوزي بأنها: "تحركات بطريقة جنونية"، وقد حققت أمرين:

- وصول القوات إلى الأماكن المحددة لها قبل الحرب مباشرة – بأيام قليلة – في حالة تعب وإنهاك للأفراد والمعدات والأجهزة.
- عدم إعطاء فرصة للقوات لتجهيز مواقعهم الدفاعية أو إعداد أنفسهم أو عمل خطط النيران للأسلحة المختلفة " مدفعية، أسلحة مضادة للدبابات،

أسلحة صغيرة " أو عمل موانع أمام المواقع.. إلخ، ولا فرصة حتى لدراسة الأرض. وعلينا أن نشير إلى أن تغيير مهمة أي وحدة تحتاج إلى تقديم مبررات وأسباب موضوعية؛ لتأثيرها على الخطة الدفاعية بأكملها، وغالبًا ما تؤثّر على فكرة الخطة نفسها.فهل كان هناك مبرر واحد لتغيير مهمة وحدة عسكرية واحدة؟!..فكيف اذن، بهذا الكم من التغييرات لجميع الوحدات العسكرية؟!...

والمثير هنا: أنهم لم يكلفوا خاطرهم حتى بتقديم أي تبرير لهذه التحركات، والتي وصفت بالجنونية، أما التفسير الطبيعي والمنطقي لها فهو:" تسهيل اجتياح المدرعات الإسرائيلية لقواتنا"، طالما أنه تم إنهاكها وإجهادها وعدم إعطائها فرصة لتجهيز مواقع دفاعية تستند عليها.

- كتب الفريق أ. محمد فوزي [٣٧]:

> « وقد انتهت هذه التطوّرات في التخطيط، الذي تغيّر أربع مرات في ٢٠ يومًا، إلى إنهاك الفكر والأجهزة التخطيطية في القيادة العامة وفي قيادات القوات الميدانية، كما أُنهكت القوات نفسها من كثرة التغيير وما تبعه من تحركات للأفراد والمعدات بالإضافة إلى حدوث البلبلة في الفكر وفي التنفيذ، نتيجة كثرة التبديل في المواقع والمهمات.. وفقدان الثقة بين الجنود وبين القادة.. الذي انتهى بعدم وضوح الرؤية عند الجميع».

- وكتب أيضا [٣٨]:

> « هذه التحركات العرضية الطويلة للقوات وأخرى من الخلف على كل المحاور بطريقة جنونية أرهقت القوات وضاع المفهوم في الفكر العسكري».

- يقول اللواء سعد الشاذلي [٣٩] قائد المجموعة رقم ١ خفيفة الحركة في حرب ٦٧:

> « أنا استدعيت للقيادة في النصف الأخير من مايو، ولما ذهبت هناك شعرت بأن هناك تخبّط في الخطط.. من طبيعة الأمر الذي يصدر لي.. إطلع في الشمال.. إطلع كذا.. كذا.. كذا... مافيش.. أقعد يومين.. إنزل في الحتة الفلانية، حتى إني أخذت سيناء ذهابًا وإيابًا... وده كلام خطأ بالنسبة للدبابات لأن كان معايا كتيبة دبابات لما تبقى ماشية على الجنزير.. كل ده استهلاك للدبابات».

هـ - الأماكن النهائية للقوات المصرية لحظة نشوب الحرب:

انتهت جميع التحركات المستمرة والجنونية – كما وصفها محمد فوزي – بوصول القوات إلى أماكن ليس لها علاقة بالخطة " قاهر ".

- **كتب الفريق ا. محمد فوزي [40] تحت عنوان "زوال الخطة":**

« أقف هنا لحظة لأبيّن كيف تم زوال الخطة " قاهر " وتم معه خلخلة الدفاع عن سيناء كليًا، نتيجة دفع جزء من القوات إلى منطقة رفح ودفع جزء آخر إلى منطقة الكونتلا، لقد تغيّر الحد الأمامي للدفاع فأصبح " الكونتلا – القُسيّمة – رفح، بدلاً من خط: التمد – القسيمة – أم قطف – العريش».

- **وكتب ايضًا [41] :**

« نشأ عن تواجد الفرقة السابعة للدفاع عن رفح – وهي غير مجهزة- وضع غير سليم عسكريًا، جعلها سهلة المنال في أول هجوم إسرائيلي يوم ٥/٦/٦٧.

وقد نتج عن دفع التشكيلات القوية للأمام وعلى كلا طرفي المواجهة، أي الكونتلا، وبروز رفح، أن خلا المحور الشمالي والمحور الأوسط من القوات، وهما المحوران اللذان يُتوقّع هجوم العدو عليهما كما في تقدير وتصوّر الخطة "قاهر"، وفعلاً حدث ذلك، كما نتج عن دفع الاحتياط الاستراتيجي وإشراكه في صلب الهيكل الدفاعي: أن قلّ سمك وكثافة الدفاع عن سيناء عمومًا».

ولما كانت الخطة الدفاعية تعتمد أساسًا على تحديد أوضاع وأماكن القوات على الأرض، فإنه يمكننا أن نستنتج بصورة قاطعة ما تُعبّر عنه وتقوله هذه الأوضاع، باعتبارها تُشكّل صورة خطة جديدة حققت تخريب الثوابت الثلاثة المقدسة للدفاع المصري كالآتي:

١)- خط الدفاع الرئيسي (أحد الثوابت المقدسة)

بتخصيص اللواء "١٢١ شورية" أحد الألوية الغير مقاتلة للدفاع عن أهم وأخطر منطقة في خط الدفاع الرئيسي الحصين – منطقة العريش – بدلا من اللواء ١١ مشاة النظامي العامل ذات الكفاءة العالية، والذي كان مخصصًا لهذه المهمة والمدرب عليها، الأمر الذي يشكل في مضمونه فتح ثغرة في شبكة الدفاع، وبالتالي يمكن للمدرعات الإسرائيلية العبور منها لتطويق القوات المصرية من الخلف واجتياح خط

الدفاع الرئيسي الحصين، الذي صرفت عليه مصر دم قلبها، ووضعت فيه خلاصة الفكر والعلم والجغرافيا والتاريخ والاستراتيجية العسكرية.

٢)- إخلاء "المحور الأوسط" محور الحرب الرئيسي من القوات المصرية (أحد الثوابت المقدسة)

بتفريغ المحور الأوسط من القوات المصرية النظامية العاملة القوية، ووضع بدلاً منها لواءات شورية، وبذلك تكون " القيادة العليا " قد أتاحت للمدرعات الإسرائيلية التقدم بأمان، بدون الاصطدام بالقوات المصرية، والوصول إلى عمق وقلب الدفاع المصري حتى الممرات، وكأنها تسير في نزهة على الكورنيش داخل إسرائيل.

٣)- خط الممرات "خط الموت" (أحد الثوابت المقدسة وأكثرها قدسية)

تم أيضا تفريغه من القوات المقاتلة النظامية العاملة، ووضع بدلاً منها لوائين شورية، وهو ما يعني - بديهيًا ومنطقيًا - تسليم إسرائيل أخطر وأهم خط استراتيجي في سيناء، صراحة بلا خجل أو مواربة، وبالتالي غلقها للممرات - وهي منافذ الحياة - وعزلها للجيش المصري على المحاور الثلاثة، خاصة المحور الجنوبي والقوات الأمامية، وبمعنى آخر هو وضع الجيش المصري في صندوق مغلق تمامًا حيث يتشكل ثلاث أضلاع الصندوق من الجبال العالية أما الضلع الرابع فهي حدود إسرائيل ومدرعاتها، الأمر الذي أسقط الجيش بكامل أفراده ومعداته ودباباته في قبضة إسرائيل.

و - الملامح الرئيسية للتغييرات:

بعد أن توصلنا لجميع التعديلات لأوضاع قواتنا على الأرض، نستطيع أن نستشف "ببساطة" مضمون وجوهر هذه التعديلات، في أنها لا تعدو عن خطة عسكرية تهدف الي:" تسهيل تقدم جيش الأعداء وغزوه للأراضينا، أشبه بما يسمى بخطة نابليون في لعبة الشطرنج، وهي:."اختراق الوزير في حماية الفيل عمق دفاعات الخصم، ليصل إلى مكمن الخطورة مباشرة وهى النقطة الحاكمة التى منها يمكن غلق جميع طرق ومنافذ الحياة على "الملك"، الذي بالقضاء عليه يُكتب لك النصر، كش "ملك"، إنتهى الدور، قبل أن يبدأ. بمعنى أنه لم يحدث الصراع الفكري بين اللاعبين والذي هو جوهر لعبة الشطرنج، وهو نفس ما حدث في حرب ٦٧، بالضبط بتفريغ المحور الأوسط - محور الحرب الرئيسي - ليسمح باختراق وعبور المدرعات الاسرائيلية في عمق دفاعاتنا، لتصل مباشرة إلى مكمن أو حصن "الملك"، وهو هنا " المضايق"، وكما أن الوصول الي حصن "الملك"، والقضاء عليه في

الشطرنج يعني النصر الحاسم، كذلك الوصول للمضايق في سيناء والاستيلاء عليها يعني النصر الحاسم أيضا، وكش "ملك" تعني هنا "غلق الممرات" التي هي منافذ الحياة للجيش المصري والتي تعني سقوط الجيش المصري تحت قبضة المدرعات الاسرائيلية...مات "الملك".

أما وأن، لعبة نابليون في الشطرنج من الصعب تطبيقها ؛ حتى مع صغار المبتدئين، ذلك أن فكرتها بسيطة وسطحية، فإنه كذلك في مسرح سيناء فلا مجال إطلاقاً، لا لعبة نابليون، ولا رومل، ولا بوش نفسه!.

ذلك لوجود طريق رئيسي واحد صالح لتقدم الجيوش هو المحور الأوسط، وعليه تنظم معظم وحدات الجيش المصري خطوطها الدفاعية بكامل وحداتها وأسلحتها وعتادها باعتباره المجهود الرئيسي للجيش، فكيف إذن تخترق جيوش نابليون هذا الطريق؟! الأمر الذي يفضح حتمية التعاون الوثيق مع المخابرات المركزية الأمريكية للتخطيط لإخلاء المحور الأوسط، ونقل القوات المصرية إلى المحور الجنوبي، حتى تتمكن المدرعات الاسرائيلية من تنفيذ لعبة نابليون الساذجة والسطحية مع جهابذة التكتيك وعتاولة الحروب المصريين، والذين من المستحيل أن تنطلي عليهم هذه اللعبة.

ويمكننا تلخيص ما تقوله أوضاع قواتنا على الأرض في الآتي:-

- المحور الأوسط - محور الحرب الرئيسي - تم إخلاؤه من القوات المصرية النظامية، عدا وحدات صغيرة محدودة، وكذلك تم إخلاء المحور الشمالي أيضـاً.
- القوات الرئيسية المصرية على المحور الجنوبي، باعتباره المجهود الرئيسي للجيش " لإمكانية عزله وتدميره ".
- عمل ثغرة على الحد الأمامي للدفاعات المصرية في منطقة العريش تسمح بعبور المدرعات الاسرائيلية منها، وإمكان وصولها إلى نقطة النصب التذكاري – الاستراتيجية الحاكمة – لقطع طريق الإمداد على الفرقة السابعة مشاة لعزلها وتدميرها، وكذلك يمكنها مواصلة التقدم على المحور الشمالي الخالي من القوات المصرية.

- وضع لواءات الشورية (*) والتي ليس لها كفاءة قتالية في أهم وأخطر المواقع الاستراتيجية على الحد الأمامي وفي عمق الدفاعات مثل: "العريش، المحور الأوسط، خط المضايق" لتشكل ثغرات في شبكة دفاعاتنا، لتعطي مجرد شكل بوجود قوات... اسمًا بلا مضمون، "سميني حلة ولا تضعني على النار". في الوقت الذي وضعت فيه التشكيلات والوحدات النظامية العاملة في الأمام وعلى المحور الجنوبي بعيدًا عن طريق تقدم مدرعات إسرائيل، لتتفادى الصدام المسلّح معها، وكذلك ليسهل تطويقها وعزلها، بوصول مدرعات إسرائيل لخط المضايق.
- وضعت الفرقة ٧ مشاة في منطقة مفتوحة، لا تصلح لإقامة أي مواقع دفاعية ـ لعدم وجود هيئات طبوغرافية تصلح لهذا الغرض، بمعنى أنها أرض "سداح مداح"، حتى أنه تم فرد القوات على شكل خط واحد وبطول ٤٥ كيلومتر ـ فشكلت المنطقة في المضمون النهائي ثغرة يمكن لأي ميليشيات شبه عسكرية عبورها، وبالتالي اخترقت المدرعات الإسرائيلية رفح، وواصلت تقدمها وعبورها من ثغرة العريش، لتصل للنصب التذكاري وهي النقطة الاستراتيجية الحاكمة لتغلق الطريق الوحيد لتحرك، وإمداد الفرقة السابعة مشاه، وبالتالي تمكنت من تطويق وحصار الفرقة ٧ مشاه من الخلف.
- أما باقي التغييرات أو باقي عناصر الخطة الجديدة فسيتم سردها تباعًا، مثل تحديد ساعة الصفر ويوم الهجوم، كذلك باقي العناصر الأخرى.

٤ ـ إعلان "التعبئة العامة" للجيش المصري:

بصدور قرار إعلان "التعبئة العامة" للجيش المصري... لم تقوم الأجهزة المعنية بتنفيذ الإجراءات الواجبة في هذا الشأن حسب الخطة الموضوعة "للتعبئة العامة" والتابعة للخطة "قاهر" ـ وبدلاً من ذلك، تم إجراء عدة أعمال تحت اسم وشعار "التعبئة العامة"، هي في الحقيقة، لا تمت للتعبئة العامة "بأي صلة..... الأمر الذي يجعلنا نبدأ بالإشارة إلى فكرة "التعبئة العامة" ثم عرض موجز لخطة "التعبئة العامة" الأصلية الملحقة بالخطة "قاهر".

أ - فكرة خطة التعبئة العامة:

تعتمد الفكرة على عدم وجود ما يستدعي احتفاظ الدولة بأعداد كبيرة من الأفراد داخل الجيش في وقت السلم، الأمر الذي يُوفّر لها تكاليف كبيرة يمكنها

(*) تشكيل لواءات الشورية، أنظر الفصل العاشر من الكتاب صفحة (٨١).

الاستفادة منها في أنشطة أخرى. على أن تحتفظ بالعدد المناسب من المقاتلين الذين يمثلون الحد الأدنى الذي يُوفر الأمن والدفاع عن الدولة في وقت السلم.

ويُشكل هؤلاء الأفراد الهيكل الأساسي للجيش، حتى إذا ما ظهرت بوادر وعلامات تؤكد نية العدو في الحرب يتم استدعاء باقي الأفراد الذين سبق إعدادهم وتدريبهم كمقاتلين لينضموا إلى وحدات الجيش، ويسّموا أفراد "الاحتياط"، على أن يتم وضع خطة كاملة تضمن وصول هؤلاء الأفراد في الوقت المناسب إلى الوحدات العسكرية قبل اندلاع الحرب عند استدعائهم وتسمى بخطة " التعبئة العامة ".

كذلك تشمل الخطة استمرار تعبئة الأفراد وتدريبهم لسد خسائر الوحدات العسكرية فى أثناء الحرب بصورة مستمرة، فالحرب وقودها الرجال. وقد أثبتت الحربان العالميتان الأولى والثانية أن النصر كان حليف للدولة التي استطاعت تعبئة رجال جدد وإنشاء وحدات جديدة – احتياطيات – أدخلتها الحرب في وقت كانت فيه قوات الخصم قد أنهكت.. فاستطاعت إنهاء الحرب لصالحها.

ب - خطة " التعبئة العامه " الملحقة بالخطة " قاهر ":

" وضعت خطة التعبئة العامة المرفقة[٢٤] للخطة "قاهر" لتحقيق هدفين:

- استكمال النقص في التشكيلات ووحدات الجيش عند رفع درجات الاستعداد والإنذار بالحرب في الفترة التحضيرية و فى أثناء الحرب لسد الخسائر.
- تكوين وحدات وتشكيلات جديدة، لتكون ضمن الاحتياط الاستراتيجي للدولة وتكون جاهزة بعد تنظيمها وتسليحها وتدريبها تدريبًا شاقًا، وبالطبع لا تدخل هذه الوحدات المعارك نهائيا في بداية الحرب، ولكن مع استمرار المعارك وبعد فترة طويلة تكون خلالها قد أتمت تدريباتها، واستكملت كفاءتها القتالية، وأصبحت مثل أي وحدة مقاتلة يمكن اشتراكها في عمليات حربية. ويُلاحظ اعتماد خطة "التعبئة العامة" على وجود "مراكز تدريب الأساسات" التى عليها عبء إعداد وتجهيز وتدريب الأفراد المدنيين المستدعين كاحتياط لتحويلهم إلى أفراد مقاتلين.

ج - الخطوط الأساسية لخطة " التعبئة العامة " بعد تغييرها:

قامت "القيادة العليا" بتغيير خطة "التعبئة العامة" تغييرا جذريا، حتى وكأنها أصبحت خطة جديدة لا تمت بأى صلة بالخطة الأصلية، وقامت بتنفيذ هذه

التعديلات أو "الخطة الجديدة" مباشرة، قبل الحرب بأيام قليلة مما يجعل منها خطة مريبة، وهو الأمر المرفوض بصورة مطلقة، ذلك لتعارضه مع قواعد الحرب، بصرف النظر عن اختيارهم الوقت الحرج الذي لا يُمكّن من دراسة هذه التعديلات دراسة موضوعية، وقد تضمنت الخطة الجديدة ـ أو التعديلات ـ إلغاء مراكز تدريب الأساسات، وإنشاء وحدات عسكرية جديدة من الأفراد الاحتياط المستدعين، والذين يعتبرون أفرادًا مدنيين بعد إلغاء مراكز الأساسات ـ تحت دعوى زيادة الوحدات العسكرية ـ وتحددت خطة إنشاء الوحدات الجديدة في عدة أشكال، علي أن الأخطر كان في الغاء مراكز تدريب الأساسات، ويمكننا توضيح الخطوط الأساسية لتلك الخطة في الآتي:

إلغاء مراكز تدريب الأساسات:

إلغاء مراكز تدريب الأساسات يعني عدم جدوى هذه المراكز، حتى يمكن الاستغناء عن دورها.

أما وأن، دور هذه المراكز هو الإعداد والتأهيل الأوّلي والأساسي للأفراد المدنيين لتحويلهم إلى مقاتلين من كافة الجوانب ، سواء من ناحية الإعداد العسكري أو الاعداد النفسي، وذلك لإمداد الوحدات المقاتلة باحتياجاتها من المقاتلين .

أما وأن، فكرة إلغاء هذه المراكز وتحميل الوحدات المقاتلة عبء التدريب الأساسي، لم يستند إلى أي دراسة موضوعية من الجهات المتخصصة والمعنية بهذا الشأن

أما وأن، قد تم تخطي جميع الهيئات والإدارات المتخصصة في هذا الشأن، ومنها هيئة التدريب....

فإن فرض هذه الفكرة وإصدار الأوامر بتنفيذها بهذا الأسلوب، يثبت سوء النية وأن الهدف منها الإضرار بالجيش المصري.

والنتيجة الطبيعيه المتوقعه هو إمداد الوحدات العسكرية المقاتلة بأفراد مدنيين بدلا من جنود مقاتلين، لتتحول الصورة إلى مأساة عند إعلان التعبئة العامة، و استدعاء الأفراد الاحتياط المدنيين، و دفعهم مباشرة إلى مسرح الحرب للانضمام إلى الوحدات المقاتلة وكأنهم ذهبوا لتمثيل أدوار الجنود في فيلم سينمائي حربي، وحيث يقول هتلر " إن الجندي غير المدرب في حاجة إلى أربع جنود مدربين لحمايته".

- **كتب الفريق أ. محمد فوزي[٣٣]:**

« في مطلع عام ٦٧ ألغيت مراكز الأساسات في القوات البرية. وألقي عبء تدريب المستجدين وتجميع أفراد الاحتياطي على التشكيلات الميدانية، فلما بدأت عملية حشد القوات والفتح التعبوي في سيناء يوم ٦٧/٥/١٤، أصبحت عملية التعبئة ولإنشاء وانسياب الإمداد بالرجال إلى التشكيلات الميدانية في مسرح العمليات بسيناء عقيمة للغاية، كما أوقف تدريب أي مجند لهذه التشكيلات».

- **كتب اللواء عبد الفتاح أبو الفضل* نائب رئيس المخابرات العامة في ذلك الوقت:**

« فوجئت في المحطة – سكة حديد القنطرة شرق – بحالة فوضى لقوات الاحتياط، يعجز الإنسان عن وصفها، والمفروض أنها على وشك الاشتراك في القتال في الجبهة، وكان الكل في ملابس مدنية، ومعظمهم بجلاليبهم الريفية، ويحملون بنادقهم، وليس هناك أي زي عسكري، جمعوا من قراهم على عجل، ودون أي ترتيبات إدارية، وتسلموا أسلحتهم فقط، وهم بجلاليبهم المدنية، وشحنوا في السكة الحديد كالدواب دون أى تجهيز أو ترتيب إداري من مأكل ومشرب أو راحة.

وكانوا يتدافعون لشراء طعامهم من الباعة الجائلين بالمحطة في فوضى شاملة، حشد هائل من الشباب الضائع، نتيجة إهمال أو استهتار سلطات القوات المسلحة بآدميتهم وإنسانيتهم، وانعكس الشعور بالضياع عليّ كرجل عسكري ومقاتل سابق، وسألت نفسي: " هل هذه هي حالة قواتنا التي سنواجه بها جنود عدوتنا إسرائيل؟»

وتحددت صورة المأساة في استدعاء عدد ٨٠ ألف من المدنيين ودفعهم للحرب مباشرة دون تأهيلهم أو اعطائهم أي فكرة عما هم مقدمون عليه في تلك الحرب على الإطلاق، الأمر الذي يُشكل جريمة عسكرية كاملة، يستحيل تبريرها بالأخطاء، والإهمال.. مثلما برروا غيرها من الجرائم التي ارتكبوها.

(*) مذكرات اللواء عبد الفتاح أبو الفضل ص. ٨٥.

إنشاء " لواءات الشورية ":

ومضمون الفكرة هي: حل وتفكيك الوحدات النظامية العاملة المقاتلة، والتي على أعلى كفاءة قتالية، وتكوين بدلا منها لواءات من المدنيين الذين لم يتم إعطائهم أي فكرة عن العسكرية، وبالتالي فإن كفاءة هذه الألوية القتالية تساوي صفر.

واحتاجت هذه الفكرة إلى قالب فلسفي يعتمد على الإقناع النظري والخداع اللغوي، والتلاعب بالألفاظ، وخلط الحقائق بالأوهام، أو خلط القضايا الموضوعية القائمة على العلم والتجربة والخبرة بالخيال الجامح البعيد عن المنطق والعقل.

- **ونترك الفريق "الحديدي" ليشرح لنا فكرة إنشاء هذه اللواءات، باعتباره أحد رجالها [٢٥] حيث كتب تحت عنوان الفتح التعبوي للقوات:**

« وقد حدث في هذه الفترة أيضا – الفترة التحضيرية للعمليات – أن طبقت فكرة كانت قد نشأت مؤخرًا، ولكن لم يكن الوقت كافيًا لدراستها دراسة مستفيضة، أو وضعها تحت الاختبار الدقيق لإثبات صلاحيتها، تلك الفكرة التي يُطلق عليها (الفتح التعبوي للقوات) وكانت تعني مضاعفة حجم قوات الجيش، أو ما يزيد عن الضعف في أقل وقت ممكن – فبعد إعلان رفع درجة استعداد القوات المسلحة إلى الحد الأقصى، بدأ في استدعاء المُسرَّحين من الخدمة العسكرية ؛ ليتكوّن منهم الاحتياطي الاستراتيجي للدولة، في شكل وحدات وتشكيلات مقاتلة تكون جاهزة – بعد تنظيمها وتسليحها وتدريبها تدريبًا شاقًا مركزًا – للاشتراك في مهام قتالية، ولكن رؤى في هذه المرحلة الدقيقة أن هذه القوات التي نطلق عليها القوات الاحتياطية، نظرًا لأنها مُشكلة من الجنود المسرحين المنقولين على الخدمة الاحتياطية، تستغرق وقتًا لا تتحمله الظروف لإعدادها وتدريبها، فاقترح تطبيق عملية الفتح التعبوي ، لتفريغ وحدات وتشكيلات ميدانية من بعض الوحدات العاملة، بمعنى أن اللواء المشاة العامل – على سبيل المثال – والمكوّن من ثلاث كتائب، من الممكن أن نفرخ منه فرقة مشاة مكونة من ثلاثة ألوية، وذلك بأن ينضم من الجنود المسرحين على كل كتيبة عاملة ما يكفي من الناحية العددية ، لتصبح هذه الكتيبة لواءً من المشاة، ومع توفير الأسلحة والمعدات اللازمة لها، نجد أن الكتيبة العاملة قد أصبحت لواءًا كاملاً، ثلث جنوده من القوات العاملة موزعين على الوحدات الفرعية الصغرى، والثلثان من جنود الاحتياطي الذين استدعوا للخدمة.

وهذه الطريقة قد تبدو وكأنها قد ضاعفت حجم الجيش عدة مرات مادامت مخازن الأسلحة والمعدات قادرة على التجاوب مع هذه الحجم الجديد، بالإضافة إلى ما أمكن الاستيلاء عليه من القطاع المدني من بعض الاحتياجات، ولكن من وجهة أخرى فإن نوع الوحدات الجديدة كان دون المستوى القتالي اللازم بكثير، فالجنود المسرحون لم يتيسّر لهم التدريب اللازم، أو حتى استدعاؤهم في ظروف مريحة لأحوالهم الاجتماعية، واكتفي بالانسياق إلى خيال نظري، مبني على أساس إمكان اندماجهم مع زملائهم أبناء القوات العاملة في الوحدات الصغرى، هذا بالإضافة إلى أن مضاعفة حجم قوات الجيش فجأة، وفي فترة قصيرة، أدت إلى ظهور إحدى المشاكل المزمنة في القوات المصرية بشكل حاد، أعني بها مشكلة نقص الضباط"».

بداية... تستفزنا بشدة تسمية تلك الجريمة البشعة،ومضمونها: فك وتخريب الوحدات العسكرية المقاتلة باسم:"الفتح التعبوى، هو قمة الخداع والتضليل، بل هو قمة الفجور فى الكذب... ذلك أن هذا الاسم يعنى مصطلح عسكرى لأحد موضوعات التكتيك، والتى لا تمت لهذا المضمون بأى صلة... حتى تكون هذه التسمية الكاذبة هى المدخل لتضليل القادة والضباط بهدف قبولهم الفكرة، باعتبارها أحد الموضوعات العسكرية الصحيحة الغير مشكوك فى صحتها.

أما عن فكرتها الفلسفية فقد جاءت من الحياة العائلية، وملاحظة ربات البيوت، وحيث تقوم بعض الزوجات بإضافة قليل من الماء على حلة الشوربة أو الملوخية؛ فتزيد كمية الشوربة أو الملوخية لتكفي لإطعام عدد أكبر.

والعبرة هنا أن كمية الماء المضافة يجب أن تكون بنسبة أقل من كمية الشوربة أو الملوخية الأصلية ؛ وإلا فقدت الشوربة أو الملوخية مواصفاتها وضاعت خصائصها كطعام، وبدلا من الاستفادة من الكمية الأصلية مع قلتها، فقدنا الكمية كلها لعدم الخبرة في أمور الطهى.

أما وأن، "شلة المشير" قد قامت بتقسيم كمية الشوربة الموجودة بالحلة على ثلاث حلل متساوية، ثم قامت بملء كل حلة بكمية من الماء تساوي ضعف كمية الشوربة الموجودة بكل حلة، حتي زادت الشوربة إلى ثلاث أمثال الكمية الأصلية.

أما وأن، الخروج عن منطقية الأشياء، بالمبالغة الشديدة في زيادة كمية الماء قد أكدت لنا أن قلة خبرة "الجنرالات" في أمور الطهي وعمل الشوربة ؛ لم يكن

السبب في إتلافها، بمعنى استبعاد حسن النية.... لأن القضية هنا أصبحت واضحة لدرجة لا تحتاج معها لإثبات في أن الهدف كان إتلاف الشوربة يقينًا وليس زيادتها.

بهذه الفكرة ـ فكرة زيادة الشوربة لدرجة إتلافها ـ وجدت "شلة المشير" ضالتها لتقتبسها في بناء خطة تعبئة جديدة بدلا من خطة التعبئة الأصلية الملحقة بالخطة "قاهر" والتي حققت لها النجاح في حل وتفكيك وتخريب وحدات الجيش العاملة.

وبمقارنة هذا البند الذي يُمثّل البند الأول من خطة التعبئة الأصلية الملحقة بالخطة "قاهر"، نجد أن نسبة عدد الأفراد المطلوب استدعائهم من الاحتياط قليلة ولا تزيد عن نسبة ٢٥٪ ؛ فى حين أن عدد الأفراد الاحتياط الذين تم استدعائهم فى الخطة الجديدة بنسبة ٣٠٠ ٪.

- **يقول الفريق الحديدي [٣٦]:**

« وهكذا فقدت القوات العاملة التي نالت عملية "الفتح التعبوي" أصالتها وكيانها، بل ومقدرتها القتالية التي كانت تتمتع بها، وزاد الطين بلة، أن مخازن المركبات في القوات المسلحة، وما أمكن تعبئته منها من القطاع المدني لم تكن قادرة على الاستجابة مع هذا التزايد الفجائي من حجم قوات الجيش».

علاوة على أن تطبيقها كان في المرحلة التحضيرية للعمليات، والتي تعتبر جزء من الحرب نفسها، فكيف إذًا يتم فيها تطبيق فكرة جديدة؟!.... يقول عنها "الحديدي": إنه لا تم دراستها ولا وضعت تحت الاختبار الدقيق!! ولا ثبتت صلاحيتها!!

- **لم تكتف " شلة المشير" بتخريب الوحدات العسكرية للمشاة، ولكن شمل التخريب أيضًا الوحدات المدرعة... كتب الفريق أ. محمد فوزي [٣٧]:**

« طلب زيادة وحدات الدبابات لتعبئة الوحدات الجديدة، ونتيجة لعدم وجود احتياطي من الدبابات فقد تم تفتيت الوحدات الأصلية بإعادة توزيع نفس عدد الدبابات على الوحدات الأصلية والإضافية معًا... وبهذا نقص عدد الدبابات في كل وحدة عن المرتب القتالي للوحدة الواحدة... أما ألوية المشاة الاحتياط، وألوية الحرس الوطني، فقد تمركزت في أماكنها بنقص خطير في الأسلحة والأجهزة اللاسلكية والعربات».

والقضية في الوحدات المدرعة أخطر من ذلك لعدم وجود دبابات إضافية يمكن بها زيادة الوحدات المدرعة... إذن، التخريب وتفكيك الوحدات هنا واضح أكثر، فقد تم تقسيم عدد الدبابات – كما يقول فوزي – على الوحدات الجديدة والقديمة وطبعًا الوحدات الجديدة هي وحدات اسما بلا مضمونًا ؛ لأنها لا تملك العناصر الأساسية للوحدة المقاتلة.

ومن هنا نصل إلى النتيجة النهائية، وهي: أن الكفاءة القتالية للوحدات الجديدة – الاحتياط – والمُشكّلة وقت الحرب مباشرة – المشاة منها أو المدرعات – لا تملك أي كفاءة قتالية ، وهذا باعتراف وبشهادة جميع قادة حرب ٦٧، فهي وحدات اسما بلا مضمون.

وطالما أن المنطق يؤكّد على ضرورة مطابقة الاسم للمضمون، فلا يصح إطلاق اسم علي كيان يحمل مضمون يخالف الاسم، الأمر الذي يوجب تغيير اسم لواءات الاحتياط إلي اسم أخر يحمل المضمون أو يشير كناية إلى هذا المضمون وليكن اسم: "لواءات الشورية".

على ان " شلة المشير" كشفت عن وجه غاية في القبح و البشاعة، حين أعلنت بكل وقاحة وسفور، عن نواياها الخبيثة، و ذلك حين قامت بتكليف " لواءات الشوربة" بأخطر المهام في الحرب وهو الدفاع عن الثوابت المقدسة، والتي هي أخطر المواقع الاستراتيجية بصورة مطلقة مثل: " خط الممرات " أوالدفاع عن العريش أهم موقع على خط الدفاع الرئيسي لسيناء....فهل ترى أقبح أبشع من هذا العمل؟!

إنشاء تشكيلات جديدة كل أفرادها من المجندين المستجدين:

- **كتب الفريق الحديدي (٢٨):**

« ولذا قرر المسئولون إنشاء تشكيلات جديدة كل أفرادها من الجنود الجدد، وبدأت إدارات شئون الأفراد في الأسلحة المختلفة تواجه مشكلة توفير ضباط الصف الذين يتولون تدريب هؤلاء الجنود الجدد وتحويلهم من الحياة المدنية التي تعودوا عليها إلى البيئة العسكرية المناسبة لقتال عنيف منتظر، ثم قيادتهم بعد ذلك في القتال داخل وحداتهم الصغرى. ولم يجد المسئولون عن إعداد ضباط الصف حلاً لهذا الموضوع ، إلا أن يُعهد إلى طلبة الكلية الحربية القيام بهذه المهمة، وفعلاً تولى هؤلاء الطلبة من القسمين الإعدادي والمتوسط – وظائف ضباط الصف للجنود الجدد بعد أن توقفت الدراسة في الكلية، وكان الحل

فريدًا في نوعه وفي نتائجه حيث إن الطالب لم يكن قد نضج بعد عسكريًا، كما كان بعيدًا كل البعد عن أسلوب معاملة الجندي، بل لا خبرة لديه في طريقة التخاطب معه، وكل ما يعرفه عن قيادة الجنود لا يعدوا صفحات محدودة قرأها في أحد الكتب التي درسها وربما لم يفهمها بعد، ومع ذلك وجد نفسه فجأة مختلطًا بالجنود لا في عملهم فقط بل في مأكلهم ومعيشتهم وفي تفاصيل حياتهم اليومية».

تخريج طلبة القسم النهائي للكلية الحربية قبل الحرب بأيام:

أصدرت القيادة العليا [٢٩] قرارًا بتخريج طلبة القسم النهائي من الكلية الحربية بطريقة مفاجئة يوم ٦٧/٥/٣٠، وتوزيع الخريجين إلى وحدات بسيناء، مع إعطائهم إجازة قصيرة، وصلوا إلى سيناء قبل اندلاع الحرب بيوم واحد... ولا تعليق!!

د- هل كانت القوات المصرية النظامية كافية لتنفيذ الخطة "قاهر"؟

أو هل كان هناك ضرورة لاستدعاء هذا العدد الهائل من الأفراد الاحتياط – المدنيين - وتشكيل وحدات جديدة لتنفيذ الخطة " قاهر" و الدفاع عن سيناء؟

بالفعل كانت القوات المصرية كافية، وكانت الخطة "قاهر" تعتمد على عدد ٤ فرقة مشاة وفرقة مدرعة، وكانت هذه القوات موجودة وقادرة على صد هجوم العدو الإسرائيلي على الخط الحصين بالقرب من الحدود المصرية الإسرائيلية.

- **يقول محمد فوزي** [٣٠]:

« ومن الغريب أن القوات البرية التي كانت مخصصة لشغل هذا الهيكل الدفاعي في الخطة "قاهر" تزيد قليلا عن نصف عدد القوات التي حشدت بدون فكرة أو هدف أو حتى وعي في مايو ويونيو ١٩٦٧».

فقد تم استدعاء عدد ٨٠ ألف فرد احتياط ، أي ما يقرب من ضعف عدد القوة النظامية حوالي ٥٠ ألف، الأمر الذي كشف عن مضمون هذه الخطة التي لا تعدو عن إغراق الوحدات المقاتلة في بحر من الأفراد المدنيين الغير مقاتلين الذين شكلوا عبئًا ثقيلاً على كل الوحدات المقاتلة، حتى استنزفوا الإمكانات المخصصة لها سواء "ذخيرة أو أسلحة، أو معدات، أو... " وذلك بعد أن تم توزيع كل الإمكانات بالتساوي على المقاتلين والغير مقاتلين. مع الأشارة مرة أخرى ألى عبارة هتلر: "إن الجندى غير المدرب فى حاجة إلى أربع جنود لحمايته"

٥- تحديد ميعاد هجوم العدو الإسرائيلي:

يخضع تحديد ميعاد بدء هجوم العدو الإسرائيلي وفقًا لعدة اعتبارات.. أهمها أن يحقق التوقيت، أحسن الظروف للمهاجم الإسرائيلي، وأسوأ الظروف للمدافع المصري.

وأحسن الظروف للمهاجم الإسرائيلي تتحقق باستكمال استعداداته وهو ما تم – كاستنتاج منطقي – باعتبار أن إسرائيل هي التي بدأت بالهجوم، وإلا على أي أساس أخذت المبادأة بالهجوم؟!

أما أسوأ الظروف للمدافع المصري، فتتحقق عندما تكون القوات المصرية في أسوأ أوضاع على الأرض، يسهل فيها اجتياحها مع إمكانية تحقيق المفاجأة، والهجوم المباغت عليها، وقد تحقق ذلك أيضًا – بفضل " شلة المشير" بتعديلهم الخطة " قاهر" والإطاحة بكل أسس الدفاع المصري، وحيث ضمنوا لهم تحقيق المفاجأة.

وحين استكملت إسرائيل كل الأسباب الملائمة لها للحرب والهجوم على مصر سياسيا وعسكريا مع بداية شهر يونيو (حزيران) أصبح من المتوقع أن تبدأ الحرب في الأسبوع الأول من نفس الشهر.

أ – لماذا ٥ يونيو (حزيران) كان يوم الهجوم الإسرائيلي على مصر؟

بتحليل أحداث ٥ يونيو (حزيران) نجد أن هناك ترتيبات وإجراءات قامت بها القيادة المصرية في هذا اليوم من الصعب اعتبارها مصادفة، تمت بحجة زيارة المشير عامر، والسيد نائب رئيس الوزراء العراقي لسيناء، وكانت هذه الترتيبات والإجراءات لها ارتباط مباشر بتأمين الهجوم الجوى الإسرائيلي المباغت، بالرغم من أن زيارة القائد العام للقوات الأمامية تعني الإشراف على استكمال الاستعداد القتالي للقوات، وبث روح الوطنية والحماس فيهم.

وطالما صدرت تعليمات الزيارة من "القيادة العليا"، ولم تصدر من الجهة الشرعية والمنوطة بهذا العمل وهي: "هيئة العمليات"، الأمر الذي قلب زيارة الحرب إلى زيارة مشكوك في أهدافها، وحيث أصدرت "القيادة العليا" تعليمات بتجميع قادة التشكيلات والوحدات، مع تقسيمهم في مجموعتين [٤٦] إحداهما في مطار تمادة لاستقبال المشير عامر، والأخرى في مطار فايد لاستقبال السيد حسين الشافعي بصحبة السيد طاهر يحيي نائب رئيس الوزراء العراقي والوفد المرافق لهما، وكانوا في زيارة رسمية لمصر.

- **ويصف اللواء عبد الحميد الدغيدي قائد طيران سيناء [٤٧] في حرب ٦٧ ما حدث في صباح ٥ يونيو قائلا:**

> « إن قائد الجبهة كان غائبًا ، وقائد الجيش كان غائبًا ، وكان القادة الذين يتلونهم غائبين.. كل هؤلاء غير موجودين في قياداتهم ومراكز عملياتهم لحظة نشوب القتال. كانت أول حرب من نوعها في تاريخ الحروب تبدأ وكل قادتها بعيدون عن مواقعهم، ولم نقرأ أو نسمع عن شيء كهذا حدث في تاريخ الحروب قديمها وحديثها».

وللتوضيح فإن التعليمات المستديمة ، وقوانين الحرب تُحتّم عدم تحرك القادة خارج وحداتهم بأي حال عند رفع درجات الاستعداد القتالي للحالة الكاملة ، ويُعتبر خروج القادة لاستقبال المشير عامر جريمة عسكرية ، توجب محاسبتهم، مع اعتبار أنه إذا تعارضت أي تعليمات إدارية من "القيادة العليا" مع التعليمات المستديمة للحرب ، فإن الأولى اتباع التعليمات المستديمة وقوانين ونظم الحرب.

ب - لماذا ٨,٤٠ صباحًا كانت ساعة الصفر للهجوم الإسرائيلي؟

تحددت الساعة ٨,٤٠ صباحًا لتكون ساعة الصفر، وهي الميعاد المنتظر لوصول طائرة المشير عامر ومجموعته إلى مطار تمادة.

- **كتب محمد فوزي [٤٨]:**

> « أذاع قائد الجبهة – فريق أ. مرتجي – قبل المعركة بيوم واحد نبأ زيارة المشير عامر يوم ١٩٦٧/٦/٥ بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة صباحًا ، وهو الميعاد المنتظر لوصوله مطار تمادة ، وقد حُدد في هذا الاجتماع عدد المستقبلين ووظائفهم، التي تتراوح بين الفريق أ. والعميد وهم ٢٨ قائدًا يحضر بعضهم بهليوكوبتر للاستقبال ". هذا عدا المجموعة الأخرى التي ستذهب إلى مطار فايد لاستقبال الضيف العراقي».

- **كتب الفريق الحديدي [٤٩]:**

> « كان من الطبيعي والسماء تحمل طائرات صديقة بعضها متجه إلى سيناء ، وبعضها متجه إلى فايد، أن تتخذ الإجراءات الكفيلة بعدم اعتراض وسائل الدفاع الجوي لهذه الطائرات على طول خط سيرها المرسوم، وصارت هذه الوسائل مقيّدة في استخدامها ، كالتعبير الفني الذي يُطلق على مثل هذه الحالة ،

وقد لعب هذا الموقف دورًا كبيرًا في مستقبل الأحداث وساعد على خلق ظروف غير مواتية للدفاع عن سماء مصر».

- وكتب الفريق أ. محمد فوزي [00]:

« كانت قيادة الدفاع الجوي قد أصدرت أمرًا إلى جميع المطارات وجميع عناصر الدفاع الجوي بين القاهرة وسيناء بالتوقف عن إطلاق النيران في المدة من الساعة ٨ إلى الساعة ٩ صباحًا لعبور الطائرتين.

والمعروف أن الأوامر المستديمة لتعريف وإجراءات فتح النيران تقضي بفتح النيران عند حدوث أي اعتداء مباشر، وبالرغم من قيدها لأي سبب مثل السبب السابق، أى أن تفتح النيران فورًا في حالة الاعتداء المباشرة. أي أن العدو إذا حاول الهجوم على أي مطار أو أي عنصر من عناصر الدفاع الجوي يلزم مقابلته فورًا دون استئذان أو تردد...والسـؤال.. لماذا لم تُنفذ عناصر الدفاع الجوي هذا الأمر المستديم؟"»

وإذا كان الأمر كذلك... وكان يجب – فرضًا – تقييد نيران الدفاع الجوي؛ لتأمين طائرتي المشيرعامر وضيف مصر.. فكان الواجب بل والحتمي، وسماء مصر تنتظر طائرات العدو المغيرة، هو: أن يكون تحرّك المشيرعامر وضيفه بالعربات الجيب، بدلاً من الطائرات... خاصة وأن المسافة من القاهرة إلى تمادة لا تتعدى ٢٠٠ كيلومتر بالسيارة.. من هنا يتضح أن جميع التعليمات التي صدرت لترتيبات وإجراءات الزيارة هي في حقيقتها ليست إلا تعليمات لخلق الظروف المناسبة ليوم وساعة الصفر للهجوم الإسرائيلي على مصر مثلما كان من تقييد نيران الدفاع الجوي، للمحافظة على سلامة الطائرات الإسرائيلية، وتأمينها أثناء هجومها الجوي على مصر.

إلا إننا لا نوافق علي رأي كبار القادة في أن ترك قادة التشكيلات لقواتهم في هذا اليوم قد أحدث إرباكًا لها... على الإطلاق... طالما كان وجود هؤلاء القادة مثل عدمه، بل قد يكون عدم وجودهم أفضل؛ لأنه سيفرض على قادة آخرين أن يحلوا مكانهم، وهم بالتأكيد أفضل، طالما أنهم أكثر إلمامًا بموقف العمليات كما أوضحنا سابقًا.

أما ما نراه ، فإن الأمر لا يزيد عن صناعة موقف ومشهد درامي مثير لشد انتباه الرأي العام المصري إلى أن الأمور كانت تسير في "القيادة العليا" بصورة غاية في الإهمال والتخبط، مما يدفعنا بعيدًا عما وراء تقييد نيران "المدفعية (م.ط)" حين

لم يقتصر فقط على مساري طائرتي المشير عامر ونائب رئيس الوزراء العراقي... ولكن شمل أيضا المطارات الأخرى، وهو ما وضح في تقرير لجنة التحقيق العسكرية العليا [٥١] والتي ذكرت ما يلي:

"تقييد نيران "المدفعية (م.ط)" المخصصة للدفاع عن القواعد الجوية وقت بدء العدوان للأسباب الآتية:-

(١) بالنسبة لمطارات سيناء:

- مطار السر، بسبب وصول طائرة مواصلات تحمل معدات وأكياس خيش للمطار.
- مطار تمادا، بسبب انتظار وصول طائرة المشير عبد الحكيم عامر (سبق الإشارة إليها).
- قاعدة المليس، بسبب الطائرات التي تنقل المياه والألغام إلى أم حزم.

(٢) بالنسبة لمطارات القناة:

- مطار فايد، بسبب الطائرات المقلة للوفد العراقي (سبق الإشارة إليها).
- مطار كبريت، بسبب طائرة نقل أسلحة وذخيرة للمطار.
- مطار أبوصوير، بسبب انتظار مرور طائرة المشير عامر بالقرب منها.

(٣) بالنسبة لمطارات المنطقة المركزية:

- مطار غرب القاهرة، بسبب طلعات التدريب لبعض الطائرات.
- مطار بني سويف، بسبب طلعات التدريب لبعض الطائرات.

٦- إقامة حفل ساهر بقيادة القوات الجوية ليلة الحرب:

كان التخطيط لهذا الحفل [٥٢] يدخل ضمن خطة دعائية تم إعدادها مسبقًا لتفجيرها بعد انتهاء الحرب، تهدف إلى تضليل الرأي العام المصري بإقناعه بأن أسباب كارثة ٦٧ بكل ما فيها من "تدمير وسحق لكل الأسلحة ومعدات وطائرات الجيش المصري" لا تعدو عن "أخطاء وإهمال وتخبط".. وذلك نتيجة الفساد الذي استشرى في القيادة العسكرية المتمثلة في شخص المشير عامر وتضمنت الحملة الدعائية: "التعرض لخصوصيات حياة المشير عامر الشخصية وسهراته وزواجه الثاني من برلنتي عبد الحميد، والفساد المالي لضباط مكتبه... وأخيرًا تلك الحفلة الساهرة التي أحياها المطربين والمطربات والراقصات.... حتى الساعات الأولى من صباح يوم المعركة ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ،.... فماذا ينتظر الشعب المصري من تلك

القيادة العسكرية الفاسدة التي لم تبالي بخطورة الموقف، والحرب على الأبواب... وظلت تعيش في حياة العبث والمجون... حتى تكون تلك الكارثة هي النتيجة العادلة المتوقعة.... كما يقول المثل: "بيت المهمل يخرب قبل بيت الظالم".

وكان الهدف من الفكرة الفلسفية لتلك الحملة الدعائية، هي إبعاد الرأي العام المصري تمامًا عن البحث والتقصي في الأسباب الموضوعية للكارثة.... والتي ستصل به حتمًا إلى الحقيقة، ومن الجناة الذين قاموا على التخطيط والتنفيذ لتلك الكارثة.... ليدفع بهم إلى ساحة العدالة.... لينفذ فيهم حكم الإعدام رميًا بالرصاص.

أما وقد، نجحت تلك الحملة الدعائية، حيث صرف الرأي العام المصري النظر تمامًا عن البحث والتقصي عن الأسباب الموضوعية لتلك الكارثة المروعة.. طالما اقتنع فعلاً بأنه قد توصل للأسباب الحقيقية للكارثة، والتي لا تعدو عن "أخطاء وإهمال وتخبط" من القيادة العسكرية الفاسدة التي كانت تقود الجيش المصري، فقد نجح بالتالي جنرالات الجيش من الإفلات من ساحة العدالة... حتى إذا ما استنفدت تلك الحملة الدعائية أغراضها... وأتى ذلك الزمان، الذي تحولوا فيه من جناة إلى ضحايا.... حيث أصدر الرئيس السادات قرارًا بالعفو عن رموز الكارثة.... وكان ذلك القرار في سياق مرحلة سياسية جديدة.... استلزمت توجهات سياسية جديدة تبعًا لها، بالتالي تسييس حرب ٦٧ في اتجاه آخر يحمّل الزعيم جمال عبد الناصر مسئولية الحرب والكارثة.

- وفي هذا السياق كتب أ. وجيه أبو ذكري [٣٣]:

> « أحب أن أُسجّل هنا، أن الحفلة أقيمت بموافقة الرئيس جمال عبد الناصر شخصيًا ، وأن الذي جاء بالموافقة هــو: الطيار حسين عبد الناصر شقيق الرئيس عبد الناصر وزوج ابنة المشير وأبلغ الموافقة للواء طيار إسماعيل لبيب، وتم إبلاغ الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية».

لا نرى ضرورة للتعليق عن وجهة النظر هذه، ذلك باعتبار ما هو ثابت تاريخيًا من انفصال الجيش عن سيطرة الزعيم جمال عبد الناصر وحكومته، وحيث كان الجيش تحت السيطرة المطلقة لجنرالات الجيش " شلة المشير"... فكيف إذن نصدق من يدعي أن " الجنرالات" وعلى رأسهم المشير عبد الحكيم عامر، كانوا عاجزين عن مجرد إقامة "حفل" إلا بتصريح من الزعيم جمال عبد الناصر؟!.

وما شأن أخوه "حسين عبد الناصر" في أمر مثل هذا؟!... وهل هي مسألة عائلية تستوجب تدخل أحد أفراد عائلة عبد الناصر؟!.

وكيف يصل الاستخفاف إلى حد أن " يوحى إلينا " بأن" الجنرالات " قد دفعوا بشقيق الزعيم للتوسط لديه للموافقة على إقامة ذلك الحفل؟!

الفصل الثاني عشر

مرحلة الحرب الفعلية

« ليس لمصر أن تخجل من تاريخها
وليس في ماضيها ما يُشين »

د. جمال حمدان

١- تحليل وتقييم أحداث الحرب حتى صدور قرار الانسحاب:

- الساعة ٤ صباح ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ من فجر ذلك اليوم الحزين... واحساس بالكآبة والضيق يعم كل من على أرض سيناء... شيء ما يجسم على الصدور... حين حملت نسمة هواء الفجر البارد القادم من الشرق نذير شؤم لفجر يوم حزين، مع أصوات طبول الحرب، التى كانت تدق على الجانب الإسرائيلي من الحدود المصرية، إلى أحد دوريات " نطاق الأمن المصري " والتي لم تتوانى بدورها عن التبليغ الفوري بنذير الحرب إلى " مكتب مخابرات العريش " الذي أرسله بدوره إلى مكتب " ابن بدران " بالقيادة العليا " المصرية بالقاهرة، حيث يحفتظ " ببلاغات الانذار " في سرية تامة داخل أدراج مكتبه اللعين، بدلا من تبليغها الى رجالنا المقاتلين – طبقًا لذلك النظام المخزى والمؤسف الذي ابتدعته " شلة المشير " لتحقيق المفاجأة لاسرائيل - .
- حوالي الساعة ٥ صباحًا مع أول ضوء، بدء جيش الأعداء عبوره للحدود السياسية المصرية، بوحدات استطلاعه ومفارزه المتقدمة – (طبقًا لتقدير مواعيد التحرك مع ما ثبت من وقائع وأحداث، ومن خلال الرؤية الموضوعية لسيناريو أحداث الحرب التي لها أساس من قواعد ومبادئ التكتيك والعلم العسكري).
- ظلت وحدات " نطاق الأمن" تتابع رصدها لجيش الأعداء وتوغله داخل المنطقة العازلة المصرية، وإرسالها البلاغات المستمرة لكل ما تشاهده، لحظة بلحظة. مع طلبها المعاونة من القوات الرئيسية لستر انسحابهم داخل خط الدفاع الرئيسي، قبل اصطدامهم بمدرعات الأعداء.... حيث لم تكن طبيعة تكوين تلك الوحدات الصغيرة وتسليحهم تؤهلهم لسوى مهمة الإنذار والتبليغ... مع عدم التصدي لمدرعات الأعداء والاشتباك معها أو التشبث بالأرض.

ومع استمرار تقدم مدرعات الأعداء... ازداد سيل بلاغات وحدات "نطاق الأمن" مع الاستغاثة وطلب المعاونة، إلى "مكتب مخابرات العريش" الذي يرسله بدوره إلى المكتب اللعين، لتلقى جميع البلاغات نفس المصير!!.

ولم تكن بلاغات وحدات" نطاق الأمن " واستغاثتهم بالقوات الرئيسية، لستر انسحابهم إلى خط الدفاع الرئيسي، إلا إشارة لبدء سيناريو أولى مراحل الحرب والاشتباك الفعلي والتى كان قد سبق التخطيط لها بالخطة "قاهر" - (حين كان من المفترض والواجب أن تدخل المدفعية المصرية بأعيرتها المختلفة سواء الثقيلة أو المتوسطة بكل ثقلها وجبروتها.... تلقي بقذائف من جهنم على أرتال مدرعات الأعداء المتقدمة.... لستر انسحاب وحدات " نطاق الأمن"... وتظل المدفعية المصرية تعزف سيمفونيتها الخالدة، تشجي قلوب المقاتلين... وتأخذ بألبابهم.... لما بعد وصول أبنائنا مقاتلي " نطاق الأمن " سالمين إلى أماكنهم المحددة على خط الدفاع الرئيسي...... لوحتى وصول جيش الأعداء إلى مسافة من خط ا لدفاع الرئيسي هي مسافة الأمان لقواتنا، والتي إذا تعدتها قذائف المدفعية تؤثر بالضرر على قواتنا، بينما يتألق نسور الجو المصريين في سماء " سيناء " يتمايلون... ويزهون... لينقضوا فجأة من أعلى.... ليلحقا بالدمار على جحافل الغزاة المتكبرين... معزوفة أخرى... ولحن بديع، يتناغم مع سيمفونية المدفعية الخالدة... وعلى أنغام سيمفونية المدفعية الخالدة، ولحن الطيران البديع، يكون قد انتهى المقاتلين على خط الدفاع الرئيسي من تهيئة أنفسهم لساعة اللقاء... كل في موقعه المحدد... وعلى أعلى درجات التأهب والتحفز في انتظار وصول الأعداء... لتبدأ ملحمة البطولة والفداء، ويشهدوا السماء والأرض وما بينهما كيف يكون القتال... وكيف شهد لهم من " لا ينطق عن الهوى " بأنهم خير أجناد الأرض... عن حق وحقيقة)- .

أما وأن، جميع " بلاغات الإنذار" بقدوم جيش الأعداء التي أرسلها أبناءنا مقاتلي " نطاق الأمن " انتهت في أدراج المكتب اللعين " لابن بدران " ؛ ليمنع وصولها إلى إخوانهم المقاتلين على خط الدفاع الرئيسي.... فإنه بالتالي لم تعزف المدفعية المصرية سيمفونيتها الخالدة.... ولا ظهر نسور الجو المصريين في سماء " سيناء " ليعزفوا لحنهم البديع... ولا أخذ المقاتلين على خط الدفاع الرئيسي أهبة استعدادهم للقاء جيش الأعداء.

في حين استمر أبناؤنا مقاتلي " نطاق الأمن " يرسلون بلاغات الإنذار بقدوم جيش الأعداء مع الاستغاثة وطلب المعاونة في انسحابهم... وهم على ثقة ويقين بأن قادتهم سيقومون بواجبهم حسب ما قررته الخطة العسكرية من معاونتهم في الارتداد إلى خط الدفاع الرئيسي، وأنه لن يغدر بهم، ويتركوا ليواجهوا جحافل جيش الأعداء بمفردهم.... حتى لفظوا أنفاسهم الأخيرة تحت جنازير مدرعات الأعداء... غدرًا وخيانة...

لقد ظفرت مدرعات الأعداء بمعركة غير متكافئة... حتى ولا تسمى بمعركة، تلك التي دارت بين بندقية ودبابة... صراع من طرف واحد... أو أنها مذبحة جماعية، هي أولى سلسلة المذابح التي استمرت طوال أيام الحرب، استشهد فيها جميع مقاتلي " نطاق الأمن " بعد أن أدوا واجبهم على أكمل وجه، طالما نجحوا في إرسال بلاغات الإنذار بقدوم جيش الأعداء إلى"القيادة العليا" المصرية....

تحية إلى أرواح أبناؤنا شهداء وحدات "نطاق الأمن" في كتائب الصاعقة والاستطلاع وأفواج الحدود...... في كل موقع من مواقع المنطقة العازلة في سيناء.... في "خان يونس.... الدرب التركي.... وادي الأزاريك.... أم بسيس.... الصبحة... وادي الخراف.... الفحامي.... الحياتي..... الخ ".

الساعة ٨.٤٠ صباح نفس اليوم، وصلت إلى " قيادة القوات الجوية والدفاع الجوي " بالجيوشي، وكذلك " القيادة العليا " المصرية، إشارة مشفرة، عرف فيما بعد أنها تحمل بلاغ إنذار بهجوم طيران العدو الجوي على مصر، مرسلة من محطة " عجلون " بالأردن..... ولم يتمكن أحد من فك رموز الشفرة، لمعرفة محتويتها، و ذلك لاحتفاظ "ابن بدران" بمفتاح الشفرة وعدم إعطائها لأحد من القادة والضباط المسئولين عن " جهازي الاستقبال " وهو ما سلب من النظام قيمته، والمضمون والهدف الذي أنشئ لأجله... وبالتالي لحقت " اشارة عجلون " نفس مصير اشارات " نطاق الأمن " لتتحقق المفاجأة لإسرائيل.

في الساعة ٨.٤٥ صباحًا بدأت إسرائيل هجومها الجوي – المفاجئ – بعدد ١٦٤ طائرة، هي كل طائراتها القاذفة المقاتلة – حيث تركت مهمة الدفاع عن سماء الأراضي الإسرائيلية لحاملات طائرات الأسطول السادس الأمريكي، الموجودة بمواني إسرائيل – وعلى موجتين، تم خلالهما تدمير جميع الطائرات المصرية الراقدة في جميع المطارات المصرية، وكذلك وسائل الدفاع الجوي، ما عدا بعض الطائرات، التي كانت بالسعودية، وكذلك تم تخريب ممرات الطائرات..

حوالي ٩ صباحًا من نفس اليوم ١٩٦٧/٦/٥ فاجأت المدرعات الإسرائيلية قواتنا على المواقع الأمامية بهجومها المباغت، وقد خلقت هذه المفاجأة أسوأ الظروف لقواتنا، وكان الأسوأ فى: عدم اشتراك المدفعية المصرية في المعركة والتي تعتبر أهم عنصر من عناصر المعركة، ذلك لأن المدفعية تقذف نيرانها قبل أن تصل مدرعات العدو إلى قواتنا وتلتحم معه - حتى لا تصيب نيرانها قواتنا أيضًا – أي والعدو مازال في الطريق إليها، أما وقد وصل فعلا، فليس بعد ذلك مدفعية. وبالتالي

جاءت المدرعات الإسرائيلية في أحسن ظروف بالإضافة إلى المعاونة الجوية بعد سيطرة طائرات إسرائيل على سماء المعركة.

وما أن ظهر جيش الأعداء حتى هب المقاتلون المصريون، خير أجناد الأرض يدافعون عن مواقعهم بشراسة، يحطمون بأيديهم هجمات مدرعات العدو المتتالية، وسط انقضاض طائراته المتسيّدة على سماء المعركة، حتى إذا ما فشلت جميع محاولاتهم في اختراق مواقعنا، ليسجل أبناؤنا المقاتلون المصريون أعظم ملاحم الفخر والنضال ... وظل المقاتلون الشرفاء يقاتلون ويتشبثون بمواقعهم الدفاعية... حتى ما كان من قرار الانسحاب الذي صدر الساعة ٥ مساء اليوم الثاني للمعركة.

أما الموقف التفصيلي للمعارك على محاور الحرب الثلاثة فهي كالآتي:

المحور الجنوبي:

لم تقوم القوات الإسرائيلية بأي عمليات هجومية على هذا المحور، وقامت فقط ببعض المناورات و التحركات العسكرية بقوات صغيرة، بهدف تثبيت القوات المصرية في أماكنها.

المحور الشمالي:

عبرت المدرعات الإسرائيلية من ثغرة رفح، تلك الثغرة التي كانت القيادة العليا قد صنعتها قبل الحرب بأيام، حين دفعت الفرقة ٧ مشاة في منطقة صنعت في المضمون الأخير(*) ثغرة تتيح للقوات الإسرائيلية عبورها بدون أي صدام مع القوة الرئيسية.... وواصلت المدرعات الإسرائيلية تقدمها لتعبر من ثغرة العريش التي صنعتها "القيادة العليا" أيضًا بطريقة أخرى، عندما كلفت إحدى لواءات الشورية(تلك اللواءات التي شُكلت قبل الحرب مباشرة من الأفراد المدنيين الذين لم يحصلوا على أي قسط من التدريب العسكري) للدفاع عن العريش بدلا من الوحدة المقاتلة النظامية التي كانت مدربة على هذا الواجب، وذلك قبل الحرب بأيام.

وواصلت مجموعة من مدرعات العدو تقدمها إلى نقطة "النصب التذكاري"، وهي النقطة الاستراتيجية الحاكمة لطريق الإمداد والتحرك للفرقة السابعة المشاة، وبذلك استطاعت عزلها وحصارها مما أصبحت في حكم خروجها من المعركة نهائيًا، كذلك واصلت مجموعة أخرى من مدرعات العدو التقدم على الطريق الساحلي – "المحور الشمالي" – وعددها ٢٠ دبابة إسرائيلية في اتجاه قناة السويس،

(*) مذكرات الفريق أ. محمد فوزي، ج١، حرب الثلاث سنوات، ص١٠٥.

حيث اشتبك معها فوج المدفعية الساحلية الموجود غرب العريش ودمر مدرعتين، وواصلت الـ ١٨ مدرعة تقدمها، حيث كانت القيادة العليا قد أخلت المحور الشمالي من القوات المصرية النظامية قبل الحرب بأيام.

أما عن إدارة قائد الجيش الفريق صلاح محسن للمعركة فقد أمر اللواء ١٤ مدرع ومعه كتيبة مشاة بالتحرك من ك ١٦١ إلى اتجاه الـ ١٨ مدرعة الإسرائيلية، حيث قامت الطائرات الإسرائيلية بتدمير القوة المصرية، ثم قام للمرة الثانية بنفس التصرف بدفع مجموعة حوالي لواء مدرع من قوة " عثمان نصار " حيث تم تدميرها أيضا بالطيران الإسرائيلي، ثم للمرة الثالثة بدفع قوة مكوّنة من "كتيبة دبابات + كتيبة صاعقة + سرية استطلاع"، حيث لاقت نفس مصير سابقتيها. الأمر الذي يكشف بوضوح عما وراء تصرف الفريق صلاح محسن في المرات الثلاثة بدفعه قوات مدرعة في ظل السيطرة الجوية الإسرائيلية وهو يعلم يقينًا بمصيرها المحتوم بحكم العلم العسكري وأصول وقواعد الحرب، الأمر الذي يكشف عن أن الهدف من دفع هذه القوات في المرات الثلاثة كان بدافع تدميرها. أما تبرير بعض القادة بأنه بدافع إيقاف تقدم الـ ١٨ مدرعة الإسرائيلية فهو كلام غير منطقي، لأن العبرة في تكليف أي وحدة عسكرية بمهمة هي قدرتها على تنفيذها، ويمكننا شرح الصورة للقارئ بأن المعركة هنا كانت بين نوعين من الأسلحة غير متكافئين، بين مدرعات تتحرك على الأرض وطائرات للعدو تنقض عليها من السماء لتقذفها بالصواريخ فتدمرها قبل أن تصل لأهدافها، فيكون الأمر كما لو كنت أقدم للطائرات الإسرائيلية أهداف سهلة لتدميرها، أو هي أشبه بصورة من أحد الأفلام الأمريكية التي تصوّر وحشية القبائل البدائية الهمجية وكيف يقتلون الأسرى بأن يصطف الرجال الأقوياء المسلحين " بالحراب، والبلط، والسكاكين... الخ، ويخرج عليهم الأسير الأعزل من السلاح، كذلك تمشي الدبابات والتي لا تحمل أي سلاح ضد الطائرات المعادية التي تنقض عليها بكل وحشية.

على أن الحل الوحيد الذي فرضه التكتيك ألا تتحرك المدرعات نهائيًا، في ظل السيطرة الجوية للعدو، وتظل في مواقعها الدفاعية المجهزة هندسيًا، ومن خلال الاستخدام الجيّد لطبيعة الأرض الجغرافية لا يمكن لطائرات العدو تحقيق أي خسائر إلا بنسب ضعيفة جدا، ويجوز تحركها ليلاً تحت ستر الظلام لاتخاذ مواقع دفاعية أفضل في الظروف الضرورية فقط، وبواجب الدفاع وليس الهجوم.

أما التقييم النهائي لموقف المحور الشمالي، فإنه لم يكن يمثل أي خطورة على الموقف العام، ذلك لأن هذا المحور لم يكن يتسع لتحرك وحدات كبيرة يمكنها الوصول إلى القنطرة لتطويق الجيش المصري من الخلف، أما الـ ١٨ مدرعة للعدو التى اخترقت المحور، فلا تمثّل أي قوة لها اعتبارها عند اصطدامها بالجسم الرئيسي لقواتنا.

المحور الأوسط:

هو محور الحرب الرئيسي، ففي حين لم يتسع المحور الشمالي إلا لعمليات ٢٠ دبابة إسرائيلية فقط نجد أن المحور الأوسط يتسع لإضعاف ما تملكه جيوش مصر وإسرائيل من دبابات وعتاد، الأمر الذي يكشف بوضوح عن السبب في التركيز كل التركيز على المحور الأوسط الذي لا تخرج عن حدوده كل الأحداث الحاسمة للحرب.

وبذلك ركّزت المدرعات الإسرائيلية وطيرانها هجماتها على مواقعنا على المحور الأوسط، واستمرت موجات الهجوم الإسرائيلي المدرع وطائراته المسيطرة على سماء المعركة تتكسر على صلابة وشراسة الدفاع المصري.... وظلّ المقاتلون المصريون الشرفاء يقاتلون حتى الساعة ١٠,٥٠ مساء اليوم التالي ٦٧/٦/٦، حين وصل إليهم أمر الانسحاب.

٢ ـ قرار الانسحاب (*):

فرض الاختلال في أوضاع القوات المصرية في شبكة الدفاع المصري حُكمه نتيجة عدم تنفيذ "الخطة قاهـر" – ذلك ان النظرة البعيدة، و حسن تقدير الأمور، وما يمكن أن نتوقعه من جرّاء استمرار الهجوم الإسرائيلي والضغط على مواقع القوات المصرية على المحور الأوسط – لعدم وجود عمق دفاعي – قد يمكنها من عمل ثغرة تعبر منه لتتقدم خلال المحور الأوسط الخالي من القوات المصرية ؛ لتصل بسرعة ومباشرة إلى خط الممرات، وبإغلاقها للممرات، والتي هي بمثابة أبواب الحياة للجيش المصري – تكون قد عزلت الجيش المصري بأكمله عن مصر وسقط في قبضتها. الأمر الذي يفرض سرعة إعادة توزيع القوات المصرية علي مسرح العمليات، لإعادة اتزان شبكة الدفاع المصري، وهي الصورة التي عرضها الفريق صلاح محسن على المشير عبدالحكيم عامر، حين طلب منه التصديق على ارتداد القوات إلى

(*) راجع الفصل السادس، نقد وتحليل قرار الانسحاب.

النطاق الدفاعي الثاني - على خط الممرات - والفكرة في مضمونها سليمة تمامًا، وبذلك أصدر المشير عبد الحكيم عامر في الساعة الخامسة مساء يوم ١٩٦٧/٦/٦ بما سُمي بقرار الانسحاب إلى قائد الجيش الفريق صلاح محسن ونصه: " ارتداد القوات المصرية إلى شرق وغرب خط الممرات وخلال ثلاث ليال".

بمجرد تلقي الفريق صلاح محسن نص القرار؛ قطع الاتصال مع القيادة العامة، دون أن يتصل بهيئة العمليات ليتلقى منها خطة وتعليمات تنظيم الانسحاب، ثم قام بترديد نص قرار الانسحاب إلى قادة التشكيلات، دون أن يصدر تعليمات و خطة لتنظيم الانسحاب والتي هي أحد أهم مسئولياته - سواء بالاستعانة بهيئة العمليات أو بإصدارها من خلال فرع عمليات الجيش تحت قيادته- ثم قام مباشرة بإغلاق مركز قيادة الجيش وقطع كل خطوط الاتصال مع جميع التشكيلات و الوحدات المرؤوسة، وتحرك فورا ومعه مركز قيادته ليعبر قناة السويس إلى الإسماعيلية.

بمجرد أن تلقى قادة التشكيلات نص قرار الانسحاب، قاموا بنفس ما قام به قائد الجيش بالضبط (ترديد نص قرار الانسحاب إلى الوحدات المرؤوسة – بدون إصدار تعليمات وخطة لتنظيم الانسحاب - رغم وجود فرع عمليات ضمن تنظيم كل تشكيل - ثم أغلقوا مراكز قياداتهم وقطعوا كل خطوط الاتصال مع الوحدات المرؤوسة، وركبوا عرباتهم الجيب وانطلقوا يسابقون الريح ليعبروا القناة إلى الاسماعيلية).

تلقت الوحدات المقاتلة نص قرار الانسحاب إلى " شرق وغرب الممرات خلال ثلاث ليال"، بدون تعليمات وخطة تنظيمية، وهو ما جعل من القرار أمرًا غامضًا ومبهمًا يستحيل تنفيذه، طالما لم تعرف كل وحدة مكانها على خط الممرات ولا واجبها، وطالما لم يجد قادة الوحدات المقاتلة من يجيب على استفساراتهم بعد أن أغلق قادة التشكيلات مراكز قياداتهم وانطلقوا بها إلى الإسماعيلية، الأمر الذي أحدث ارتباك شديد داخل الوحدات المقاتلة.

٣ – نجاح الطابور الخامس في تغيير خط الانسحاب:

قام " شمس بدران " مع ضباط "القيادة العليا"، بإدارة عمل " الطابور الخامس " الذي أسندوا مهمته إلى ضباط وأفراد المخابرات الحربية والشرطة العسكرية، وذلك لتحويل اتجاه الانسحاب عن خط الممرات إلى غرب القناة والقاهرة مباشرة والتخلي عن سيناء للصهاينة، مع إشاعة البلبلة والفوضى في صفوف المقاتلين

المصريين، وذلك بمجرد إصدار المشير عبد الحكيم عامر لقرار الانسحاب الساعة ٥ مساء يوم ٦٧/٦/٦ واعتمد نجاح " الطابور الخامس " في مهمته على ما قام به قائد الجيش وقادة التشكيلات من قطع خطوط الاتصال بين القيادات وبين القيادة العامة، حتى لا تجد الوحدات المقاتلة بديلاً عن قبول الأوامر التي جاء بها أفراد "الطابور الخامس".... ومع كونهم أفراد مخابرات وشرطة عسكرية مصرية، جاءوا بهذه التعليمات من "القيادة العليا".... ومع ادعائهم بأنها أوامر من المشير عبد الحكيم عامر.... ومع كل الظروف السابقة كان الالتباس الذي أُحْكمت حلقاته حول قادة الوحدات المقاتلة... ليُنفذوا تعليمات الطابور الخامس.... لتحدث الكارثة .

بناء على تنفيذ القوات المقاتلة المصرية لهذه الأوامر بالانسحاب، أصبحت كل المواقع و خطوط الدفاع خالية من القوات المصرية في وقت واحد فلم تجد المدرعات الإسرائيلية المهاجمة أيّ خطٍ دفاعي يوقف هجومها، فاجتاحت الأراضي المصرية حتى وصلت إلى خط الممرات الذي وجدته خاليًا، أيضا فأغلقت الممرات على الجيش المصري، فعزلته شرق الممرات أي شرق الحائط الغربي وليسقط في قبضتها أسيرًا.

لقد انقلب الانسحاب إلى كارثة بكل المقاييس (لاحظ أنه لولا إصدار الفريق صلاح محسن أوامر الانسحاب بدون تعليمات تنظيمية لما استطاع الطابور الخامس بقيادة " شمس بدران" أن ينفذ إلى الوحدات المقاتلة).

أحدث ارتداد الفرقة الرابعة المدرعة بقيادة اللواء الغول إلى القاهرة مساء يوم ١٩٦٧/٦/٦ مفاجأة لهيئة العمليات والمشير عبد الحكيم عامر، لأن الفرقة الرابعة المدرعة كانت الاحتياطي الاستراتيجي العام للقوات المسلحة وتحت السيطرة المباشرة لهيئة العمليات والمشير عبد الحكيم عامر شخصيًا، وكانت الأوامر المشددة لها بعدم مغادرتها شرق خط الممرات، الأمر الذي دفع المشير عبد الحكيم عامر بإصدار أمر برجوعها مرة أخرى إلى مواقعها شرق الممرات فورا، إلا أن اللواء الغول اختفى لحين أن تصل المدرعات الإسرائيلية لخط الممرات وتستكمل استيلائها على منطقة الممرات كلها. ولم يظهر اللواء الغول إلا في اليوم التالي بعد ان تأكد من استيلاء جيش إسرائيل على خط الممرات، ليأمر وحدات الفرقة بالتحرك إلى سيناء صباح يوم ٦/٨ الأمر الذي أتاح للطيران الإسرائيلي تدمير الفرقة أثناء تحركها.

بتدمير الفرقة الرابعة المدرعة الاحتياطي الاستراتيجي العام لمصر آخر ورقة في يد القائد العام، تكون الحرب قد انتهت من الناحية الفعلية، على أننا لا نحتاج إلى

تأكيد إلى أنه لولا تحرك الفرقة الرابعة المدرعة بانسحابها من خط الممرات ؛ لما استطاع الجيش الإسرائيلي الاستيلاء على خط الممرات بصورة مطلقة (وهو ما جعل من اللواء الغول رمزًا من رموز كارثة ٦٧ مع الفريق أ. صدقي محمود قائد الطيران).

ظهرت الصورة المخزية والمخلة بالشرف والرجولة لمجموعة جنرالات الحرب الفارين من ميدان المعركة، يُمارسون حياتهم الطبيعية، ينعمون بكل وسائل الحياة المرفهة في أجمل وأفخر " فِلل " معسكر الجلاء التي بناها الجيش البريطاني بالإسماعيلية، وقد اعتبروا أن الحرب قد انتهت بالنسبة لهم، وأن دورهم أصبح مجرد سماع أخبار الجيش المصري الذي تحصده مدرعات الصهاينة أرضًا وطائراتها سماءً.

٤ – تعليمات القائد العام بإعادة تنظيم الجيش المصرى لمقاومة تقدم جيش الأعداء:

ومع اعتبار أن المعركة لم تنته ؛ فقد أصدر المشير عبد الحكيم عامر تعليماته لإعادة تنظيم الجيش المصري، لتجميع كافة إمكانات القوات المسلحة، ومنها الوحدات المنسحبة للقيام بأعمال المقاومة، للوصول إلى أحسن أوضاع سيئة أو تقليل حجم الكارثة بقدر الإمكان، وكذلك لمساعدة باقي المقاتلين المصريين الشرفاء – وهم أغلب قوة الجيش – الذين ما زالوا يسيرون في دروب سيناء بدون ماء ولا طعام منذ قرار الانسحاب لإنقاذ حياتهم ومساعدتهم حتى عبور قناة السويس... وكان لابد من أي عمل لإنقاذ المقاتلين الشرفاء، وهو ما قامت به هيئة العمليات برئاسة الفريق أنور القاضي من إصدارها تعليمات لإعادة تجميع وتنظيم القوات والإمكانيات المتيسرة إلى مجموعات سرايا " مشاه، ودبابات "، واستخدام أسلوب الكمائن والإغارة لعرقلة تقدم العدو الصهيوني،

- **ولنترك الحديث للقائد الغضنفر المارشال عبد المحسن مرتجي قائد قوات الجبهة وأقدم الفارين من ميدان القتال [٥٤] ليعرض هذا الموقف حيث يقول:**

« كنا موجودين في الجلاء وحضر رئيس الأركان الفريق أ. محمد فوزي بتعليمات جديدة، هذه التعليمات بيّنت تمامًا أن الموقف في سيناء غير معروف جيدًا، لدى "القيادة العليا"، فقد جاء في التعليمات بأن يُعاد تنظيم القوات المسلحة على مستوى المجموعات.. مجموعات سرايا ودبابات، وهي تدخل وتهاجم اليهود – من كل منطقة.. وأن قيادة القوات، قيادة الجبهة أو مركز القيادة المتقدم يتحول إلى قيادة جبهة، وتنضم إليه القيادة الشرقية، وينتقل إلى شرق القناة، وحصلت مشادة كبيرة خلال هذا المؤتمر، ما بين قادة المدرعات، وما بيني أنا وبين رئيس

الأركان، وكان رأيي.. أن الذي قاد المعارك، والذي أوصلنا إلى هذا الحال يحضر هو لينفذ الكلام الجديد الذي يقوله، والذي لا يمكن تنفيذه... إذًا من هي القوات الموجودة في سيناء التي يمكن أن تسيطر عليها، والتي يمكن أن تدفعها بهذا الأسلوب، وبهذه الطريقة التي يريدونها؟.. وأين تذهب قيادة الجبهة، وفي أي منطقة في سيناء، والعدو قد وصل تقريبا إلى المضايق، كنا في ذلك الوقت نتصوّر هذا... لكن لم يستمر الموقف كثيرًا، حتى وصلتنا معلومات أن اليهود وصلوا إلى القنطرة».

وبذلك رفض جنرالات الحرب الفارون من ميدان المعركة إطاعة الأوامر الصادرة لهم من القائد العام و هيئة العمليات، وقد تزعّم هذا العصيان المارشال الغضنفر "مرتجى"، في الوقت الذي لم يذكر أي مبررات أو حجج استند عليها لرفض أوامر هيئة العمليات، كذلك لم يوضّح مبررات وحجج آراء باقي جنرالات الحرب، في النقاط التي اختلفوا فيها أثناء المناقشات الحامية في هذا الموضوع، واكتفى – مرتجى – بالعبارة الموسيقية ذات الإيقاع الرنان والقفلة الحراقة: " إن الذي قاد المعارك، والذي أوصلنا إلى هذا الحال يحضر هو لينفذ الكلام الجديد الذي يقوله.. "، وفي الحقيقة أن " مرتجي" شخصيا ومعه كل "الجنرالات" الذين كانوا حوله في ذلك الاجتماع هم الذين قادوا المعركة ووصلوا بنا إلى هذا الحال.

ولكن لاحظ هنا، أن الأمر في هذا الموقف لم يكن يقبل ولا يحتمل أي جدال أو مناقشات على الإطلاق، لأن الوقت هنا هو العامل الفاعل والحاسم، فإذا اندفعت بسرعة بالوحدات الصغيرة إلى خط الممرات لعمل الكمائن بها ؛ استطعت النجاح في أي عمل إيجابي لعرقلة تقدم العدو، بذلك تضمن إنقاذ أكبر عدد من المقاتلين المصريين الشاردين في دروب سيناء، والعكس صحيح بتضييع الوقت الثمين والغالي في المناقشات والجدال، وهو ما وضح أيضًا من كلام "مرتجي" في عبارة: " كنا في ذلك الوقت نتصوّر – أن العدو وصل للمضايق – ولكن لم يستمر الوقت كثيرًا حتى وصلتنا معلومات بأن اليهود وصلوا القنطرة ". إذن هنا موقف آخر يحسب على "جنرالات الحرب" بزعامة "مرتجى" في إضاعتهم فرصة لمصر لتقليل حجم الكارثة. وكانت النتيجة المباشرة هي وصول مدرعات إسرائيل بسرعة للقنطرة، كذلك فشل الوحدات التي أرسلت إلى القنطرة بعد فوات الأوان.

- **وهو أيضا ما أعلنه " مرتجى" – للغرابة – حيث يتابع الحديث(**)**:

« لم يستمر الموقف كثيرا، حتى وصلتنا معلومات أن اليهود وصلوا القنطرة فأرسلوا لهم قوات، طبعا كل هذا كان أوامر من مصر إلى القيادة الشرقية ومن القيادة الشرقية إلى أي قوات تجدها، لتصد اليهود، قبل أن يصلوا إلى القنطرة، ومع ذلك فقد عبرت بعض الوحدات، فأما بعضها ففرز لأنه لا يعرف الأرض جيدًا، فلما وصل إما أنه دُمِّر من ضربات الطيران، أو القوات اليهودية، وفشل الدفاع عن القنطرة، وسقطت القنطرة وابتدأ اليهود يتجهون جنوبًا شرق القنطرة، وفي الحقيقة لا يستطيع إنسان أن ينسى الأمجاد التي صنعتها قوة من المدفعية التي أرسلت، والتي تمركزت في مثلث الطرق شرق الإسماعيلية بهدف إيقاف تقدم العدو، وهذه القوة صمدت، وظللنا طوال الليل نسمع صوت إطلاق نيرانها على العدو إلى أن أبيدت عن آخرها».

إذن كان فشل القيادة العامة " وهيئة العمليات " والمشير عامر في تحقيق أي نجاح، ولو حتى الاحتفاظ بالقنطرة، رغم الإصرار الشديد بإرسال قوات من مصر (القاهرة) بسبب رفض "الجنرالات" لهذه الأوامر، ذلك لأن العمل العسكري عمل جماعي يعتمد نجاحه على توفُّر جميع عناصر المعركة، ومنها:عدم وجود مثل هذا الانفصال والانشقاق بين "الجنرالات" وهيئة العمليات، مثلما حدث بإرسال قوات من مصر أو القاهرة، لا تعرف طبيعة الأرض بالقنطرة، كان الأمر يستدعى معاونتها من قيادة الجيش، بإرسال أي ضابط استطلاع معها يعرف طبيعة الأرض، أما بدون هذه المعاونة، فقد غرست العربات في الأرض السبخة بجوار بحيرة البردويل، مثلما غرست فيها من قبل أحد الحملات الصليبية المغيرة على مصر بقيادة "بولدوين"[٤٦]، فلم تخرج هذه الحملة الصليبية من الأرض السبخة حتى يومنا هذا، وقد سُميت البحيرة التي بجوارها "البردويل" على اسم قائد تلك الحملة الصليبية.

٥ ـ قرار الانسحاب الثاني:

مثل أي قرار مصيري خطير في الحرب يصدره القائد العام تنبع فكرته من مسرح العمليات وأحداثها، ذلك أن ظروف الموقف نفسه هي التي تحدد للقائد العام القرار المناسب، وبذلك قام الفريق أ. مرتجي* بشرح موقف قواتنا المسلحة بسيناء بالتفصيل للقائد العام، مضمونه أنه موقف ضعيف وميئوس منه وأنه لا مفر من

(*) راجع الفصل الخامس من الجزء الأول من الكتاب بند قرار الانسحاب ص ١٣٣.

الانسحاب الكامل من سيناء، فأخذ المشير عامر رأي رئيس الأركان الفريق أ.محمد فوزي، الذي وافق على قرار الانسحاب، كذلك هيئة العمليات، و بالتالى كان قرار المشير عبد الحكيم عامر بالانسحاب الثانى، والذى قام الفريق أنور القاضى بإصداره من هيئة العمليات، إلى الفريق أ. عبد المحسن مرتجي، وذلك في الساعة ٥ مساء يوم ١٩٦٧/٦/٨ ونصه: "انسحاب جميع القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة السويس".

٦ – نسف وتدمير الكباري المنشأة على قناة السويس:

تم نسف وتدمير جميع الكباري المنشأة على قناة السويس منذ صباح يوم ٦٧/٦/٧ – ماعدا كوبري واحد شمال الإسماعيلية – أي قبل وصول مدرعات إسرائيل إلى خط المضايق، الأمر الذي ضاعف من حجم الكارثة لعدم استطاعة الدبابات والمعدات والأفراد من العبور إلى غرب القناة، ولا نقول أمرًا عجيبًا، فكل أمور حرب ٦٧ عجب، وقد ذكر الفريق أ. فوزي هذا الحدث وبرره بالأسلوب الذي اتبعه في تبرير جميع الأعمال المشبوهة بأنها إما تسرع أو إهمال أو أخطاء، فكتب :[٥٧]

> " كما أن مجموعة من الضباط المهندسين الذين كلفوا بتدمير المعابر ، وكان معهم ضباط شرطة عسكرية، وضباط مخابرات من مكتب الإسماعيلية، تسرعوا في تدمير كل المعابر، قبل التوقيت المعقول، فقد كان التوقيت المعقول لهم هو عبور القادة والضباط، وليس المعدات أو الجنود، وكان هذا التصرف استجابة لأمر المشير. "

أما وأن، عملية تدمير الكباري نفذت تحت إشراف وسيطرة ضباط الشرطة العسكرية وضباط مخابرات مكتب الإسماعيلية ؛ فإن ذلك يعني: " أن هذه العملية كانت بأوامر من " شمس بدران "، ذلك باعتبار أن الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية كانا تحت قيادته وسيطرته الشخصية.

أما وأن، عملية تدمير الكباري كانت بأوامر من " ابن بدران"، فإن توقيت تنفيذ العملية لابد وأن يحدده " ابن بدران " باعتباره الآمر بالعملية... وهو ما أكده " محمد فوزي " في عبارته: " فقد كانت التوقيت المعقول هو... الخ "، وذلك أن الذي يعقل ساعة تنفيذ العملية ويحددها بدقة هو: " القائد الآمر بالعملية "، وليس الضباط المنفذين لها، أما حكم " محمد فوزي " بتسرع المنفذين للعملية، فهو حكم ذاتي غير موضوعي، ولا يستند على أي دليل، وعلى العكس، فإن اضطلاع ضابط المخابرات

الحربية ومعه ضباط الشرطة العسكرية، هو دليل قاطع على الالتزام بدقة تنفيذ العملية في الميعاد المحدد لها من قبل القائد الآمر بها.

وفي هذا السياق نشير إلى أن المقياس أو المعيار، الذي يمكننا الحكم به على تحديد ميعاد تنفيذ عملية تدمير الكباري، فيما إذا كان التوقيت صحيحًا أم لا... هو ذلك المقياس أو المعيار الذي حددته نظم وقواعد الحرب وهو أن يكون:

" في آخر لحظة يمكن انتظارها لإنقاذ آخر ما يمكن إنقاذه، من أفراد وأسلحة ومعدات لجيشنا المنسحب؛ حتى إذا ما اقتربت مدرعات العدو وأصبحت على مرمى البصر، وجبت عملية النسف، وبذلك تتبلور وتتمحور العملية كلها، حول تحديد توقيت النسف الذي يكشف بصورة مطلقة الهدف من العملية، وما إذا كانت لصالح الجيش المصري لإنقاذ أكبر ما يمكن إنقاذه أم أنها لصالح العدو الإسرائيلي بحجز ومنع قواتنا وأسلحتنا من العبور ليظفر بها العدو.

أما وأن توقيت عملية التدمير التي شملت جميع الكباري والمعابر المقامة على قناة السويس كانت في صباح اليوم التالي لصدور قرار الانسحاب... فهو ما يعني صراحة وبلا مواربة: " منع عبور الجيش المصري المنسحب قناة السويس، حتى يتمكن العدو الإسرائيلي من إحكام حصاره وتدميره "... وذلك لأنه ببساطة شديدة، لم يصل أمر "الانسحاب" إلى أغلب وحدات الجيش المصري قبل صباح يوم ٦٧/٦/٧، وهو نفس يوم توقيت تدمير الكباري.

إذن تعالى نرى من هم هؤلاء القادة الذين شملهم هذا التوقيت القاتل، وضمن لهم السلامة بعبور قناة السويس؟ هذا مع العلم بأن عبور أي فرد من الجيش المصري لقناة السويس في هذا التوقيت القاتل، هو ما يثبت ارتكابه جريمة الفرار من ميدان القتال، ذلك لأن: **قرار " الانسحاب" كان ينص على الانسحاب حتى خط الممرات فقط، وليس إلى غرب قناة السويس أو القاهرة...** مع الأسف كانوا جميع "الجنرالات" قادة التشكيلات الذين لم يكن لهم دور في المعركة سوى إطلاق صيحة " الانسحاب " وركوب عربات الجيب، والانطلاق بسرعة الريح للفرار من ميدان القتال لعبور قناة السويس، قبل تدمير الكباري.... كذلك، جميع القادة والضباط أعضاء تنظيم " شلة المشير" الذين وصلتهم تعليمات " ابن بدران " مع ضباط الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية، بالانسحاب إلى غرب قناة السويس والقاهرة، بدلاً من خط الممرات.... أما باقي القادة والضباط المصريين الشرفاء فقد أبت عليهم نخوتهم ومروءتهم أن يتركوا جنودهم في ساحة القتال لمصيرهم المحتوم.

فظلوا معهم ليلقوا نفس المصير... وهو ما أكده " محمد فوزي " في عبارته السابقة: "... فقد كان التوقيت المعقول لهم هو عبور القادة والضباط، وليس المعدات والجنود..." أي أن المخطط الذي خطط لهذه العملية بعقلانية وفكر، فقد وضع في اعتباره عبور القادة والضباط من " شلة المشير "، والذين لم يكن سواهم يجرؤ على عبور قناة السويس في هذا التوقيت.

أما وأن، توقيت عملية تدمير الكباري، والذي تم تحديده بعقلانية وفكر، لم يكن يسمح بالوقت الكافي لعبور الغالبية العظمى من أفراد ومعدات الجيش المصري لقناة السويس - [طالما أن عملية نقلهم إلى سيناء تمت في ٢١ يوم مع الاستعانة بعربات نقل من القطاع المدني للنقص الشديد في حملة الجيش المصري، في حين أن الوقت المتيسر منذ صدور قرار الانسحاب الساعة ٦ مساء يوم ٦٧/٦/٦ وحتى التدمير للكباري في صباح اليوم التالي لا يزيد عن عدة ساعات، غير كافية حتى لوصول قرار الانسحاب نفسه إلى أغلب وحدات الجيش المصري]- فإن هذه العملية في المضمون الأخير، وبصراحة شديدة وبلا موارية، لا تهدف سوى حصار الجيش المصري داخل سيناء ومنعه من عبور قناة السويس ليقع تحت رحمة وحكم الجيش الإسرائيلي.

تظل هناك مسألة واحدة غاية في الأهمية، ألا وهي، استثناء معبر واحد من التدمير الذي شمل جميع المعابر والكباري على قناة السويس... وهو معبر "شمال البحيرات " ترى... ما هو السر في إبقاء هذا المعبر سليمًا طالما أن الهدف كان في إحكام الحصار على الجيش المصري بسيناء ومنعه من عبور قناة السويس؟!

وتأتي الأحداث لتجيب على هذا التساؤل... حين كشفت عن مخطط لإعادة الفرقة الرابعة مدرعة إلى سيناء مرة أخرى، حتى يتم تدميرها هي الأخرى، - [وكانت الفرقة قد انسحبت من خط الممرات إلى القاهرة مساء يوم ٦٧/٦/٦ بدون أوامر، وذلك لتتيح الفرصة لمدرعات العدو للاستيلاء على خط الممرات] - وبالفعل ظل معبر " شمال البحيرات " سليمًا حتى تم عبور الفرقة الرابعة مدرعة إلى سيناء في صباح يوم ٦٧/٦/٨، وحيث تم تدميرها بواسطة الطيران الإسرائيلي... وما لبث أن قامت "القيادة العليا" بتدمير ذلك المعبر في مساء نفس اليوم ٦٧/٦/٨، لزوال السبب الذي من أجله استبقى عليه سليماً...

- ويكشف عن تلك الصورة الحقيقية لهذه القضية بوضوح اللواء عبد المنعم خليل حيث كتب:[٥٨] :

> « وجدت أمامي اللواء أ.ح. علي عبد الخبير الذي وصل من القاهرة لقيادة المعبر، وهو المسئول عن عملية النسف، وقلت له: " أن يسمح بعبور الدبابات "، ولكن الازدحام والفوضى لم تمكنه من الالتفات لي، ونفذ الأوامر بنسف المعبر، ودباباتي وبعض أسلحتنا وعرباتنا مازالت على الضفة الشرقية، وبمجرد الانفجار زادت الفوضى، وقفز عدد كبير من الجنود في القناة للعبور غريًا سباحة، وعلمت أن العدو لم يصل إلى المعبر حتى نهاية اليوم التالي ٦٧/٦/٩... ولكنها أوامر تُنفّذ!!» .

تُرى.. هل كان " الشاطر حسن " يرى ما لا يراه اللواء علي عبد الخبير من دبابات وعربات وأفراد مصريون من الواجب إنقاذهم قبل تدمير المعبر؟... أم كان يحتاج إلى تنبيه من الشاطر حسن؟... حتى يكشف بإصراره على تدمير المعبر بهذه الصورة - والتي حددت ملامحها ظروف الموقف - إن العملية كانت لصالح العدو الاسرائيلي... ألا ترى، أن هذا الحدث يتمشى مع السياق الذي سارت عليه جميع أحداث الكارثة كمنظومة متكاملة.

٧ ـ المقاتلون المصريون الشرفاء في صحراء سيناء:

ظل المقاتلون المصريون الشرفاء يسيرون على أقدامهم في دروب صحراء سيناء، منذ أن تلقوا أمر الانسحاب مساء يوم ٦ يونيو (حزيران) ٦٧ - (سواء للنقص الشديد في حملة الوحدات بالإضافة لارتجال جميع الراكبين منهم بعد شروق شمس أول يوم من أيام الانسحاب، ذلك لأن العربات كانت هدفًا جيدًا لطائرات العدو) - واستمر سير المقاتلون لمدة من ٧ إلى ١٠ أيام، ذلك لضعف قدرتهم البدنية على السير للجوع والعطش ولتوقفهم عن السير في الاتجاه الصحيح لفترات كثيرة، لمحاولاتهم الهروب من مطاردة مدرعات أو طائرات العدو.

وقد ساعد الانهيار النفسي وتحطم روحهم المعنوية ؛ بسقوط كل رموز ومعاني الجندية، التي هي أهم عناصر القوة النفسية للمقاتلين، كان سقوط القدوة ومعنى القيادة في فرار"الجنرالات" من ميدان القتال، وكان سقوط معنى الواجب في عدم تحمّل هذه القيادات مسئولية الحرب، والتي أدت إلى الحال الذي هم فيه، وكان سقوط ما تبقى من معاني الجندية والفروسية من شجاعة وتضحية ونبل وشهامة.. في حرمانهم من حق القتال ومنازلة عدوهم في ساحة الوغى، لتسمع وتتسامع الدنيا

كلها ببطولاتهم... ضاعت كل الرموز والمعاني السامية حينما وجدوا أنفسهم فجأة وقد تخلى عنهم قادتهم، يسيرون بلا طعام وبلا ماء وبلا مأوى وبلا هدف، لأيام طوال تطاردهم مدرعات وطائرات العدو، كالكلاب الضالة التي يُطلق عليها الرصاص. ومع أنين الجرحى الذين ينزفون حتى الموت وهلاك بعضهم من العطش وضربات الشمس، ومع الخوف والرعب من الوقوع في الأسر، تحولوا من مقاتلين أقوياء إلى أفراد ضعفاء يخافون مصيرهم المحتوم، ليتجسّم كل شيء حولهم في الظلام إلى أشباح تطاردهم ليجروا مذعورين، خوفًا من هذا المجهول.

٨ – خسائر الجيش المصري في حرب ٦٧:

ذكر الفريق أ. محمد فوزي [٥٩] خسائر الجيش المصري في حرب ٦٧ والتي هي حسب الإحصائية الرسمية للدولة كالآتي:

- خسائر الأفراد: حوالي ٢٠٠٠٠ شهيد من الضباط والجنود (على أننا نرى أن الرقم الحقيقي للشهداء أضعاف هذا الرقم بكثير، نظرًا لأن القيادة السياسية – في ذلك الوقت – كانت تخفي الأرقام الحقيقية حتى لا تؤثر على الروح المعنوية للشعب المصري).
- خسائر المعدات (بالنسبة المئوية):
  - القوات البرية ٨٥٪
  - القوات الجوية والدفاع الجوي ٨٥٪
  - القوات البحرية صفر٪
- خسائر القوات الجوية بالتفصيل:
  - القاذفات الثقيلة ١٠٠٪
  - القاذفات الخفيفة ١٠٠٪
  - المقاتلات القاذفة والمقاتلة ٨٥٪

٩ – صناعة قصة كاذبة ومضللة لحرب ٦٧:

كان تسييس حرب ٦٧، لخدمة أهداف " الليبراليون " لإسقاط نظام الحكم الاشتراكي الناصري وإعادة النظام" الليبرالي" الفاسد بدلاً منه، هو محور الفكرة الفلسفية لقصة حرب ٦٧ الملفقة... طالما صنعت أحداثها الكاذبة والمضللة فى سياق تلك الفكرة ... لتكون هى القصة السائدة والمفروضة ـ مع الأسف ـ على الرأى العام

المصرى، والتى هى وصمة العار التي لن تنمحي من جبين" الليبرالية" و"الليبراليون" إلى أبد الآبدين.

ففي حين، أنه كان من الممكن اقتصار مسئولية ارتكاب جريمة كارثة ٦٧ بكل تبعاتها، على مجموعة "الجنرالات" الليبراليون... نجد أن إصرار مفكري وأدباء الفكر "الليبرالي" على تسييس حرب ٦٧، وذلك بإعادة إشعالهم حرب٦٧ مرة أخرى، بعد انتصار ٦ أكتوبر ٧٣ ؛ كشف بما لا يدعوا للشك بوحدة " الفكر الليبرالي" وأن القضية ليست مجرد جريمة ارتكبتها مجموعة من "الجنرالات" الليبراليون المنحرفون، ولكنها قضية فكرية عقائدية نابعة من شدة التعصب للأيدولوجية الليبرالية.

واستتبع تسييس القضية – كأمر طبيعي – تغيير أو تحريف أحداث ووقائع الحرب ؛ حتى تتمشى أسبابها ونتائجها مع سياق الأهداف السياسية "الليبرالية" المطلوب تحقيقها، وهو ما جعل من هذا التغيير أو التحريف تغييرًا أو تحريفًا جذريًا، حيث تم صنع قصة مختلفة لحرب ٦٧، لا تمت لتلك الحرب التي دارت أحداثها على أرض الواقع بأي صلة – [وقد أوضحنا في فصل سابق أن هذه التغيرات أو التحريفات كانت على ثلاث محاور هى:

المحور الأول: تحميل المشير عامر القائد العام المسئولية الكاملة عن أحداث الحرب والكارثة من الألف إلى الياء.

المحور الثاني: تحميل السياسات الاستراتيجية لحكومة الزعيم جمال عبدالناصر المسئولية، بالادعاء بأن تلك السياسات كانت وراء أسباب الهزيمة العسكرية.

المحور الثالث: إلقاء المسئولية كاملة على نظام الحكم،لاستناده على النظرية الاشتراكية الناصرية، والادعاء بأن هزيمة ٦٧ أثبتت فشل تلك النظرية بكل عناصرها " السياسية والاقتصادية والاجتماعية "، وبالتالي ضرورة العودة مرة أخرى إلى النظام "الليبرالي" الفاسد، والدخول في حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي].

وقد قام بعض "الجنرالات" بوضع سينارهات لأحداث كاذبة لحرب ٦٧، وكان أهمهم الفريق أ. محمد فوزي، الذي تولى وضع الخطوط الرئيسية لقصة حرب٦٧ الملفقة، بما يمكن تأويلها وتفسيرها للخروج باستنتاج لأسباب الحرب

والهزيمة، بما يتمشى مع سياق المحاور الثلاثة التي تحقق هدف "الليبراليين" الرئيسي في الإطاحة بنظام الحكم الاشتراكي الناصري، وإعادة النظام الليبرالي الفاسد، والدخول في حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي، وذلك بالجزء الأول من مذكراته بعنوان "حرب الثلاث سنوات" وقد قمنا بتحليل وتفنيد ما حرفه في بعض الوقائع والأحداث الرئيسية والحاسمة في معركة ٦٧ مثل تغييرهم نص "قرار الانسحاب" وغيرها.

والملحوظة المثيرة في تلك القصة الملفقة: " تجنبهم تمامًا الكلام عن دور "الجنرالات" وتأثيره الفاعل على نتيجة المعركة، وكيف قادوا الجيش المصري إلى الهزيمة والكارثة "... وكأن هؤلاء الجنرالات لم يشتركوا في الحرب من البداية حتى النهاية!!... أو كان الجيش المصري دخل حرب ٦٧ بدون قادة!!.... وهو الأمر الذي يكشف عن صورة غاية في الاستخفاف بالرأي العام المصري.

والحكم العام على روايات هؤلاء "الجنرالات"، أنهم فشلوا تمامًا في صناعة سيناريو محبك للقصة، تتسلسل فيها الأحداث وتترابط ويترتب بعضها على بعض في أسباب ونتائج، حيث ظهرت كقصة معيبة غير موضوعية، تتناقض فيها الأحداث مع بعضها البعض، ولا تنسجم في سياق عام.

وسنتعرض بصورة عامة لملامح روايتي اثنين من "الجنرالات"، هما أهم واخطر قائدين مسئولين عن المعركة بعد المشير عبد الحكيم عامر " القائد العام" مباشرة، وهما: "الفريق أ. محمد فوزي، رئيس الأركان والرجل الثاني للجيش المصري، والفريق أ. عبد المحسن مرتجى قائد عام القوات المصرية في جبهة سيناء الذي قاد الجيش المصري إلى الكارثة.

أ- تحليل ونقد جزء من قصة الحرب الملفقة للفريق أ. محمد فوزي: السفينة الأمريكية " ليبرتي ".

- **كتب الفريق أ. محمد فوزي [٦٠] تحت عنوان التداخل والشوشرة:**

« أضافت السفينة ليبرتي بأجهزتها الإليكترونية مساعدة غير مباشرة أخرى لإسرائيل، إذ أنها لمكانها القريب من سواحل سيناء والدلتا، ومعرفتها بالترددات التي تعمل عليها أجهزتنا اللاسلكية، والقنوات الإشارية التي تعمل عليها قواتنا، والطابع المميّز لقواتنا - في ذلك الوقت - في عدم الحرص على أمن المواصلات عمومًا، كل هذا مكّن السفينة أن تحدد، وقبل بدء العمليات، أماكن تمركز

جميع القيادات الميدانية الكبيرة أو المؤثرة، سواء في الجيش الميداني، أو المطارات وعناصر الدفاع الجوي، خاصة أجهزة الرادار سواء الإنذار أو التوجيه.

وقبل بدء المعركة بدقائق، وجهت هذه السفينة بأجهزتها الخاصة، موجات ذات تردد عال جدًا إلى المحطات اللاسلكية والقيادية ومحطات الرادار المصرية فتم التشويش على أجهزتنا اللاسلكية، وكان أهمها قيادة الفرقة الرابعة المدرعة، كما تم تداخل لاسلكي بين كل محطتين تابعتين لنا كانتا على تردد واحد، مثل قائد فرقة وقائد لواء من نفس الفرقة، أو قائد سرب جوي وطائرات تشكيله وهي في الجو.

بالإضافة إلى التشويش الراداري على أماكن واتجاه محطات الرادارات، حيث تظهر شاشة الرادار بيضاء مسحاء، فإن أفراد أطقم الرادار عندنا لم يتدربوا على كيفية مقاومة أو تقليل تأثير مثل هذا العمل.

وعلى ذلك فشلت عملية توجيه طائراتنا في الجو من المحطة الرادارية في القاعدة التي كانت توجهها إلى مناطق القتال. وقامت الزوارق والطائرات الإسرائيلية بضرب السفينة ليبرتي مساء يوم ١٩٦٧/٦/٨ نتج عنه قتل ٣٤ بحارًا وأصيب ١٧١ من طاقمها».

حدد محمد فوزي ما قامت به السفينة الأمريكية "ليبرتي" في الآتي:

- حددت أماكن تمركز مراكز جميع القيادات الميدانية " الجيش الميداني، المطارات، عناصر الدفاع الجوي".
- وجهت "ليبرتى" قبل بدء المعركة بدقائق " موجات ذات تردد عال جدًا إلى المحطات اللاسلكية، فتم التشويش عليها، حتى وصل التشويش على كل محطتين متصلتين مع بعضهما أينما كانوا!! حتى بين قائد السرب الجوي وطائرات تشكيله وهو في الجو!!
- ثم يُنهي محمد فوزي القصة بالقفلة الحراقة في العبارة الموسيقية: " وعلى ذلك فشلت عملية توجيه طائراتنا في الجو... إلخ ".

يتضح أن أساس القصة هو: ضرب الطيران الإسرائيلي للباخرة الأمريكية "ليبرتي" بنوع الخطأ.. وبالتالي لم يترك هذا الحدث سدي.. فتم تأليف وتركيب أحداث عليه تخللها الخيال العلمي الأمريكي.

القصة تبرز التفوق العلمي الأمريكي الرهيب، حتى أن سفينة بها بضع أجهزة أنهت الاتصالات اللاسلكية في جميع أجهزة الجيش المصري بصورة مطلقة!! (كده مرة واحدة)!! حتى في الجو بين الطائرات!!... أقول إيه؟... عجبي!

وحل عم فوزي المسألة ببساطة، بأن السفينة الأمريكية عرفت ترددات أجهزتنا اللاسلكية بسبب عدم حرص الأفراد على أمن المواصلات عموما، ثم يضيف أن هذا هو الطابع المميز لقواتنا!!

لاحظ هنا أن التجريح والطعن في كفاءة مقاتلينا الشرفاء ؛ جاء من زاوية النقد البنّاء، وباعتباره قائد مصري وطني لا يشك في انتمائه، وبالتالي فى هدفه وغرضه، على أنه دائمًا تأتي الطعنة المميتة من الصديق الغادر الذي لا يُتوقّع منه الغدر.

أما عن المعلومات الفنية عن الموجات اللاسلكية، والتي ذكرها الأسطى فوزي وهي في عبارة " قبل بدء المعركة وجهت هذه السفينة موجات ذات تردد عال جدًا إلى محطاتنا.. وتم الشوشرة... " فقد صوّر لنا الأسطى فوزي أن السفينة تطلق الموجات أشبه بالأشعة السحرية التي نراها في الأفلام الأمريكية ؛ فتدمّر كل شيء!! وهل معنى أن الموجات عالية جدًا.. أنها صالحة للتشويش على جميع أنواع الموجات؟!

لاحظ أيضا استراتيجية تبادل المواقع، فالأسطى فوزي الذي ليس عنده فكرة عن "البطيخ" في الموجات اللاسلكية، عمل فيها عالم في الفيزياء، رغم وجود قادة لسلاح الإشارة وسلاح الحرب الإلكترونية، ومنهم الحاصلون على أعلى الدراسات في هذا التخصص، وبالتالي لم يجرؤ أن ينسب إليهم هذا الكلام الفارغ.

ونشير هنا إلى أمر هام وهو: أن قواتنا كانت في واجب دفاعي، ولم تستخدم سوى التليفونات، حيث يحظر استخدام اللاسلكي في الدفاع، وهذا خلاف الواجب الهجومي الذي يُستخدم فيه الأجهزة اللاسلكية، أما حسم القضية فقد كفانا بها أ.هيكل حيث يقول [٦١]:

" بادئ ذي بدء فإنه لابد من التوقف – بالاستبعاد – أمام احتمالين: أولهما احتمال شاع وراج في أعقاب عمليات ١٩٦٧ ومؤداه: أن "ليبرتي" كانت تتجسس على تحركات الجيش المصري في سيناء، وأنها قامت بعمليات التشويش على أجهزة الدفاع الجوي المصرية، مما جعل مصر مكشوفة بالكامل أمام ضربة

الطيران الإسرائيلي صباح ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وهناك أربعة أسباب رئيسية لاستبعاد هذا الاحتمال:

١- أن الباخرة "ليبرتي" كما هو واضح من مواصفاتها التي نوقشت في لجان التحقيق المختلفة، لم تحمل أي أجهزة للتشويش الراداري أو غيره، فليست هي مهمتها، وإنما مهمتها التي جُهزت بها هي الحصول على المعلومات عن طريق كسر الشفرات وتحليلها، ومتابعة تطورات القتال وإرسالها إلى قاعدة "فورث ميد" مباشرة فى الولايات المتحدة، دون مرور بقيادة الأسطول الأمريكي السادس أو قاعدة الأدميرال "ويليام مارثن" المعقود لها لواء القيادة على ظهر المدمرة "ليتل روك".

٢- إن إسرائيل كانت تملك ما تريد من أجهزة التشويش الراداري، ولم يكن في استطاعتها أن تقبل بمخاطرة إلا وهذه الأجهزة الحيوية تحت تصرفها مباشرة، وإلا فإن عليها أن تستأذن الولايات المتحدة قبل كل عملية، في حين أن حركة ميدان القتال لا يتحمل ذلك حتى من ناحية الوقت.

٣- إن التحقيقات المصرية التي جرت في الكارثة، التي حلت بالطيران المصري قاطعة في أنه كانت هناك فجوة رادارية بارتفاع خمسمائة متر لا تغطيها الدفاعات المصرية، وكانت هذه الفجوة بالضبط هي التي جاءت منها الضربة الإسرائيلية، فقد كانت جميع طائراتها مندفعة في العمق المصري أو في سيناء على ارتفاع لا يزيد في معظم الأحيان عن مائة متر، وهو ارتفاع أقل بكثير من مساحة الفجوة المكشوفة.

٤- يجيء بعد ذلك سبب رابع وحاسم، وهو واضح في سجلات "ليبرتي" التي شملتها تحقيقات اللجنة الخاصة للكونجرس، وهو أن "ليبرتي" التي صدرت إليها الأوامر يوم ٢ يونيو (حزيران) بأن تتحرك من ميناء "روتا" الأسباني، بأقصى سرعة إلى شرق البحر المتوسط، ووصلت إلى الموقع المحدد لها ظهرًا (الساعة ١٢ وعشر دقائق ظهرًا بالضبط) يوم الاثنين ٥ يونيو (حزيران)، وفي ذلك الوقت كانت ضربة الطيران الإسرائيلي قد تمت وانتهت، وحققت جميع أهدافها وبذلك حسمت المعركة مع مصر، وبالتالي لم يعد هناك داع للتشويش الراداري على الدفاع الجوي المصري، على فرض أن "ليبرتي" كانت لديها وسائله».

وبذلك يكون أ. هيكل قد فضح الأسطى فوزي وقصص التوهان والخيال الجامح، وأهمها وهو أن "ليبرتي" لم تكن أساسًا تحمل أجهزة شوشرة!!

- **تدمير كابل الاتصال المحوري الرئيسي للجيش:**

- **وتحت عنوان " تخريب المواصلات الخطية " كتب الفريق أ. فوزي [٦٢]:**

« في مساء يوم ٦٧/٦/٥ نجحت طائرة هليكوبتر إسرائيلية تحمل طاقم تدمير في النزول، بجوار الطريق الأوسط في منطقة الخاتمية، حيث كان يمر الكابل المحوري الرئيسي عبر قناة السويس إلى سيناء، والذي كان يتفرع بعد ذلك إلى محورين رئيسيين على الطريق الأوسط والطريق الشمالي، ويخدم كل المواصلات السلكية للقوات الجوية والدفاع الجوي، بما فيها محطات الرادار الإنذارية، كما يخدم جميع التشكيلات البرية، وينتهي بسنترال أنشئ حديثا في العريش.

والغريب والمدهش، أن طاقم التدمير الإسرائيلي والطائرة الهليكوبتر، أتمّا العمل بتدمير الخط المحوري في أكثر من مكان بطريق التفجير.. أمام نظر وأعين جنودنا الذين كانوا يتحركون بعرياتهم على نفس الطريق، ولم يبلغوا حتى قياداتهم بما حدث.. أعتقد إنه الجهل، وعدم الفهم».

وقصة محمد فوزي مثيرة ودرامية.. على نظام الأفلام الأمريكية الأكشن.. طائرة هيليكوبتر.. وطاقم تدمير.. وتفجير الكابل بالمتفجرات.. وفي أكثر من مكان.. وأمام جنودنا.

ويتضح من القصة أن المارشال فوزي كان يداوم على مشاهدة المسلسلات والأفلام الأمريكية ذات الخيال الجامح، الأمر الذي أثّر على قدراته العقلية، حتى أصبح يخلط بين ما هو واقعي، وما هو خيالي، وبين ما هو عقلاني، وما هو غير عقلاني، على أنه في يوم نام مباشرة، بعد أكلة "كرنب محشو بالخلطة وباللية الضاني" فتسببت له في كابوس، استيقظ منه مفزوعا، ليقص هذه القصة باعتبارها حدثت في الحرب.. وما يؤكّد ذلك أن المارشال فوزي ـ خفيف العقل ثقيل الظل ـ لم يذكر حتى مصدر هذه القصة.

وكان الأقرب للتصديق، هو نزول كائنات حيّة من أحد الأطباق الطائرة القادمة من كوكب المريخ وقيامها بهذا العمل....

لأن اعتبارها عملية عسكرية يخضعها لقواعد ونظم الحرب، وأعمال خلف الخطوط التى هى من تكتيك الكوماندوز، فلم يقوم بحبك القصة.. والمادة الفنية فيها، وإخضاعها لأبسط قواعد التكتيك للكوماندوز، وأهمها: اختيار خط سير

تحرك طاقم التدمير الإسرائيلي بدقة، حتى لايصطدم بقواتنا.. لتأمين العملية، وضمان نجاحها، لكن أن يقوم طاقم التدمير الإسرائيلى بالعملية داخل عمق دفاعاتنا وأمام الجنود المصريين.. كده.. عيني عينك!!... وأنهم حتى لم يبلغوا قياداتهم بما حدث!!... إذن كيف علمت يا جناب المارشال بالموضوع؟!... ثم يعلل بأنه الجهل وعدم الفهم..!!

وإذا كان جنودنا جهلة وعديمي الفهم... فإن المارشال المتعلم الفاهم أن أي قائد يخطط لعملية خلف خطوط يخططها على أساس أكثر الاحتمالات توقعًا.. ومنها: احتمال مصادفة جنود غير جهلة وفاهمين، فضلاً على أن أي عربة يسير بها ضابط ؛ لأنها إما عربة شئون إدارية أو تحمل ضباط لإنجاز أي أعمال... لكن أن يكون التخطيط الإسرائيلي للعملية على أساس أن كل المتحركين على الطريق جنود جهلة وغير فاهمين!!... يجعل العملية كلها معرضة للفشل... ومن المستحيل أن يقوم أي مخطط عسكري بهذه العملية إلا ؛ كمغامرة في أحد الأفلام الأمريكية.

ومن ناحية أخرى، فإن عدم تعرض الجنود المصريين لطاقم التدمير الإسرائيلي لا يُعلل بالجهل وعدم الفهم، ولكن يمكن أن يُعلل بالسلبية، وعدم الانتماء، وبالطبع هذا نوع من الإسقاط.. لأن محمد فوزي كان خلال خدمته كلها كرئيس أركان القوات المسلحة مثال نادر للسلبية.

- وحيث كتب[٦٣]:

> « منذ تعييني في مارس ١٩٦٤ رئيسًا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة، كان موقفي الموضوعي خلال ممارستي للمهمات الرمزية القليلة طوال مدة عملي بهذا المنصب غريبًا.. إذ أنني لا أتذكر أنني قمت خلال هذه الفترة بعمل ما في القوات المسلحة.. وكنت صابرًا..!!... وأذكر أنه لم تبق من مهمات وظيفتي سوى تكرار الأمر...!! ».

لكن هذه القصة لم تسر وفقًا لفلسفته التي اتخذها لتبرير جميع التصرفات، التي أضرت بالجيش باعتبارها: "أخطاء.. إهمال.. تسرّع"، وكان عليه الاستمرار في هذه الفلسفة، فيقول – مثلا – إن أفراد المخابرات الحربية أزالوا الكابل خطأ – أو إهمال.. لاعتقادهم أنه كابل وضعته إسرائيل للتجسس على قواتنا.. لكن طيارة هليوكوبتر.. واسعة جدًا خصوصا أنه في مساء يوم ٦/٥ في أول أيام المعركة.. كل القوات صاحية.. ومتحفّزة.

الكابل تم تفجيره!!.. ثم ماذا؟!... هناك كتيبة إشارة مع قيادة الجيش مهمتها إصلاح الكابل بأسرع ما يمكن، وإذا كان الكابل قد دُمِّر من اليوم الأول للمعركة، ولم تتم أي محاولة لإصلاحه.. هنا الموضوع فيه كلام!!... بمعنى أنها حققت رغبة قائد الجيش في قطع الاتصال مع تشكيلاته، وإلا فلماذا لم يُصلح الكابل لإعادة الاتصال مع تشكيلاته؟!.

إذن إصرار قائد الجيش على عدم تصليح الكابل يُسقط قصة محمد فوزي، ذات الخيال الأمريكي عن طاقم التدمير والطائرة الهليوكويتر. ليكون قطع الكابل عن عمد وقصد من قائد الجيش، وحيث اتضح أن قطع اتصال قائد الجيش بالتشكيلات كان أحد عناصر التخطيط للهزيمة بدون معركة أو قتال، تحت حجة قرار الانسحاب.

وهكذا.. عن طريق أكلة "كرنب محشو بالخلطة" استطاع عم فوزي إنهاء المشكلة تمامًا.. طائرة هليوكوبتر دمرت كابل الاتصال التليفوني وباخرة أمريكية "ليبرتي" شوشرت على الأجهزة اللاسلكية... وسلم لي على أم نعيمة طاهية الكرنب المحشو بالخلطة ؛ إلا أن القضية التي لم يوضحها محمد فوزي هي: اتصال القيادة العامة بالجيش الميداني عن طريق العريش!!

قضية غريبة فعلا!! وطبعًا العريش قريبة من إسرائيل... لكن ما هي الغرابة؟! ألا تسير وفقا لسياق منظومة أحداث المعركة؟

روايات كاذبة لتبرير عدم إطاعة الجنرالات "أوامر القائد العام" باستمرار القتال:

قام الفريق أ. محمد فوزي بصناعة روايات كاذبة. تُحرف وتُغير من أحداث الحرب الحقيقية، بهدف تحسين الصورة المخزية " للجنرالات الليبراليون"، الذين لم ينفذوا أمر الانسحاب إلى خط الدفاع الثاني " خط الممرات " والصادر لهم من القائد العام، حين ركبوا عرباتهم الجيب وانطلقوا يسابقون الريح فرارًا من ميدان القتال، ليعبروا قناة السويس إلى الإسماعيلية، تاركين جنودهم للضياع والهلاك!!... وحيث تجمعوا في فلل معسكر الجلاء بالإسماعيلية يعلنوا رفضهم للمرة الثانية لأوامر القائد العام بالعودة إلى قتال الأعداء، دفاعًا عن شرف الأمة وعرضها.. حين أرسل المشير عامر القائد العام تلك الأوامر مع الفريق أ. محمد فوزي شخصيًا، وتتضمن هذه الأوامر: " إعادة تجميع وتنظيم قوات الجيش المصري والإمكانات المتيسرة، في مجموعات سرايا " مشاة ودبابات " لمقاومة تقدم العدو " إلا أن " الجنرالات" رفضوا تنفيذ هذه الأوامر لإجبار المشير عامر " القائد العام " على سرعة إنهاء الحرب وإعلان

هزيمة واستسلام الجيش المصري.

- كتب(*) محمد فوزي:

« توجهت بالفعل إلى الإسماعيلية في صباح يوم ١٩٦٧/٦/٧ واصطحبت معي اللواء مصطفى الجمل والسكرتير العسكري، ووصلت إلى معسكر الجلاء، حيث مقر قيادة منطقة القناة، فوجدت الفريق أ. مرتجى، والفريق صلاح محسن، واللواء أحمد إسماعيل، واللواء الدغيدي، ومعظم القادة الآخرين العائدين من سيناء.

أخطرتهم جميعًا بأمر المشير، بضرورة بقاء الفرقة الرابعة مدرعة وأي قوات أخرى، للتمسك بالمضايق، فقرروا جميعًا، وبلا أي تردد، بل بطريقة عصبية عدم جدوى هذا الأمر، بل واستحالة التنفيذ، فطالما لا يوجد طيران للتغطية فلا مفر ترك " سيناء " كلها.

وحدث جدل بيني وبين القادة الموجودين جميعًا، وعلى رأسهم الفريق أ.مرتجى، الذي سارع بطلب المشير تليفونيًا، وأخطره - أي الفريق مرتجى - بالموقف ليقنعه، ثم ترك لي سماعة التلفون كي يكلمني المشير شخصيًا. وبالفعل قال لي المشير كلمتين لا ثالث لهما: "خلاص يا فوزي ارجع انت إلى القاهرة».

قام "محمد فوزي" بتغيير القصة الحقيقية لهذا الموقف، الى قصة كاذبة وذلك بقلب مضمون الأوامر التي حملها من المشير عامر إلى "الجنرالات" قلبًا صارخًا، بالادعاء كذبًا بأن المشير عامر أرسله إليهم للتوسط في بقاء الفرقة الرابعة مدرعة في المضايق!!... وكأن مسألة تكليف الفرقة الرابعة مدرعة - ! والتي هي الاحتياط الاستراتيجي القيادة العليا ! - بمهمة حماية المضايق، تحتاج من القائد العام إلى توسط "محمد فوزي" لدى جميع "الجنرالات" حتى يوافقوا على هذه المهمة!!... ثم يعلن "محمد فوزي" بكل وقاحة وفجر، بأن "الجنرالات" لم يوافقوا على ذلك.. وأن الفريق "مرتجى" سارع بطلب المشير عامر تلفونيًا ليقنعه بذلك!!... وأن المشير عامر اقتنع برأي "الجنرالات" وقال له: " خلاص يا فوزي ارجع انت القاهرة!!.

إذن كيف ذهبت الفرقة الرابعة مدرعة إلى " سيناء " مرة أخرى، وتم تدميرها فعلاً؟!!.

(*) مذكرات الفريق أ. محمد فوزي ج١ حرب الثلاث سنوات ص ١٥٧

هذا في حين أن الفريق أ. "مرتجى" نفسه ذكر هذا الموقف بصراحة شديدة فى شهادته أمام لجنة تسجيل(**) ثورة ١٩٥٢، وهو ما يفضح كذب "محمد فوزي" حيث قال: "كنا موجودين في الجلاء، وحضر رئيس الأركان الفريق أ. "محمد فوزي" بتعليمات جديدة، هذه التعليمات بينت تمامًا أن الموقف في "سيناء" غير معروف جيدًا لدى "القيادة العليا"، فقد جاء في التعليمات بأن يعاد تنظيم القوات المسلحة على مستوى المجموعات... مجموعات سرايا ودبابات، وهي تدخل وتهاجم اليهود من كل منطقة... الخ. - [وقد ذكرنا هذه الشهادة في ص١٠٣ من بند (٤)فى نفس الكتاب]

– وبسبب هذا الموقف الذي كشف فيه "الجنرالات الليبراليون" عن حقيقة أنفسهم وسرائرهم وأهدافهم والتي تتصف بالخسة والجبن والنذالة، بإعلان رفضهم القتال دفاعًا عن شرف وعرض الأمة المصرية، وإصرارهم على إجبار المشير عامر، على سرعة إنهاء الحرب وإعلان الهزيمة... أصدر بالفعل المشير عامر: " قرار الانسحاب الثاني بارتداد الجيش المصري إلى غرب قناة السويس والتخلي عن " سيناء" لإسرائيل ".

روايات كاذبة تدعي " عدم رغبة جنودنا الشرفاء في القتال ":

وفي المقابل، عرض " محمد فوزي " صور ومواقف من الحرب، قام بتفسيرها أو تأويلها بأنها تكشف عن: " عدم ميل أو رغبة جنودنا الشرفاء في القتال "، حيث كتب(*) تحت عنوان " مظاهر اليأس ":

> « في طريق عودتي للقاهرة بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٧، سلكت الطريق الجنوبي إلى السويس، فشاهدت جنوب البحيرات حادثًا نطق وحده بالحقيقة المرة التي وضعت فيها قواتنا وهي: " عدم الميل أو الرغبة في القتال "، شاهدت خمس دبابات جديدة " ت ٥٥ " على الجانب الشرقي للقناة، متروكة بدون أطقم أو سائقين، فقد تركت الأطقم دباباتها وعبرت القناة سباحة أو في قوارب صغيرة، وكانت جميع المعابر قد دمرت في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٦/٧، ما عدا معبرًا شمال البحيرات».

ويكشف تفسير أو تأويل "محمد فوزي" لتلك الصورة التي عرضها - [عن ترك الأطقم أو السائقين لدباباتهم الخمسة، وعبورهم قناة السويس سباحة أو في قوارب صغيرة بأنها " تنطق بالحقيقة المرة من عدم ميل أو رغبة قواتنا في القتال"] -

---

(**) الفصل الثاني عشر من الجزء الثاني من الكتاب ص ١٠٣.

(*) مذكرات الفريق أ. محمد فوزي ج١ حرب الثلاث سنوات ص ١٥٧

عن صورة من صور الإسقاط التي أثبتها علم النفس الحديث، حيث أسقط "محمد فوزي" - كواحد من هؤلاء "الجنرالات" - كل ما بداخله من الشعور: "بالخسة والنذالة والجبن" من عدم الميل أو الرغبة في القتال، دفاعًا عن شرف وعرض مصر، على جنودنا الشرفاء".... الذين قاموا بتنفيذ أوامر قادتهم "الجنرالات" بالانسحاب وعبور قناة السويس، طالما أن طاعة الجنود لأوامر قادتهم في الحروب واجبة بصورة قاطعة... ولما قد تم تدمير جميع المعابر قبل الساعة الواحدة ظهرًا – [بمجرد عبور "الجنرالات" وباقي القادة من شلة المشير قناة السويس] – فإنه لم يكن أمامهم لتنفيذ أمر الانسحاب إلا عبور القناة سباحة أو في قوارب صغيرة.. حتى يتضح بصورة قاطعة، أن هذه الصورة ليست دليل أو حجة يمكن أن يستند إليها في استنباط ما بداخل جنودنا الشرفاء، خير أجناد الأرض، بأنهم كانوا في هذا الموقف يشعرون بعدم الميل أو الرغبة في القتال للدفاع عن شرف وكرامة الأمة؟!!..

وفي حين أنه أصدر حكم عام جائر وظالم على جنودنا الشرفاء بمجرد أنه رأى عدد ٥ دبابات بدون سائقين، نجد أنه لم يذكر الأسباب التي صنعت هذه الصورة وأدت إلى هذه التصرفات من جنودنا الشرفاء، وكذلك نجد تغاضيه عن الإشارة إلى الصورة الأهم والأخطر، وهي صورة جميع "الجنرالات" الليبراليون، الذين فروا من ميدان القتال، وأعلنوا صراحة وبلا مواربة رفضهم للقتال، وعدم تنظيمهم لوحدات الجيش المصري، لإمكان استمرار المقاومة وأعمال الحرب والقتال، دفاعًا عن شرف وعرض الأمة المصرية... فهل تجد "خسَّة وجبن ونذالة" أكثر من ذلك؟!!.

ثم قام "محمد فوزي" بعرض صورة أخرى، لتأكيد ادعائه الكاذب:" بظهور علامات اليأس والاستسلام على جنود مصر الشرفاء واتهامهم كذبًا وبهتانًا: " بعدم الميل أو الرغبة في قتال أعداء الوطن دفاعًا عن شرف وكرامة الشعب المصري، حيث كتب(*):

> « وعندما شاهدت بعض جنود العدو يقتربون من الدبابات، أمرت رئيس أركان المدرعات اللواء "حسني عيد" بتكليف طاقم هاون كان متمركزًا على بعد قليل مني، بإطلاق عدة طلقات الإزعاج بجوار الدبابات.
>
> إلا أنه عاد ليخبرني بأن ضابط الطاقم رد عليه قائلاً: " بلاش يا فندم لحسن طائرات العدو تشوفنا، وتضرب موقعنا.

(*) مذكرات الفريق أ. محمد فوزي ج١ حرب الثلاث سنوات ص ١٥٨.

هذا هو المثل الواقعي للانضباط القتالي، وهو نفس المثل لروح القتال أيضًا، غادرت المنطقة في اتجاه السويس ووجدت نفس الحال، ونفس الروح، بل شاهدت بعيني مظاهر اليأس والاستسلام مضافًا إليها الفوضى بكل مظاهرها"»

كيف نقبل من "محمد فوزي" تفسيره هذه الصورة، على اعتبار أنها من مظاهر اليأس والاستسلام لجنود مصر الشرفاء... خير أجناد الأرض؟!... ذلك أن أي تصرف لا يمكن الحكم عليه أو تقييمه ؛ إلا من خلال الموقف والظروف المحيطة به اللذان صنعا هذه الصورة...

أما الموقف والظروف المحيطة به، فكانا في محاولة لإنقاذ أكبر عدد من جنودنا الذين في حالة إعياء شديدة من جراء رحلة المآسي والأهوال، حين وصلوا إلى المعبر، حتى يتم عبورهم إلى غرب القناة، لإعادة تنظيمهم في وحدات مقاتلة بعد أخذهم قسط من الراحة، حتى يمكن إعادة دفعهم إلى ساحة القتال مرة أخرى.

وعلى ذلك.... فإن معرفتنا وإدراكنا الكامل للظروف التي صنعت هذا الموقف تدفعنا إلى الشك والارتياب في تصرف " محمد فوزي "، وما هي الدوافع والهدف من وراء إصداره تلك الأوامر بإطلاق عدة طلقات من مدافع هاون للإزعاج؟!... حيث يحتاج هذا الأمر منه إلى تعليل وتبرير، في حين تتجلى الحكمة في تصرف ضابط مدفعية الهاون – رغم حداثة رتبته العسكرية وخبرته أيضًا، وحيث لا تزيد رتبته عن ملازم أول ـ في انتقاد وتسفيه أوامر المارشال " محمد فوزي" التي ليس من ورائها إلا الضرر، وذلك في عبارته الغاية في البلاغة والحكمة: " بلاش يافندم لحسن طائرات العدو تشوفنا – [أي تكشف مواقعنا بدون طائل] – وتضرب مواقعنا، وهو الرد الذي أفحم اللواء حسني عيد، حتى أنه لم يعلق عليه... إلا أن يوافقه على رأيه.

والأهم في هذا الموقف.... كيف نتصور أن أقصى ما أمكن الفيلد مارشال "محمد فوزي" رئيس أركان حرب الجيش المصري " بجلالة قدره " في حرب ٦٧ بكل أحداثها، أنه أمر الجنرال "حسني عيد" رئيس أركان المدرعات "على سن ورمح" – بضرب عدة طلقات هاون بجوار العدو لإزعاجه، حتى وليس لإصابته!!.. وهل يجوز اعتبار هذا العمل من "محمد فوزي"، عملاً بطوليًا من أعمال الحرب والقتال. يستحق منه التباهي والافتخار؟!.

وفي النهاية، قد يكون من الجائز والمقبول، أن يقوم بعض القادة، بتحريف بعض أحداث الحرب، أو الادعاء بالكذب بمواقف لم تحدث، بهدف الدفاع عن أنفسهم وتبرئتها من بعض الجرائم التي ارتكبوها... وهذا يجيزه القانون والعرف،

حيث لا مسئولية على صاحب تلك المذكرات، ولكن بشرط: " ألا تتعدى هذه الأكاذيب الحدود، بما يضر بالشخصية القومية أو بالصالح العام، أو بالقذف في حق الشرفاء والأبرياء.

أما وأن، "الجنرالات" وكذلك مفكرو وكتاب " الليبرالية " لم يتخطو فقط حدودهم بما يضر بالشخصية القومية والصالح العام للأمة، ولكن أيضًا تخطوا كل الحدود بما يضر بالثقافة العربية والانتماء العربي، بل وحتى الهوية المصرية العربية، ليرتدوا بنا إلى ثقافة الاستعمار وعدم الانتماء وفقد الهوية، إلي زمن ما قبل ثورة ٢٣ يوليو " تموز" ١٩٥٢، وحصول مصر على استقلالها... حيث كانت أهداف تلك الثقافة الاستعمارية بث روح الانهزامية والإحباط وعدم القدرة على القتال والشعور بالدونية، وهي الثقافة المرفوضة في عصر الاستقلال.. وهو الأمر الذي يفرض على جميع المصريين والعرب الشرفاء، في جميع أنحاء الوطن العربي وفي جميع المواقع، خاصة في نقابتي " المحامين والصحفيين" أن يقوموا بواجبهم للدفاع عن شرف وكرامة جنودنا الشرفاء الذين غدر بهم في حرب ٦٧... على الأقل بالعمل على مصادرتها أو منع نشرها خاصة مذكرات شيخ الكذابين الفريق " محمد فوزي "، الجزء الأول، التي اعتبرت مع الأسف المصدر الرئيسي والتوجه السياسى لحرب ٦٧، والتي تؤكد على وجهة نظر ورؤية أحادية " ليبرالية " قد استنزفت أغراضها... أما اليوم فنحن في أشد الحاجة إلى نشر الحقيقة التي تؤكد وتؤصر الشخصية القومية المصرية العربية.

ب- **جزء من شهادة الفريق أ. مرتجى قائد عام قوات الجبهة في حرب ٦٧ [٦٤]:**

« مرتجى: هناك سؤال سألته للمشير بعد الحرب قلت له: إحنا انسحبنا ليه؟ وأنا متفق معك إننا حنمسك المضايق وحنمسك النطاق الثاني.. إحنا انسحبنا ليه؟ فقال لي والله أنا.. أنا.. تصوّرت أن اليهود خلاص حاصروكم وأنهم بيلفوا حواليكم وأن القوات المسلحة حتبقى في خبر كان.. ،أنتم قرايبنا وأنتم إخوتنا وإنتم أولادنا.. فقلنا ننسحب.

س : زي.. ٥٦..

مرتجى: لا.. الفرق كبير.. كم كانت القوات الموجودة في ٥٦؟ وكم كان عدد القوات الموجودة فى سنة ٦٧ ؟

س: ١٧ لواء ينسحبون في ٢٤ ساعة.

مرتجى: هذه اللواءات عند إرسالها جندت جميع وسائل المواصلات لخدمتهم ومع ذلك استغرقنا ٢١ يوما لتوصلهم.. أقوم أنا أسحبهم في ١٠ ساعات.. من يقبل هذا؟! هل هذه طريقة إنسحاب».

نأتي إلى أسلوب آخر من التحريف والتغيير باختلاق قصص تفيد الهدف والمعنى المطلوب تأكيده، واعتمد الفريق أ. مرتجى في هذا الأسلوب على مواهبه وقدراته العالية جدا في جمال وإمتاع الحديث، والذي يتمشى مع ثقافة الجمهورالمصري، وهو ما جعلها تتسيّد على الرأي العام، أستخدم "مرتجى" أسلوب الحوار في كثير من قصصه، وفي هذا الموقف صوّره في شكل عتاب رقيق، ويبدو وكأن مسألة " قرار الانسحاب" أو " التمسك بالمضايق"، مسألة عائلية أو شخصية طرحت خلال جلسة خاصة، في إطار حوار دار بين المشير عامر والفريق أ. "مرتجى"، حيث أخذ الأخير من الأول "كلمة" فيما يشبه الوعد في هذه المسألة، إلا أن المشير عامر نقض هذا الوعد ؛ حين غلبته العواطف عندما دار في تصوره عواقب هذا الأمر، بما يمكنه من ضياع الجيش المصري: " وانتم قرايبنا، ، ، وانتم اخواننا، ، ، وانتم اولادنا، ، ، وانتم حبايبنا...الخ"، والأسلوب رخيص جدًا، وفي منتهى الابتزال والاستخفاف بعقول الآخرين، أو في منتهى الاستهبال.

وقد استطاع - أيضًا - "مرتجى" بسحر حديثه أن يصوّر القرارات المصيرية، التي أصدرها المشير عامر وكأنها صدرت من "غرزة" في أحد حواري شارع سوق السلاح أمام حمام بشتك بحي الخليفة، لاحظ أيضًا في هذا الموقف كيف رسم رقة المشاعر والعواطف للمشير عامر وهو ما يناقض الديكتاتورية والتسلط، أما مضمون الحوار – في القصة المؤلفة – أنه اعتراف من المشير عامر بأنه أصدر قرار الانسحاب بالصيغة التي أدت إلى الكارثة، وهو أمر كان يحتاج منه إلى شهود إثبات حضروا هذا الحوار، وبذلك يكون الأمر كما تقول السيدة برلنتي عبد الحميد: " إن الذين يشوهون التاريخ يعتمدون على أن الموتى لا يتكلمون ".

- **ونتابع حديث مرتجى، وحوارات العتاب والاستخفاف:**

« س: فعلا نريد أن نتكلم عن الانسحاب، وطريقة الانسحاب التي حصلت؟.

مرتجى: الأسلوب غريب من أول الأمر.. مثل موضوع الهجوم من الجنوب، كيف أكون أنا رئيس أركان حرب وأقبل هذا الوضع؟! ... كذلك القائد العام.. كيف أكون قائدًا عامًا وأنزل لغاية الضرب بالمدافع

وأكلم مثلاً اللواء الديب وأقول له يابن فلان مش عارف المدفع الفلاني حطه علشان يضرب؟!... هل هذا أسلوب قيادة؟.. لما ترجع إنت إلى أوامر العمليات التي كانت تصدر حتى من أجهزة القيادة العامة، يعني من "هيئة العمليات" بتنزل إلى أوطى مستوى.. طيب ما هي مهمة القائد المحلي في موقعه؟.. إحنا العملية كلها نظام لامركزية.. وبعدين بيني وبينك القائد لازم يكون راجل خشن.. رجل يعني.. مش أي حاجة تهزه.. إنما لما أكون أنا نائب رئيس جمهورية ومسافر مهمة أطلع بطيارة خاصة وخمسة ستة ورايا واحد يحمل لي المنديل وواحد يمسك لي مش عارف إيه؟... القيادة ممارسة مستمرة في قيادتك حتى تستطيع أن تنمي قيادتك.. مع الأسف هذا هو منظر القيادة العليا التي كانت بتقود المعركة».

....

هنا سؤال مباشر للمرتجى عن الانسحاب، والأمر الطبيعي - كما أوضحنا سابقًا - هو التهرب من الإجابة، على مثل هذه الأسئلة "المحرجة"، وفعلا بدأ الإجابة في موضوع آخر، وهو: الهجوم من الجنوب، وفجأة انتقل إلى الهجوم على رئيس الأركان، ثم انتقل للمرة الثالثة إلى الهجوم وبشراسة على المشير عامر، وفي المرتان السابقتان لم يُكمل عباراته وكأنه يقوم بدور "يونس شلبي" في مسرحية "مدرسة المشاغبين". وحدد "مرتجى" نقطتين للهجوم على "عامر"، أولهما: نقده لأسلوب قيادته، والثانية: نقد وتجريح تصرفاته الشخصية، فإذا بدأنا بالقضية الثانية قبل الأولى فقد ذكر أن القائد العام ليس بخشن، وأنه يركب طائرة خاصة، وخمسة وراءه لحمل المنديل أو ستة، وأكيد هو واحد من هؤلاء الستة حملة المنديل، وفي النهاية القفلة الحراقة في العبارة الموسيقية ذات الإيقاع الرنان: " مع الأسف هذا هو منظر القيادة.. الخ". والكلام كله غير موضوعي، أما القضية الأولى، وهي نقد أسلوب عامر في القيادة، وقد صوّره أشبه بمشرف مراجيح في مولد سيدنا الحسين، بعد أن استغل جو الغموض في حقيقة القصة ليصنع عناصر للإثارة من خلال أسلوب كوميدي ساخر: " يابن فلان مش عارف المدفع الفلاني.. الخ" حتى أن هذه القصة لم يخلو كتاب عن حرب ٦٧ إلا وذكرها، لكن لماذا لم يكتب أحد من القادة قصة أخرى خلاف قصة "مدفع العريش" لتأكيد أسلوب المشير عامر وأدائه الضعيف؟! ... إذن تعالى نحلل القصة بموضوعية:

القصة جاءت من خلال استماع أحد الأفراد للمشير عامر، أثناء حديثه في مكالمة هاتفية، واستخلص فكرة موضوع الحديث من طرف واحد للحوار، لذلك فهي مجرد اجتهاد في استنتاج مضمون القصة، واحتمال الخطأ وارد، سواء بحسن نية أو بسوء نية، كذلك لم تعرض القصة من بدايتها، وإلا كيف علم المشير عبد الحكيم عامر بقصة المدفع؟!

ولماذا عرضت عليه هذه المشكلة ليتدخل فيها؟!

إذن البداية لم تذكر.. وذكر فقط جزء من الحوار من طرف واحد للمكالمة الهاتفية بهدف السخرية والاستهزاء ليس إلا، باستغلال الغموض في موقف مدفع العريش، محور القصة، و طالما أن نقد أي تصرف للقائد العام يستلزم شرح للموقف العسكري حتى يمكننا الحكم على تصرفه من خلال الموقف، وهل استلزم هذا التصرف؟ أم لا؟

فإن الموقف العسكري بالعريش هو موقف ميئوس منه، نتيجة تخصيص لواء شوربة للدفاع عن أخطر وأهم موقع في خط الدفاع الرئيسي عن مصر، وقد تكلمنا سابقا عن لواءات الشوربة، والتي هى إسم بلا مضمون، ذلك أن اللواء يتكوّن من أفراد مدنيين جاءوا مباشرة من الحياة المدنية وبدون أن يتلقوا أي قسط من التدريب، وهؤلاء المدنيين بإعتبارهم – مع الأسف – مقاتلين سلموا أسلحة ومدافع لا يعرفون استخدامها، ترى أكان هناك محاولة من اللواء "الديب" لنقل مدفع منهم وتسليمه إلى فرد من أهالي العريش لاستخدامه؟!.. وهو ما يوجب على القادة التنازل والتضحية بالبيروقراطية ومسئولية العهدة.. وأنا أرى أن الموقف لن يخرج عن شيء من هذا القبيل، وهو أمر طبيعي بل ومنطقي جدًا عند تخصيص لواء شوربة لاحتلال أهم وأخطر موقع في خط الدفاع المصري، لصد مدرعات إسرائيل، فيتحوّل الموقف كله إلى: " شوربة وملوخية وبامية" وأي " طبيخ"، مما حتم إدخال القائد العام لتعرض عليه القضايا التي لا يصح أن يتدخّل فيها، مع ملاحظة هامة أن اللواء "الديب" هو الذي عرض القضية على القائد العام وليس العكس، و بالتالي يمكننا تصحيح الحوار المحرّف ذلك أن: "يابن فلان" ليست للواء "الديب" ولكن لإبلاغها لمن رفض تسليمه المدفع.

- **ونتابع شهادة مرتجي:**

« س: وهيئات القيادة إنشلّت طبعًا؟!

مرتجي: القرارات كلها كانت بتصدر من "القائد العام"، نتيجة تقاعد أو تقاعس أو.. أو تصوّر من "رئيس الأركان" ومن الأجهزة التي معه، يعني لدرجة الانسحاب أنا فهمت من الفريق القاضي أنه لم يعلم بالانسحاب إلا من رئيس الأركان.

أنا سألت المشير: إحنا انسحبنا بهذه السرعة ليه؟

قال: والله أنا في الأول قلت لهم ننسحب على يومين.. وبعدين فكرت أن اليهود ممكن يسبقونا فقلت لهم اسرعوا هذا أسلوب قيادة؟.. وهل هذا منظر قيادة عليا؟

س: طيب كنا نحب رأي سيادتك عن قرار الانسحاب وخطة الانسحاب.. الخطوط العريضة مثلاً.

مرتجى: الحقيقة أنا قلت.. لا أعرف ما هي الأوامر بالضبط التي صدرت بالانسحاب.. وأوضحت أن فكرة الانسحاب على مستوى القيادة المتقدمة أو قيادة الجبهة لم تكن موجودة إطلاقًا.. وأننا طلبنا إعادة تنظيم الأوضاع الدفاعية وأجيب الطلب.. ثم فوجئنا بأن هناك انسحاب.. وهو انسحاب لم يكن له في نظري ما يُبرره.

وكما سبق أن ذكرت.. القوات صدر لها أمر انسحاب وأوامر صدرت بعضها من المشير مباشرة إلى قيادة الجيش وإلى بعض الفرق.. وبعض الوحدات.. حصل اتصال مباشر بينهم وبين بعض والناس كلها تنسحب بلا رابطة.. وبلا سيطرة.. وبلا تحديد خطوط انسحاب ولا مواقع تستند إليها.. وفي البداية كما فهمت أن الانسحاب كان المفروض أنه ينفذ على مدى يومين ثم.. عُدل إلى ٣ أيام، وحتى يُقال أن أحد الوثائق كانت موجودة في الفرقة السادسة التي يقودها اللواء.. عبد الخالق حسن.. تبيّن أن الانسحاب كان على ٣ أيام.. ثم صدر من المشير كما فهمت منه أمر أن الانسحاب يبقى في يوم واحد.. وهذا معناه في ليلة واحدة.»

حاول "مرتجى" في البداية إنكار ما يعرفه عن قضية "الانسحاب"... وهو الأمر الغير مقبول، بل والمرفوض... كيف يمكننا قبول جهل القائد العام للقوات المصرية بسيناء لحرب ٦٧ للأوامر التي صدرت بالانسحاب؟... ولما كان، ولابد له أن يتكلم،

فقد تكلم بإيجاز شديد، وفي عبارات غير واضحة أو قاطعة... وهو أمر لا يليق مع أهمية وخطورة هذه القضية.

ومع ذلك... فإن ما ذكره في تلك العبارات الموجزة القليلة، يؤيد ما استخلصناه في تلك القضية وهو: " إنكار اضطلاعهم بتنفيذ تخطيط مسبق لإحداث كارثة بالجيش المصري، وأن المسألة لا تتعدى تنظيم لأوضاع القوات المصرية على مسرح عمليات سيناء لإعادة اتزان الشبكة الدفاعية، وقد جاءت هذه الفكرة من القيادة الفعلية للجيش "بسيناء" وقد أجاب المشير عامر لطلب هذه القيادة – [في صيغة قرار أصدره بالانسحاب إلى خط المضايق "الممرات" خلال ثلاث ليال "] – ثم يتابع "مرتجى" حديثه: "فوجئنا بأن هناك انسحاب... أي أن هناك أمر آخر قد صدر... وهو بالطبع ما أصدره "ابن بدران" من خلال أفراد الشرطة العسكرية والمخابرات العامة وذلك بالانسحاب إلى القاهرة وغرب قناة السويس خلال يوم واحد، وهو ما ذكره أيضًا في موضع آخر، وذلك في حضور اللواء سعد عبد الكريم مدير الشرطة العسكرية إلى مركز قيادته "بسيناء" وأبلغه بالانسحاب فورًا إلى الإسماعيلية، وكان ذلك في ثاني أيام المعركة، في مساء يوم ١٩٦٧/٦/٦.

بمعنى:" صدور القرارين، أحدهما من المشير عامر بالانسحاب إلى الممرات خلال ثلاث أيام، والآخر تعليمات الطابور الخامس التي أصدرها "شمس بدران" بالانسحاب إلى غرب القنال خلال ليلة واحدة.

لاحظ التهرب من الإجابة فى البداية.. التوهان من ناحية أخرى.. يرمي بالسؤال المثيرأوالحوار المستحيل إثباته مع المشير عامر.. إحنا انسحبنا ليه؟.. بنفس أسلوب الخضوع والمسكنة.. قائد مرؤوس لا حول له ولا قوة.. من ضحايا هذا الجبار المستبد. إحنا انسحبنا بهذه السرعة ليه؟... إلا أن الكذب له أدلة وأهمها أن يُغيِّر الكاذب من مضمون القصة عند تكرار سردها في كل مرة.. لاحظ أن هذا السؤال كرره في أول حديثه.. إحنا انسحبنا ليه؟!!.. ولكن بإجابة ومضمون آخر!! ونكتفي بهذا القدر.

ج –: جنرالات الإعلام الليبرالي يتسلمون القيادة من جنرالات الجيش:

أما وأن، هدف "الليبراليون" من صناعتهم للقصة الكاذبة لحرب ٦٧، التوجيه السياسي للرأي العام المصري: " لإقناعه بإدانة النظام الاشتراكي الناصري، واعتباره مسئولاً عن الهزيمة "، فقد كان ولابد لهم من تجنب الإطالة في الكلام عن تلك الأحداث الكاذبة والملفقة للمعارك الحربية أو تحليلها أو نقدها ؛ حتى لا يصل المتلقي للحقيقة، ويكتشف كذب تلك القصة، وذلك أن القصص الكاذبة كلها

عورات ومتناقضات، ومن الصعب ضبطها في سياق سليم، خاصة إذا تخللها أحداث معروفة سواء محلية أو عالمية لا يمكن تزويرها... وهو ما فرض عليهم قصر دور "جنرالات" الهزيمة على سرد أهم الأحداث العسكرية للحرب بإيجاز شديد، كمقدمة أو مدخل فقط للقصة التي يتولى صناعتها جنرالات الإعلام والفكر الليبرالي، وحيث ينسحب تمامًا "جنرالات" الهزيمة من الميدان، ليحل مكانهم من هم أجدر وأكفأ في صناعة القصة، من أساطين وفحول الأدب والفكر الليبرالي... طالما أن صناعة القصة هي من أعمال الأدب، التي لها قواعدها وأسسها ورجالها الموهوبين.

لم تكن إذن، أحداث المعارك العسكرية لحرب ٦٧، بكل ما فيها من شهداء، ودماء ودمار وخراب وضياع لأرض "سيناء" ؛ هو ما يعني جنرالات الإعلام "الليبراليون" في قصتهم عن حرب ٦٧ ؛ إلا كمقدمة أو مدخل فقط للخروج بها من الإطار العسكري المليء بقصص الخزي العار لجنرالاتهم ورجالهم الليبراليون... إلى إطار آخر أوسع وأرحب يمكن فيه تطويع الأحداث لخدمة هدفهم السامي في تحطيم صورة النظام الناصري فى عيون المصريين.. ولم يجدوا هناك إطار أوسع ولا أرحب من الإطار الإنساني الاجتماعي والحياة الخاصة لقائد عام الجيش المشير عبد الحكيم عامر.

لقد تحولت قصة حرب ٦٧ مع جنرالات الإعلام، من مشاهد وأحداث للمعارك والقتال إلى مشاهد وروايات للسهرات والمغامرات النسائية... من كيف تم إعداد وتجهيز الجيش المصري للحرب والقتال... إلى كيف تم الإعداد والتجهيز للقاء الأول بين المشير عامر والفنانة " برلنتي عبد الحميد "... من كيف رفض "الجنرالات" تنفيذ قرار المشير بالانسحاب إلى خط الدفاع الثاني "خط الممرات" إلى كيف كانت تدار السهرات الحمراء لشلة الأنس والفرفشة... من كيف تم إيقاع الجيش المصري في كمين لتدميره وسحقه... إلى كيف كانت صور الفساد بأنواعه المختلفة... الفساد المالي لضباط مكتب المشير... مراكز القوى "للجنرالات" وكيف كانت سلطاتهم على أجهزة الدولة...

لقد كان الإطار الإنساني الاجتماعي مليء بالأحداث الدرامية المثيرة أكثر من أحداث الحرب ومعاركها العسكرية.

وطالما أن " القائد " دائمًا في خيال أصحاب الثقافة العربية والتراث الشعبي، هو محور المعركة والذي يملك كل عناصر وأسباب النصر أو الهزيمة... ألم ينجح خالد بن الوليد القائد العربي في إحراز انتصاراته التاريخية بفضل كفاءته وقدراته

الحربية الفائقة، حتى أطلق عليه من لا ينطق عن الهوى: " سيف الله المسلول" – دون غيره من القادة – عن استحقاق وجدارة؟!... إذن، فالعكس صحيح، فحين يكون هناك " قائداً" غاية في القبح والفساد، ولا يملك أي كفاءة أو قدرات حربية، فهل يمكن أن نتوقع منه سوى الهزائم والانتكاسات؟!

وهكذا، وضع الليبراليون " أسباب للهزيمة " تبدوا كأسباب منطقية سليمة، طالما تقبلها واقتنع بها جميع أفراد الشعب المصري بكل فئاته، المثقفين غير المثقفين.

ثم قام "الليبراليون" باحتراف وبراعة، بربط ذلك القائد الذي حمّلوه كل تبعات وأوزار الهزيمة "المشير عامر - بالزعيم جمال عبد الناصر، بالادعاء كذباً بأنه المسئول عن تعيينه قائداً للجيش، وأنه بالتالي مسئول عن كل تصرفاته وتصرفات "جنرالات" الجيش، من انحرافات وفساد؛ ليكون مسئولاً كأمر منطقي عن تلك الهزيمة.

ولم يكن تحميل "الليبراليون" المشير عبد الحكيم عامر مسئولية الهزيمة ؛ إلا الوسيلة للوصول إلى الزعيم "جمال عبد الناصر"، لتحقيق هدفهم الرئيسي من حرب ٦٧، وهو "التوجه السياسي للشعب المصري بمسئولية الزعيم " ونظامه الاشتراكي الناصري عن الهزيمة "... وحيث نزل كل أساطين وفحول للتيار "الليبرالي" من مفكرين وأدباء وكتاب ومثقفين إلى ساحة ميدان المعركة الفكرية الإيديولوجية، بكل ثقلهم، وبكل ما أوتوا من شراسة، مستخدمين كافة إمكاناتهم من أدوات ووسائل وآليات الحرب النفسية لتجريح وتحطيم صورة الزعيم جمال عبد الناصر ونظامه الاشتراكي الناصري في عيون وصدور الشعب المصري، من خلال اختلاق قصص وروايات كاذبة، غاية في الإتقان والبراعة تؤكد فشل النظام الناصري بكل عناصره: "السياسية والاقتصادية والاجتماعية"،حيث هاجموا بشراسة: "قوانين العدالة الاجتماعية، ومكاسب العمال، والإصلاح الزراعي، وخطط التنمية الاقتصادية، القطاع العام، تأميم قناة السويس، وإذابة الفوارق الطبقية، الثورة الصناعية، وبناء السد العالي، القومية العربية والدعوة لوحدة الشعوب العربية...الخ".

ومع استمرار الهجوم الليبرالي بشراسة على الخطوط الاستراتيجية الرئيسية للنظام الاشتراكي الناصري والزعيم جمال عبد الناصر، باعتباره المسئول عن الهزيمة، نجحوا في إقناع الرأي العام المصري، بأن النظام الناصري هو سبب الهزيمة العسكرية في ٦٧ حتى أزاحوا تماماً الأسباب العسكرية، ليحفظ ملف حرب ٦٧ في أدراج التاريخ.

الفصل الثالث عشر

مرحلة تحقيق الغاية السياسية
من الحرب
محاولة قلب نظام الحكم

« الأخلاق ليست فقط نظامًا للتعامل بين الناس .. ولكنها هي التي تنظم المجتمع وتحميه من الفوضى والفناء »

نجيب محفوظ

١- جنرالات "الليبرالية" في طريقهم لتحقيق الغاية السياسية:

أما وقد، انتصر "جنرالات" الجيش المؤمنين بالفكر الليبرالي، على أنصار النظام الاشتراكي الناصري، انتصارًا ساحقًا أسطوريًا في حرب ٦٧...

أما وقد، حققوا مهمتهم العسكرية، المكلفين بها بكفاءة عالية، سواء بتدمير وسحق الجيش المصري، أو إسقاط "سيناء" في يد العدو الصهيوني "...

أما وقد، صنعوا الكارثة القومية والصدمة النفسية الشديدة لجميع المصريين والعرب، طبقًا للمخطط الذي وضعوه، وأعدوا له ما استطاعوا من مقومات وعوامل النجاح... فإنه، قد أصبح الشعب المصري داخل دوامة الاختلال وعدم الاتزان العقلي والنفسي - التي هي نتيجة للصدمة النفسية الشديدة التي أحدثتها تلك الكارثة القومية - مهيأ تمامًا لإجباره وإرغامه على التخلي عن ولائه وعشقه الجارف للنظام الاشتراكي الناصري، وعن ذلك الزعيم جمال عبد الناصر الذي طالما افتتن به دومًا، والدخول فى حظيرة المعسكر الغربى الأمريكى.... وأن يقبل مكرهًا ومرغمًا عودة "النظام الليبرالي" مرة أخرى.... إنها الهزيمة... فرض إرادة الغالب على المغلوب بالقهر والقوة.... ليزعن المغلوب لإرادة الغالب في كل ما يريده .... سنن الحرب والحياة...

بدت هزيمة ٦٧ - كأمر طبيعي - وكأنها انتصار للعدو الإسرائيلي على مصر... طالما أن الحرب نفسها بدت وكأنها حرب حقيقية نشبت بين جيشنا المصري وجيش الأعداء.... وأن النصر بالتالي كان لصالح جيش الأعداء!!.

ولم يكن يخطر في بال أي مصري، أن العدو الحقيقي الذي قاد الحرب إلى هذا النصر الأسطوري.... هو نفسه الذي قاد الجيش المصري إلى تلك الهزيمة الساحقة المهينة... طالما تخفى ذلك العدو في زي "جنرالات" مصريين مخلصين وأوفياء لمصر الوطن وللمصريين...

خيم الليل البهيم سماء القاهرة.... وأسدل الظلام ستائره.... وساد السكون صفحة النيل الغاضب.... وظل الناي يعزف لحنه الحزين، حين تقدم "جنرالات" الجيش يضمرون في قلوبهم السوداء كل الحقد والكراهية لمصر والمصريين... يريدون أن ينفذوا إرادتهم... إرادة الغالب على المغلوب بالقهر والقوة....

٢ - حكومة ابن بدران قادمة على دبابات إسرائيلية:

كشف توقيت عملية قلب نظام الحكم ؛ لتكون مباشرة بعد تمكين الجيش الإسرائيلي من تدمير الجيش المصري واستيلائه على "سيناء"، الصورة الصارخة الفاضحة... أنها الخطوة السياسية التي تدخل في سياق أحداث الحرب نفسها، تلك الخطوة التي تلي تحقيق النصر مباشرة، إنها المهمة الأخيرة "للجنرالات": " تحقيق الغاية السياسية من حرب ٦٧ " .

تُرى.. بأي منطق يقبل الشعب المصري حكم هؤلاء "الجنرالات" الذين خذلوه وتخلّوا عن الدفاع عن أرضه، وفروا من ميدان المعركة من اليوم الثاني للحرب؟... إلا أن تكون حكومة مفروضة بالقوة والقهر من الجيوش المنتصرة على الأمة المصرية المهزومة... حين يتحتم على الشعب المهزوم أن يخضع لإرادة المنتصر... و تنفيذ رغباته مرغمًا و مقهورًا.

صورة طبق الأصل من حكومة "حامد قرضاي" التي فرضتها الولايات المتحدة على الشعب الأفغاني بعد غزوها لأراضيها، أو حكومة " إبراهيم الجعفري" التي فرضتها أيضا على الشعب العراقي بعد اجتياحها للعراق... نعم لقد حددت خطة "ابن بدران" لقلب نظام الحكم بدقة ملامح صورة حكومة قادمة على دبابات إسرائيلية لتفرض استراتيجية القوة المنتصرة.

٣ - ماذا ينتظر جنرالات الحرب الفارين من ميدان القتال؟

من ثاني أيام المعركة، ركب "جنرالات" الحرب عرباتهم الجيب وانطلقوا فارين من ميدان القتال، يسابقون الريح ؛ ليعبروا قناة السويس إلى الإسماعيلية، بعد أن أمروا قواتهم بإخلاء مواقعهم العسكرية ؛ ليُمكنوا لجيش الأعداء الإسرائيلي من اجتياح الأراضي المصرية ولتدمير وسحق الجيش المصري واستيلائه على "سيناء"... باعوا شرفهم... باعوا رجولتهم..وباعوا كل المبادىء وقيم المثل العليا الإنسانية... فضاع الجيش... وضاعت زهرة شباب و رجال مصر... وضاعت "سيناء".

وظهرت الصورة المخزية بوجود " شلة المشير" في فلل معسكر الجلاء الفاخرة بالإسماعيلية، من اليوم الثاني للمعركة يستمتعون بكل وسائل المعيشة المرفهة، ويتابعون أخبار الجيش المصري الذي تحصده مدرعات الصهاينة أرضًا وطائراته سماءً، ثم ما كان من رفضهم الاشتراك في تنظيم أي مقاومة ضد العدو الصهيوني، لتقليل حجم الكارثة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح أبنائنا المقاتلين الشرفاء، الذين تزهق أرواحهم في مذابح جماعية وحشية، بعد أن قلبوا صورة الحرب من صراع بين قوتين إلى قتال من طرف واحد، لقد دبّروا وأحكموا التدبير لتدمير الجيش المصري، في أبشع صورة لم تحدث له في تاريخه العسكري الطويل.. أطول تاريخ عسكري في تاريخ البشرية.

ولكن أليس عجيبًا وغريبًا... فرار "جنرالات الحرب "الليبراليون" من ميدان القتال في اليوم الثاني للحرب، دون أن يخشوا عقاب السلطة الحاكمة للدولة؟!....

أليس عجيبًا وغريبًا... أن يجلس "جنرالات" الحرب "الليبراليون" في فلل معسكر الجلاء الفاخرة، ينتظرون نهاية المعركة في ظل كارثة مروعة بشعة...

ألم يعملوا حساب لهذا اليوم الأسود الذي لن تطلع عليه شمس، حين يواجهون جماهير الشعب المصري التي كانت تنتظرهم بأكاليل ورايات النصر، فإذا بهم يفاجئوها بعار وخزي الهزيمة؟!.

كيف يعيش هؤلاء "الجنرالات" بهذا الخزي والعار في مجتمع يؤمن عن عقيدة راسخة، بأن الموت شرف وغاية للرجال في ساحة القتال، لا يقبل عليه إختيار آخر؟!.

كيف يواجهوا أنفسهم؟!.. تأنيب الضمير... ألم السقوط... العار الذي سيلحق بهم وبعائلاتهم... الإحساس بالمهانة... نظرات الآخرين لهم بالاحتقار والازدراء.

على أن إحساسنا بالغرابة والعجب في تلك الصورة، لم يأت إلا حين نزعناها من سياق أحداث قصة الحرب البشعة.. لعرضها على مقاييس قيم المثل العليا العربية الأصيلة، وليس على مقاييس قيم المثل العليا "الليبرالية" التي يؤمن بها "جنرالات" الحرب "الليبراليون"، والتي تؤكد أن " الغاية تبرر الوسيلة "، وتبيح استخدام كافة السبل والوسائل الغير أخلاقية لتحقيق الأهداف "الليبرالية" السامية.

إذن.. لم يكن الأمر كذلك... وكانت الصورة التي تصورناها في خيالنا مختلفة تمامًا عن صورتها الحقيقية، والتي تحكي بعودة "جنرالات الليبرالية" منتصرين، كلهم فخر وإعتزاز، لقد حققوا أعظم انتصار فى تاريخ "الليبرالية"...

بتدمير الجيش الاشتراكي الناصري وإسقاط "سيناء" في يد أعداء عبد الناصر.. ونجحوا في تحقيق الهدف النهائي من الحرب وهو: " إحداث كارثة قومية"، تصيب المصريين بصدمة نفسية شديدة، تفقدهم الثقة في صلاحية النظام الاشتراكي الناصري وزعامة جمال عبد الناصر، تفيق الشعب المصري من نشوة انتصارات عبد الناصر.. حين يهدي هذا الانتصار الرائع لإسرائيل.. لتبدو حرب ٦٧ وكأنها نشبت بين مصر وإسرائيل!!... وتبدو إسرائيل وكأنها انتصرت على أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط، ودمرت الجيش المصري العظيم... واستولت على "سيناء"!!.

وطالما نجحت إسرائيل في استثمار هذا الأمر لتصنع أكذوبتها التاريخية بأنها: " صاحبة النصر الأسطوري على مصر " وأن جيشها لا يقهر!!.

لقد كتب "الجنرالات الليبراليون" أسماءهم بحروف من ذهب في سجل عظماء "الليبرالية" في العالم أجمع... حين نشروا الفرحة في قلوب جميع "الليبراليين" في كل أنحاء العالم "الليبرالي"... لتقام الاحتفالات في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، والولايات المتحدة.... الخ. إنه يوم انتصار "الليبرالية" على "الاشتراكية" وتحطيم أسطورة الزعيم جمال عبد الناصر ؛ ذلك الزعيم الثائر المتمرد الذي تحدى بكبريائه وشموخه أسطورة استبداد وطغيان "الليبرالية".... ليرفع شعار الحرية والكرامة حق لكل شعوب العالم المستضعفة، ويقوم بإشعال أكبر حركة تحرير في تاريخ العالم الحديث في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية... حتى أصبح اسم الزعيم جمال عبد الناصر رمزًا للحرية والتحدي والصمود أمام الطغيان والظلم وحرية "الليبرالية" المطلقة في استعمار واستعباد الشعوب المتخلفة.

حتى جاء ذلك الزمان... الذي انقلبت فيه الموازين و القيم، وتداخلت الحقائق، واختلطت الأوراق ليتحول النظام الاشتراكي الناصري بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر إلى ساحة اتهام "الليبراليون" بالادعاء بأنه فشل في حماية الأمن القومي المصري. وجلب خزي وعار الهزيمة على الأمة المصرية، حتى اكتشفنا أن تلك "الكارثة القومية" لم تكن إلا الهدف العسكري الذي كلف بتحقيقه "الجنرالات الليبراليون" في حرب ٦٧، ليصنعوا منه وسيلة وأداة فاعلة لتغيير نظام الحكم ؛ لإعادة النظام "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى... طالما نجحوا في إلصاق تلك الهزيمة المهينة بالنظام الناصري وبالزعيم جمال عبد الناصر.

الأهم والأخطر أن الكارثة القومية في ٦٧، تعدت أن تكون عنصر فاعل وأداة لتغيير نظام الحكم... لتصبح أيضًا العنصر الفاعل والأداة لتغيير ثقافة الشعب المصري وهويته العربية.

بينما كانت "شلة المشير" مستمرة في تنفيذ مخططها الفاسد لتحقيق غايتها السياسية لإعادة النظام المصري إلى سابق عهده كنظام "ليبرالي" فاسد.. وبهذه الفلسفة المادية البراجماتية اللاأخلاقية... وبهذه العقيدة "الليبرالية" المنحطة وبهذا الفكر الليبرالي الفاسد واصل "الجنرالات الليبراليون" تقدمهم لتحقيق مهمتهم الأخيرة في الخطة، وهي: "الاستيلاء على حكم مصر"، لتحقيق الغاية السياسية في إعادة النظام الليبرالي مرة أخرى، وإعادة مصر داخل حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي، الأمر الذي يتمشى مع سياق الأحداث.

٤ـ "الحرب النفسية" عنصر رئيسي من عناصر الحرب العسكرية التقليدية:

الهزيمة العسكرية في أحد المعارك ليست نهاية المطاف – مادام الشعب يملك مقومات الروح القتالية، فقد تعدو مجرد خسارة معركة تعطيه الدافع ليعيد الكرة، ليأخذ بثأره ويستعيد أرضه المغصوبة، أما الهزيمة على إطلاقها فتعني فى مفهومها الكلاسيكي إنهاء الصراع بين قوتين متصارعتين، لتفرض القوة المنتصرة إرادتها على القوة المنهزمة، والفرق بينهما أن الأولى لم يفقد فيها الشعب روحه القتالية، وبالتالي لا يأبه للهزيمة ويعتبرها مجرد فقد لمعركة، لتظل روحه القتالية تدفعه إلى استمرار القتال، أما الثانية فقد تحطمت فيها روحه القتالية وأصبح في حالة إحباط، وبالتالي اقتنع بعدم جدوى الحرب أو المقاومة، وأنه لا مفر من الاستسلام لإرادة العدو. ومنها ظهرت فكرة الحرب النفسية والدعاية الصفراء التي يمكن أن تؤدي نفس نتيجة الحرب العسكرية، ويدور فيها الصراع ؛ ولكن بوسائل وطرق مختلفة.

ماذا لو أقنعت خصمك بأنه مهزوم لا محال، وأنه لا جدوى من دخوله في صراع معك؟

ومن هذه الزاوية كان التخطيط لتصبح هزيمة ٦٧ هي نهاية الصراع المصري الإسرائيلي، وأنه لا جدوى من استمرار هذا الصراع لتدخل الحرب النفسية والدعاية الصفراء ساحة المعركة بوسائلها وطرقها المختلفة.

٥- عودة حرب ٦٧ من جديد... لإسقاط النظام الاشتراكي الناصري:

اندلعت حرب ٦٧ من جديد... وعادت مصر مرة أخرى تتجرع أهوال وويلات الحرب، لينهزم جيشها هزيمة ساحقة مهينة... لم تحدث له في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧... الهزيمة بمعناها الكلاسيكي، حين يشعر المهزوم بعدم جدوى المقاومة، للاستسلام لإرادة العدو، عن اقتناع بعدم قدرته على مواصلة الحرب والمقاومة... وإشعار المصريين بأن هزيمة ٦٧ كانت هزيمة عن حق واستحقاق... وأن العدو الإسرائيلي كان جديرًا بهذا النصر الأسطوري... وأن الجيش المصري لم يكن كفؤًا ولا ندًا له ".

تحددت حرب ٦٧ الدعائية في صورة أشد ضراوة وقسوة من تلك الحرب التي اندلعت في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ – ولالغرابة، بعد انتصار حرب ٧٣ مباشرة... فإذا كانت مصر قد عبرت هزيمة ٦٧، وحققت نصرها واستعادت ثقتها في نفسها وفي أبنائها المقاتلين خير أجناد الأرض، وفي جيشها الباسل، فكيف إذن، يمكن بعد ذلك إعادة كسرها، وإعادة إشعارها بالإحباط وكل أحاسيس الذل والعار لهزيمة لم تحدث، وأمر قد قضي وأصبح في ذمة التاريخ؟

وكان "جنرالات" الحرب هذه المرة، من رجال الفكر والأدب والإعلام "الليبراليين"... كلهم إصرار وعزيمة على تحقيق هدفهم وغايتهم السياسية، التي لم ينجحوا في تحقيقها في سابقتها ٥ يونيو "حزيران"... وأن إرادتهم سوف تفرض هذه المرة بالقهر والقوة، لإسقاط ذلك النظام الاشتراكي الناصري، وإعادة النظام "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى... إنها إرادة المنتصر حين يفرض إرادته بالقهر والقوة على المهزوم... سنة الحرب والحياة.

استمرت الحملة الإعلامية الضارية لتحقيق الهدف والغاية السياسية من هزيمة ٦٧ لسنوات طوال... حتى هوى في النهاية صرح النظام "الاشتراكي الناصري"، ليفرض بدلاً منه نظامهم "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى بالقهر والقوة....

- **كتب أ. هيكل** [*]:

> « هناك سبب وهدف تثبيت حالة الهزيمة، وتعميق الشعور بها إلى النخاع، وإذا تم النجاح منه، فإن الأمة المهزومة، في أعماقها راضية، قابلة بأي حل تجود به سماحة الغالبين.
>
> وإذا تم ذلك، فإن أصدقاء هؤلاء الغالبين وحلفاؤهم من الداخل العربي، تحلو لهم الأرض وما عليها ـ وهو ما حدث فعلا ـ فما كادت جيوش الحرب تتوقف

حتى بدأت جيوش النهب تزحف. ويتفاعل هذا كله مع بعضه، ومع الظروف، فإن الأمة بعده أسيرة لحالة من الإحباط واليأس، مغلوبة على أمرها، ولعله المطلوب».

انطلقت الحملة المسعورة تُشهّر بكفاءة الجيش، وأن هزيمة ٦٧ كانت عن استحقاق، واستمرت الحملة المسعورة لسنوات طويلة، منذ تحقيق نصر ٧٣ لما بعد اتفاقية السلام في ٧٨، واستمرت لما بعد وفاة "السادات"، وظهر ربط أسباب الهزيمة بنظام الحكم الناصري، وأن الهزيمة كانت الإفراز الطبيعي لهذا النظام الفاشل، بما يتضمنه من خطوط استراتيجية (الاشتراكية- القومية العربية- القضية الفلسطينية)، وبالتالي انتقل الهجوم إلى نقد الثلاث خطوط استراتيجية للنظام الناصري، التي يدّعون كذبًا بأنها تسببت في الهزيمة – لإعادة النظر في صلاحيتها واختيار الخطوط البديلة، حتى تم تغيير هذه الخطوط الثلاثة لننتقل من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"، ومن "القومية العربية" إلى "القومية المصرية"، ومن "القضية الفلسطينية" إلى "اتفاقية السلام"، الأمر الذي كشف عن سرائرهم ونواياهم بصورة واضحة لا لبس فيها، وأثبت بالحجة و البرهان الساطع عن دوافع وأهداف "الليبراليين" من حرب٦٧.

وقد يبرر بعض "الليبراليين" بأن المسألة مجرد استغلال لهزيمة ٦٧ في تغيير قناعة وفكر المصريين تجاه الخطوط الاستراتيجية الناصرية الثلاثة هو عملٌ وطنيٌ، وفقًا للمبدأ "الليبرالي" المقدس: "الغاية تبرر الوسيلة"، وذلك لتوحيد رأي المصريين خلف الرئيس "السادات" لتأييده في التغييرات التي قام بها، وهو ما تم فعلا حيث نجحت - هذه الحملة في إقناع حتى كبار المثقفين الوطنيين.. إلا أنه من جهة أخرى فإن التأثير السلبي الذي يُحدثه هذا الأمر – وهو تثبيت حالة الهزيمة وتأكيد أكذوبة قوة إسرائيل في نفوس المصريين – في الروح القتالية، وفي الانتماء الوطني، وفي الاعتزاز والفخر بالوطن، يجعله أمرًا مرفوضًا بصورة مطلقة، مثلما تفعل جميع دول العالم الحر.

- **يقول الأستاذ نجيب محفوظ [٩]:**

« كانت تلك مرحلة أصبنا فيها على المستوى السياسية بيأس شديد، وبخيبة أمل لم تكن متوقعة بأي حال من الأحوال، فقد كنا معتمدين على قوتنا، وعلى قوميتنا وعلى مذهب اشتراكي جعلنا على صداقة وثيقة بثاني أكبر أمم العالم، وكان ذلك يُشكل منظومة معرفية اهتزت بشدة بعد هزيمة ١٩٦٧، وظهر أن تلك الاقتناعات التي عشنا عليها سنوات لم تنفعنا حين وضعت في الاختبار،

وهكذا تغيّرت معرفتنا بهذه الاقتناعات الثلاث، حيث اتضح أن القوة التي كنا نتصوّر وجودها باعتبارنا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط هي غير موجودة، وإيماننا بالقومية العربية لم تنجدنا في محنتنا. أما علاقتنا بالاتحاد السوفيتي فقد اكتشفنا أنه هو أيضا يهاب مثلنا.

لقد كانت تلك المرحلة مرحلة مراجعة لمعارفنا الأساسية، في ظل الحقائق التي تبدت أمامنا واضحة وضوحا مخيفا، وقد بدأ يحل عندي بعد ذلك محل القومية بمفهومها الرومانسي، التابع للقرن التاسع عشر مفهومُ آخر حديث، أكثر عملية وبراجماتية، يعتمد على تحقيق المصالح المشتركة بين الأقطار العربية، متخذة من رباط اللغة المشتركة والثقافة والدين وسيلة فعالة لتحقيق ذلك.

والقوة التي تهاوت أوهامها أمامنا جعلتني أؤمن أكثر بالسلام كوسيلة أكيدة لتحقيق التقدم والرخاء، أما "الاشتراكية" فقد أصبحت أؤمن منذ ذلك الوقت، وقبل أن يسقط الاتحاد السوفيتي بأن أي طريق يؤدي إلى العدالة الاجتماعية هو طريق مقبول، حتى وإن جاء من الرأسماليين، ففي الكثير من الدول الرأسمالية يوجد من الخدمات العامة ما عجزت عن تقديمه بعض النظم "الاشتراكية».

٦ ـ خطة القيادة العليا في الحرب النفسية:

كشفت الأحداث عن مخطط متكامل لإيقاع الهزيمة النفسية بالشعب المصري، بهدف دفعه لقبول اتفاقية استسلام للعدو الصهيوني، وذلك بإحداث حالة إحباط شديدة، يفقد فيها الثقة في قدرة الجيش على تحقيق النصر، وبالتالي اقتناعه بعدم جدوى استمرار الحرب مع إسرائيل، وظهرت أحداث هذا المخطط في صورة لا تقل عن أحداث المعارك الحربية تراجيديا.. حيث تستطيع طرق ووسائل الحرب النفسية تحقيق ما لم تستطع مدرعات وطائرات العدو وأسلحته المختلفة تحقيقه.

بدايةً... من أين نستلهم أفكار وخطط الحرب النفسية؟...

تستلهم هذه الخطط من الحياة العامة، ومنها ما قد تبلور بعد الدراسة والتمحيص إلى علم له أسس ومبادئ.

تعالى إلى الحياة العامة.. لنرى أبًا يأمل في أبنه المستقبل الباهر في التعليم وأن يصبح طبيبًا ناجحًا، ويبذل الأب كل ما في وسعه وكل ما يدخر من مال وجهد لتحقيق هذا الأمل، فأرسل ابنه إلى أحسن المدارس واستدعى إلى منزله أحسن

المدرسين الخصوصيين لمتابعة دراسة الابن. وقام الابن البار بوالده بكل ما يستطيع لتحصيل الدروس والمذاكرة.. ورأى الأب من ابنه الاهتمام والمجهود الجبار من سهر الليالي والانكباب على المذاكرة، حتى إذا كان الامتحان، وظهرت النتيجة كانت مفاجأة للأب، فقد رسب الابن رسوبًا رهيبًا بحصوله على نسبة صفر٪.

تُرى كيف تكون حالة الأب النفسية تجاه أمله المنشود، وفي استمرار الابن في صراعه مع التعليم؟

تلك الفكرة، كانت هي نفسها أساس الفكرة الفلسفية لخطة "الحرب النفسية"، التي وضعتها القيادة العليا- "شلة المشير" - لإيقاع الهزيمة النفسية بالشعب المصري، بهدف إحداث حالة إحباط، لإقناعه بعدم جدوى استمرار الصراع المسلح مع إسرائيل... طالما أن الجيش بالنسبة للشعب هو بالضبط في منزلة الإبن لهذا الأب، ذلك أن الجيش الوطني يمثل لأي شعب رمزًا من رموز الوطن، تتجسّد فيه كل معاني الفخر والكبرياء، إنه رمز العزة...والإرادة.. والحرية.

فإذا استطعنا إظهار أن الأمة المصرية قدمت كل ما تستطيع من جهد ومال في سبيل رفع كفاءة الجيش، ثم غرسنا في نفوس الجمهور المصري، كيف كان هذا الحجم المهول من تدريب ومجهود وأموال بذلت على هذا الجيش الذي أصبح قوة يُعتد بها، ثم إذا ما كانت الحرب وظهرت الهزيمة كمفاجأة لا يمكن توقعها، هزيمة ساحقة ماحقة مهينة... هنا لا تصبح الهزيمة مجرد خسارة معركة، ولكنها تصنع حالة إحباط وفقدان الثقة والأمل في هذا الجيش الذي أخذ كل فرصته ولم تدخر معه الأمة وسعها من مال وجهد، وإذا به يفشل هذا الفشل الذريع، الذي ليس له أي مبرر أو سبب.

ويفقد الأمة المصرية ثقتها وأملها في جيشها، الذي هو العنصر الأساسي في الصراع المسلح، تفقد بالتالي الأمل في النصر، وتقبل الهزيمة كأمر واقع لا مفر ولا محيص عنه، بل وتحاول أن تخرج نفسها من قضية الصراع مع إسرائيل، باعتبار أن الحكمة منتهى الحكمة في التخلص من الاستمرار فى صراع ليس لنا طاقة ولا قدرة عليه.

ويظهر هدف آخر يأتي كنتيجة لانعكاس حالة الإحباط على نظام الحكم، الذي تسببت سياساته في هذه الهزيمة، وهو فقدان الثقة في النظام برمته وبكل مشتملاته بعد أن فشل في تأمين البلاد والمحافظة على حدودها، حتى تجرأ عليها أبناء القردة والخنازير، يدنسون أرضها ويفرضون إرادتهم عليها.

ونلخص الفكرة في أنها تتمحور في: أن الحدث المفاجئ الغير متوقع يصنعه الموقف نفسه من واقع أحداث الحرب عند رسم صورتين شديدتي التباين والتناقض للجيش المصري: الأولى الغاية في القوة والجبروت، مع جذب انتباه الجمهور المصري بأحداث مثيرة عند اندلاع الحرب، بصناعة معارك وهمية وانتصارات وبطولات غاية في الإبهار؛ لإلهاب حماس الجماهير وإشعال الروح القومية ؛ حتى يأتي خبر الهزيمة المفاجئ كالصاعقة، نفس فكرة: " الابن المجتهد طوال العام، ثم الرسوب المهين الغير متوقع في الامتحان ". وبذلك تحددت العناصر الأساسية للخطة في تحديد ملامح الصورتين للجيش المصري الأولى قبل الحرب: "القوة والجبروت"، والثانية بعد الحرب: "الهزيمة الشنعاء".

أ - صورة الجيش المصري قبل الحرب " القوة والجبروت ":

حددت ملامحها الحملة الإعلامية، التي أشرف عليها "ابن بدران" في جميع وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحف ومجلات ونشرات وأحاديث مع "الجنرالات" عن الاستعدادات العسكرية الجبارة للقوات المصرية في "سيناء"، وقد تصدرت أحاديث الفريق أ. مرتجي النارية والملتهبة بالحماس والوطنية، باعتباره قائد قوات الجبهة أمام إسرائيل وقائد القوات البرية.

- **كتب الفريق "الحديدي" عن أحاديث الفريق أ. مرتجى [١] :**

« .. ونشرت هذه البيانات على صفحات الجرائد، وأذيعت على العالم من محطات الإذاعة المصرية، كما نشرت المجلات كثيرًا من المؤتمرات الصحفية والأحاديث الخاصة تأكيدًا لمسئولية القيادة الجديدة عن جبهة قتال إسرائيل».

لم يقتصر الأمر على وسائل الإعلام، ولكن تم التخطيط أيضا لعرض القوات المصرية في شوارع القاهرة، ليراها الشعب المصري وهي في طريقها إلى "سيناء"، شباب كلهم فتوة وحماس للمعركة، مع عرض كل أنواع الأسلحة من دبابات ومدفعية بأعيرتها المختلفة، كذلك باقي أنواع الأسلحة والعتاد الأخرى.

- **كتب الفريق الحديدي [٢]:**

« لابد لي أن أنوّه بأنه كان من الغريب حقًا أن تسلك هذه التحركات الضخمة في بدايتها من المنطقة المركزية شوارع رئيسية في العاصمة – "القاهرة" – مارة بأكثر الميادين ازدحامًا بالمرور المدني العادي، رغم وجود طريقين رئيسيين خارج

> المدينة الكبيرة، يمر أحدهما بالغرب من جبل المقطم (طريق صلاح سالم) والآخر موازيًا للنيل "طريق الكورنيش". بل قد لا أكون مبالغًا إن قلت إن فكرة إنشاء الطريقين نشأت أساسًا لتسهيل التحركات العسكرية، وقد كان لي فرصة مناقشة أسباب اختيار قلب العاصمة لتمر فيها عشرات الآلاف من العربات والدبابات والمدافع وتحت شرفات أكبر السفارات الأجنبية في القاهرة، الصديق منها وغير الصديق، فأفهمت يومها أن هذا القرار لم يأت عفوًا بل له أهداف قد يُحققها هذا الاختيار الذي يعرض أمام الملأ عضلات القوات المسلحة».

حشر المارشال "الحديدي" "السفارات الأجنبية" في سياق الموضوع، وذلك لتغيير مسار القضية العسكرية إلى مسار سياسي، لتضليلنا عن المضمون والهدف الحقيقي... طالما أنه دفع بفكرنا إلى السياسة الخارجية والسفارات الأجنبية... رغم عدم وجود أي سفارات على الشوارع والميادين المزدحمة، التي تكلم عنها في مسار تحرك القوات المصرية بصورة مطلقة، الأمر الذي يفرض أن الاستعراض لم يستهدف سوى جمهور الشعب المصري بمفرده.

... وطالما أنك اعترفت... عزيزي المارشال الهمام – بأنه أتيحت لك فرصة مناقشة هذا الأمر، فلماذا لم تكشف لنا عما هية هذه المناقشة؟... وكيف دارت؟.... ومن كان معك في هذا المؤتمر؟.... ولماذا تبني كل الأعمال المخربة والفاسدة للمجهول وإخفاء شخصيات أصحابها؟!.

وكيف تعد كل أعمال الفساد من أسرار الدولة العليا، التي لم يأت الأوان بعد لإعلانها؟... أم أنك تهدف إلى استدرارعطفنا وشفقتنا على ضعفك، وأن نرثو لحالك وحال جميع المناقشات التي دارت بين مارشالات الجيش أمثالك، فإذا كان هذا القرار لم يأت عفوًا – كما تقول – وأن هناك أهداف وراء هذا الاختيار، إذن هل هي أهداف سرية لا يجوز لك عزيزي المارشال الهمام معرفتها ومناقشتها؟... وما هي حدودك في مناقشة موضوع لا يزيد عن مجرد اختيار طريق مسار تحرك القوات إلى "سيناء"؟!

ثم دخلت الحملة الإعلامية في تصاعدها بالبلاغات العسكرية مع بدء الحرب عن معارك جوية وهمية شرسة بين طائراتنا وطائرات العدو الإسرائيلي، حقق فيها نسور الجو المصريين انتصارات باهرة، ثم زاد معدل الانتصارات ؛ حتى وصلت إلى انتصارات مذهلة، دمرنا فيها أعدادًا مهولة من طائرات إسرائيل، في الوقت الذي

كانت كل قواتنا الجوية دُمرّت تمامًا في الساعات الأولى من الحرب!! إذ يقول الفريق أ. محمد فوزي [٣] في شهادته:

« هناك بلاغات تصدر من القيادة العامة لا إلى جبهة سيناء، ولكن إلى الإذاعة والصحافة عن طريق "علي شفيق" و"شمس بدران"، كذا طيّارة ضربناها... كذا.. مش عارف إيه.. يعني الحاجات اللي واخدة صفة الشئون العامة التي كانت متصرفة مع الدولة في ناحية الإذاعة والبلاغات».

واستمرت البيانات العسكرية تصدر بصورة مبالغ فيها.. مئات الطائرات الإسرائيلية تتهاوى واشتباكات عنيفة برية، حتى إذا ما التفّت جماهير الشعب المصري حول المذياع يتابعون انتصارات أبنائهم وإخوانهم على العدو الإسرائيلي، وحتى إذا ما وصلت الجماهير إلى ذروة النشوة والفرحة بالنصر والتهبت الروح الوطنية ؛ أعلنت الحقيقة عارية وبصورة مفاجئة لتصبح الهزيمة فجيعة مدمرة لكل معنويات المصريين.

ب – صورة الجيش المصري بعد الهزيمة المفجعة:

- **كتب الفريق الحديدي [٤]:**

« هكذا سار الانسحاب، وكان هدفه القاهرة، واستمر أيامًا حتى بعد قرار إيقاف إطلاق النيران، واكتظت شوارع العاصمة بالجنود والمركبات، ونظر شعب مصر مشدوهاً إلى الحال الذي وصلت إليه قواته المسلحة، وتساءل عما أوقعنا في هذه الهاوية السحيقة، وتوزعت عواطفه بين الألم لما حاق به من هزيمة وضياع، وبين الأمل في تدارك الموقف ورد الاعتبار، وتذكر بمرارة ما كان يقرأه في الصحف عن مدى القوة التي بلغتها قواتنا المسلحة، وبدأ يشعر أنه وقع فريسة لخدعة كبرى، وإلا فأين الصواريخ التي رآها بعينيه؟ أين القاهر والظافر؟ أين قواتنا الجوية التي كثيرًا ما سمع عن طريق مختلف وسائل الإعلام أنها أكبر وأقدر قوة ضاربة في الشرق الأوسط؟ وماذا فعلت الأسلحة السوفيتية في الدفاع عن الوطن.. الخ».

كشف لنا المارشال "الحديدي" في صورة اعتراف، أو أشبه بالوثيقة الرسمية تثبت التخطيط الذي تم لإحداث الصدمة والإحباط في نفوس الشعب المصري، لإفقاده الثقة في حكومة عبد الناصر، وذلك من خلال إخفائهم العلة أو السبب

الحقيقي في الهزيمة.... التي هي بفعل "جنرالات" الجيش المصري "الليبراليون"، وليس بفعل الجيش الإسرائيلي ! وقد ذكر المارشال "الحديدي" صراحة في مذكراته عن ضرورة إخفائهم أسرار أحداث الحرب العسكرية باعتبارها من أسرار الدولة العليا، وعدم نشرها إلا بعد أن تفقد أهميتها ! – وهو الأمر الذي أتاح لهم "الإيحاء" للشعب المصري بأنه وقع فريسة لخدعة كبرى، والشك في مصداقية كل ما كان يقرأ عنه في الصحف عن قوة الجيش... وبالتالي "الإيحاء" بهزيمة لم يحدث في الحقيقة... وهو الأمر الذي يفقد ثقة الشعب المصري في النظام الناصري.

ومع ذلك، ورغم إحكام التخطيط ودقة تنفيذ مخطط الحرب النفسية، إلا أنهم فشلوا في كسر كبرياء و شموخ المصريين، لأن المسألة لها ارتباط باستمرار تثبيت حالة الهزيمة والإحباط في نفوس المصريين، فطالما لم يتم تثبيت وتأكيد حالة الإحباط والهزيمة، بمواصلة تجريح وتشويه صورة الجيش المصري والتشهير به لفترة طويلة من الزمن ؛ فإن الشعب يمكنه أن يستعيد ثقته مرة أخرى في كفاءة أبنائه المقاتلين خير أجناد الأرض وفي قوة جيشه، وهو ما تم بمجرد أن نجح الزعيم جمال عبد الناصر في السيطرة على الأمور، وبعد أن تكشفت للرأي العام بعض الحقائق بتسرب أسرار فضيحة الحفل الساهر بقيادة القوات الجوية ليلة الحرب، ثم فضائح هروب "الجنرالات الليبراليون" من ميدان القتال، ثم فضائح الفساد التي كان يمارسها "الجنرالات الليبراليون" فيما عرف بمراكز القوى وضباط مكتب المشير، أما حينما حاول بعض الكتاب "الليبراليون" أن ينالوا من سمعة الجيش المصرى، ويتكلموا في حق المقاتلين الشرفاء – تحت ستار حرية الرأي والنقد البناء – فما كان من الزعيم جمال عبد الناصر إلا أن منع وسائل الإعلام من الحديث نهائيًا عن حرب ٦٧ ؛ ليطوي صفحة من التاريخ، يزيح بها كل ما يجرح مشاعر وكرامة المصريين الوطنيين، وأخذ الزعيم جمال عبد الناصر يلهب روح الوطنية والحماس للأخذ بالثأر واسترداد أرض "سيناء"، ليُسجّل التاريخ عباراته: " ماأُخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة "، " لا صوت يعلو على صوت المعركة "، وظل زعيم الأمة يُسعّر نار الغضب في صدور المصريين ؛ حتى إذا مات وجاء من بعده الرئيس "السادات"، لم يستطع إطفاء نار الغضب المتأججة والتي دفعت به لهيبها إلى العبور بالجيش المصري وتحقيق النصر في ٦ أكتوبر٧٣.

٧ ــ أسلوب ارتكاب الجريمة يكشف عن شخصية الفاعل:

في حرب الخليج الثانية، استخدمت أمريكا نفس تكتيك الحرب النفسية لحرب ٦٧ الدعائية، فعلى الرغم من علمنا يقينا بتدمير قوة الجيش العراقي في حرب الخليج الأولى وما تبعه من حصار اقتصادي وعسكري استمر لعشر سنوات، الأمر الذي لم يسمح للعراق باستعواض المقومات الأساسية للدولة، فضلاً عن العناصر الأساسية لقواته المسلحة من خسائر الحرب الأولى، حتى أنه لم يجد ثمن الدواء لشعبه.

لكن كيف استطاعت أمريكا بفضل السيطرة الإعلامية وقوتها الدعائية أن تصنع من العراق قوة جبارة؟... جيشًا بلا حدود، وقوات حرس جمهوري لا تقهر، وأسلحة تدمير شامل، وما أدراك ما أسلحة التدمير الشامل، كل هذا من خلال ندوات، لقاءات، تحليلات من المسئولين الاستراتيجيين من كل دول العالم، ثم ساعدها أيضا شخصية وزير الإعلام العراقي الجنرال "الصحّاف" وطريقته المميزة في إلقاء البيانات العسكرية النارية، وأسلوبه المُشوّق الذي استحوذ على لب وإعجاب كل من شاهده عبر شاشات التليفزيون، وبالرغم من أن الشواهد كانت تؤكّد للرأي العام ضعف صدام حسين، وعدم تحديه لأمريكا، أو قبوله الحرب معها، وذلك عندما قبل تفتيش قصوره الجمهورية، ثم وافق على فك صواريخه الاستراتيجية، ثم وصل به الحال إلى تقديم أسماء علماء العراق إليها.

إلا أن جبروت الإعلام الأمريكي من خلال قناة الجزيرة، قلب الحقائق ليقنع العالم العربي بقوته الجبارة، حيث قام الجنرال "الصحاف" في العراق بنفس دور "ابن بدران"، ليعلن نفس مضمون البيانات العسكرية النارية والملتهبة حماسًا ووطنية، حتى إذا ما تأكدت أمريكا من أن الشعوب العربية كلها قلبًا وقالبا، جلست خلف قناة الجزيرة أو القنوات الأخرى أو الإذاعة، تتابع أحداث حرب العراق، وحتى إذا ما وصل بهم الجنرال "الصحاف" لقمة النشوة، كان إعلان نبأ الهزيمة الساحقة، والغير متوقعة للأمة العربية بأكملها، بمثابة صدمة نفسية حققت حالة الإحباط وفقد الأمل في استمرار الصراع مع الإمبراطورية الأمريكية الجبارة الغاشمة.

٨ ــ محاولة القيام بقلب نظام الحكم:

كانت " شلة المشير" تنتظر نهاية المعركة، حتى يقوموا بالانقلاب العسكري والاستيلاء على الحكم، وكان في المعسكر المقابل الزعيم جمال عبد الناصر ومجموعته في قلق شديد على الأوضاع التي تتداعى.

- كتب صلاح نصر مدير المخابرات وأحد أقطاب " شلة المشير" الذي زار الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه في ذلك الوقت [٧]:

> « كان عبد الناصر يذرع الحجرة كالطير الجريح، الحبيس في القفص».

- وكتب الفريق الحديدي [٨]:

> « وقد زاد من القلق والتوتر السائدين، تلك الفوضى التي كانت عليها عناصر من بعض وحدات عادت من الجبهة إلى القاهرة، ولم يكن معروفًا على وجه التحديد أسباب عودتها المبكرة، ولم أخطر(*) بذلك مسبقًا على أساس أنها ستوضع تحت القيادة عند وصولها للعاصمة. وقد اختارت إحدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات، إحدى دور الضيافة - "قصر الطاهرة" - لتعسكر في حدائقه، مما أزعج المسئولين عن القصور التابعة لرئاسة الجمهورية، وقادهم الشك إلى التفكير في احتمالات كبيرة لهذه المصادفة».

وهي شكوك في محلها... لأن اقتحام وحدة مدرعة واحتلالها قصر الطاهرة الجمهوري من المستحيل أن يخضع للمصادفة – كما يدعي "الحديدي" – وإنما يخضع للسياق المنطقي لتسلسل الأحداث، والتي يستطيع أن يتنبأ بها رجل سياسة يعيش في خِضَم الصراع والأحداث ومعه رجال يساعدونه في تحليل الأحداث وكيف يمكن تلافي أضرارها.

- أمر آخر ذكره شمس بدران في التحقيق [٩]:

> « أنه بعد أن أصدر المشير قرارًا بالانسحاب – القرار الثاني يوم ٦٧/٦/٨ – استنتجت أنه يريد أن ينتحر، بعد أن رأى الموقف العسكري بهذه الصورة مثل قادة التاريخ هانيبال وغيرهم، واتصلت بالرئيس عبد الناصر في منزله، ولم أشأ أن أخبره بأن المشير يريد أن ينتحر، وطلبت منه أن يحضر إلى القيادة، لأن الموقف يتطلب ذلك، وقال: "أنا آجي ليه؟ العملية عملية عبد الحكيم، وهو واخد المسألة كلها، لكن الرئيس عبد الناصر حضر عندما أبلغته خوفي من انتحار المشير».

الملاحظ أنه عندما رفض "الزعيم" طلب "ابن بدران" بالحضور، ذكر له سبب اخر وهو: " خوفه من انتحار المشير"، في الوقت الذي لم يذكر فيه الأدلة والشواهد

(*) كان الفريق صلاح الدين الحديدي في حرب ٦٧ قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية..

التي استند عليها وجعلته يستنتج نيّة المشير للانتحار!! الأمر الذي يؤكّد الشكوك في أن هناك أمر ما دبّره "ابن بدران"، وهو ما دفعه للإلحاح على حضور "الزعيم" لمقر القيادة العامة.

أُجبر "عبد الناصر" على سرعة التصرف لإزالة الشكوك.. لأن الحزم في هذه الأمور واجبة.. فجمع "عبد الناصر" شتات عقله على أمر ما!!... هل كانت فكرته؟!... جائز!!... هل كانت فكرة أشار بها أحد خلصائه؟!... جائز!!... وعلى كل، لم يكن له خيار سوى تنفيذها.

توجّه "الزعيم" إلى مكتب المشير بالمقر العام، ليجتمع مع "ابن بدران" والمشير عامر معا الثلاثة، وعرض أن يتركا الحكم هو والمشير عامر سويا، على أن يخلفهما في الحكم "ابن بدران"[١٠٠]، ووافق الثلاثة على ذلك، على أن يتم إعلان الزعيم جمال عبد الناصر لهذا القرار في خطاب يوجهه إلى الأمة المصرية في اليوم التالي.

واتفقوا أيضًا على أن يُقدم "الجنرالات" استقالاتهم وكذلك "شمس بدران" الذي بادر بتقديم استقالته للزعيم جمال عبد الناصر في نفس الجلسة.. نعم.. لم يكن يجدي مع "شمس بدران" سوى التعامل معه بنفس السلاح الذي يتقنه.. سلاح المكر والخديعة، وبالرغم أنه أستاذ في المكر والخداع، فقد خُدع!!

والتقط " شمس بدران" الطعم، ورأى أن بحصوله على حكم مصر من الطريق الشرعي القانوني، يُوفّر عليه مشقة الانقلاب العسكري، و هو ما دفعه للمبادرة بتقديم استقالته و قيامه بإقناع قادة الأفرع الرئيسية بالجيش على تقديمها، وذلك حتى يمكن إنجاح الاتفاق المبرم لوصوله للحكم، و ذلك تحت مبرر أن الشكل الطبيعي لأي جيش مهزوم أن يقدم كبار قادته استقالاتهم.

لم يكن هناك تصوّر لاهتزاز سلطة " شلة المشير" على الجيش حتى مع تقديم استقالاتهم، فالهيكل التنظيمي الذي بناه " شمس بدران" بكامله موجود، وشبكة خلايا أهل الولاء كما هي، وكذلك كل القادة شديدي الاخلاص " لشلة المشير" مع اعتبار الخصلة الجوهرية للولاء لأعضاء التنظيم " شلة المشير"- وليست للمناصب.. فما زال "شمس بدران" على قناعة بسلطانه على الجيش الطائفي، رغم استقالته وبأن الجيش رهن إشارة من إصبعه.

ألا ترى أن ذهاب الزعيم جمال عبد الناصر إلى مقر "القيادة العليا" وهو مقر "شلة المشير" في هذا الجو المضطرب والملبّد بالشكوك فيها مخاطرة على حياته؟..

وهل ترى أنه تم التمهيد لهذه الزيارة بأسلوب المكر والدهاء من رجال عبد الناصر المخلصين، بإبلاغ "ابن بدران" بعزم "عبد الناصر" على التنازل عن الحكم له؟.... أم أنها الشجاعة في مواجهة المواقف؟... أم أنه القدر؟....

نعم.. قلبت مبادرة "عبد الناصر" خطط " شمس بدران" وغيّرت خطة حصوله على الحكم، فأصبحت سلمية بدلا من استخدام القوة العسكرية، وتبعًا لذلك تم تأجيل ميعاد التخلص من المشير عامر - التي كان مخطط لها مساء يوم ٦٧/٦/٨ في نفس توقيت زيارة الزعيم جمال عبد الناصر لمقر "القيادة العليا"- خوفًا أن يؤخّر انتحار المشير أو قتله إجراءات جلوسه على كرسي الحكم.

أعلن الزعيم جمال عبد الناصر في خطابه مساء يوم ٦٧/٦/٩ التنحي عن رئاسة الجمهورية وترشيح السيد زكريا محي الدين خلفًا له – بدلاً من إعلانه تعيين "شمس بدران" رئيسًا مؤقتًا للجمهورية حسب الاتفاق المنوه عنه- وما هي إلا لحظات من انتهائه من الخطاب.. حتى طاشت العقول وهاج وجدان الشعب، وأجهش بالبكاء.. وإذا بالشعب المصري كله على قلب رجل واحد.. يصرخ من أعماقه.. ناصر.. وتحركت الجماهير.. طوفان من البشر إلى منزل زعيم الأمة.. لتعلن أنه جزء من كيانها.. وأنه أكبر من الهزيمة.. وأنها لن تتخلى عنه.. فقد كانت مصر هي قلب عبد الناصر.. وقد جُرح عبد الناصر في صميم مصر، كتب أ.هيكل [١١]:

«من نظرة واحدة عبر النافذة إلي كوبري الجلاء، فقد أصبحت الجماهير عليه كتلة واحدة متدفقة هادرة زاحفة لا تعرف إلى أين. ولكن صراخها كان يمكن تمييزه الآن بصيحة " ناصر"».

- كتب الفريق الحديدي [١٢]:

« وإن كان تنحي الرئيس جمال عبد الناصر قد أصاب الشعب في كبريائه، فقد أصاب رجال القوات المسلحة في مقتل رجولتهم وشرف جنديتهم، الأمر الذي شعرنا به ونحن ملتفون حول أجهزة الراديو والتليفزيون في مقر قيادتنا نستمع إلى الخطاب، وما أن وصل الرئيس إلى الفقرة التي أعلن فيها تنحيه عن قيادة الوطن، وتوجيه أموره في المرحلة القادمة، حتى فقدنا السيطرة على أنفسنا وذهبت مقاومتنا لما كبتناه من شعور بالمرارة والألم طيلة الخمسة أيام الماضية، واختلطت مشاعرنا بأصواتنا متناسين فوارق الرتب العسكرية أو حتى فوارق سنوات العمر، التي تفصل بين الملتفين حول أجهزة الإعلام في الحجرات المتجاورة».

جَسّد الشعب المصري إخلاصه للوطن، وكل معاني الوفاء والصدق في تعبيره عن تمسكه بزعيم الأمة "جمال عبد الناصر" لتتكشف في كافة أفراد الجيش روح الوطنية الصادقة – كجزء من الأمة المصرية – حين التحم الجزء بالكل..ليتوحّد شطري الأمة: "الجيش و الشعب" خلف راية واحدة... راية الوطن... راية الزعيم جمال عبد الناصر.

نعم... لقد صنع خطاب التنحي عاملاً فاعلاً قلب كل موازين "الليبراليين" رأسًا على عقب، حين ظهر الموقف في صورة شديدة الدرامية، تتمثل في خذلان الجيش المصري لزعيمه، حتى جسّدت كلماته وهي تحمل كل معاني الإباء والعزة والكرامة رسالة موجهة إليهم تقول: "إن عبد الناصر لم يقبل نتيجة الحرب، وأن رجاله خذلوه.. وأن عليه الرحيل". أو كأنه فارس انطلق مع جنوده في ساحة القتال، حتى إذا ما التحم بالأعداء فإذا بهم يتركوه بمفرده.. غدرًا وخيانة.. فأحاط به الأعداء من كل جانب رميًا بالرماح وطعنًا بالسيوف والخناجر.. حتى عاد على جواده مهزومًا كسيرًا.. وكل جسده مثخن بالجراح.

ظهر خطاب التنحي كرسالة استجدى فيها "زعيم الأمة" العزيز الجبار، ليسترد منه ولايته ومسئولياته عن الأمة المصرية، ورفع "الزعيم" يديه إلى السماء وصوته يئن من الألم.. خذلني قادة جيشي.. وتعاونوا مع أعدائي.. وضيّعوا رجالي.. وها هي جيوش الأعداء تحيط بأمتك من كل جانب.. ماذا أفعل؟!...ها هي جحافل الصهاينة.. بكل طائراتها ومدرعاتها.. وعتادها.. ولا أملك أنا وشعبي من أمرنا إلا قوة الإيمان بأن الموت في سبيلك هو غاية الرجال.. لعل أجسادنا.. ودماءنا، تصنع سدًا يحمي أرض الكنانة.. أرضك يا مصر.

حرّك خطاب عبد الناصر في الشعب المصري بكل طوائفه، دوافع قيم المثل العليا، والمبادئ والواجب نحو الوطن، في صورة الولاء لزعيم الأمة جمال عبد الناصر.. وكما يقول الحديدي.. " إذا كان تنحي الزعيم جمال عبد الناصر أصاب الشعب في كبريائه، فقد أصاب رجال الجيش في مقتل رجولتهم، وشرف جنديتهم... لقد أعاد صوت الزعيم جمال عبد الناصر للجنود والضباط العائدين من ميدان الغدر والخيانة صوابهم، ليعقدوا في قلوبهم الإصرار على الإخلاص والولاء لزعيم الأمة.. فأخرجوه من براثن الشبكة التي نصبت فوقه "شبكة خلايا أهل الولاء "، ورفعوه فوق الولاء، وفوق الزعامة.

وفي الوقت الذي تحركت فيه جماهير الشعب إلى منزل زعيم الأمة جمال عبد الناصر، تحرك أيضا " ابن بدران" بعد اكتشافه خداع "عبد الناصر" له وترشيح آخر لرئاسة الجمهورية بدلاً منه، في خطاب التنحي وهو: زكريا محى الدين، وبدأ يعمل في اتجاه استخدام القوة العسكرية للوصول لأهدافه.

تحرك "ابن بدران" بنفس أسلوبه قبل الكارثة، استنادًا على سيطرته المطلقة على قادة وضباط الجيش من خلال "شبكة الولاء"، ولم يكن اكتشف أن الكارثة أحدثت تغييرات في قناعة القادة والضباط فيمن يستحق الولاء الذي تحوّل تلقائيًا، ليتربع على قمته الزعيم جمال عبد الناصر؛ إلا حينما تمخضت كل قدراته على تجميع ما لا يزيد عن ٥٠ ضابط في مبنى القيادة العامة للتظاهر والهتاف لعودة المشير عامر، ما برحوا أن انفضوا هاربين بمجرد أن أمرهم الفريق أ. محمد فوزي بالانصراف، تُرى ماذا لو كان قادة و ضباط الجيش على ولائهم السابق، قبل أن يخذلوه في حرب ٦٧؟

- كتب الفريق أ. محمد فوزي [١٣] :

> « في يوم ٦٧/٦/١١ في الساعة ٩ صباحًا حدث تجمهر غريب غير متوقع من بعض ألوية وعمداء وعقداء القوات البرية، وجميعهم من يُقال عنهم " مُقرّبون "، كان عددهم يزيد عن خمسين ضابط تجمعوا في البهو الداخلي لمقر القيادة بمدينة نصر، مطالبين "بضرورة حضور المشير للقيادة" وممارسته للسلطة " وكان الكلمات تتناثر من أفواههم " لا قائد إلا المشير " أين المشير؟ وقد علمت من اللواء عبد الرحمن فهمي أقدم الضباط المتجمهرين أن المشير قد وعدهم بالحضور إلى القيادة، عندما ألحوا عليه في مساء اليوم السابق، واجهت هذا الجمع من الضباط بمفردي في البهو، مذكرًا إياهم بصوت عال وبحدة أن هذا التجمهر ضار بهم، وأنه لا توجد لدي أي معلومات عن حضور المشير إلى القيادة، وأضفت أن المشير موجود بمنزله بالجيزة، ثم أمرتهم بالانصراف فورًا».

كذلك لم يتمكّن "شمس بدران" من تجميع سوى سريتين شرطة عسكرية فقط مع عدد من الضباط المحالين للمعاش، حيث رابطوا بمنزل "المشيرعامر" بالجيزة بأسلحتهم وذخائرهم، واستمر "شمس بدران " في محاولاته لإقناع بعض القادة – ذوي الولاء السابق – بالتحرك معه للقيام بانقلاب عسكري والاستيلاء على الحكم، حيث خذله جميع القادة و الضباط.

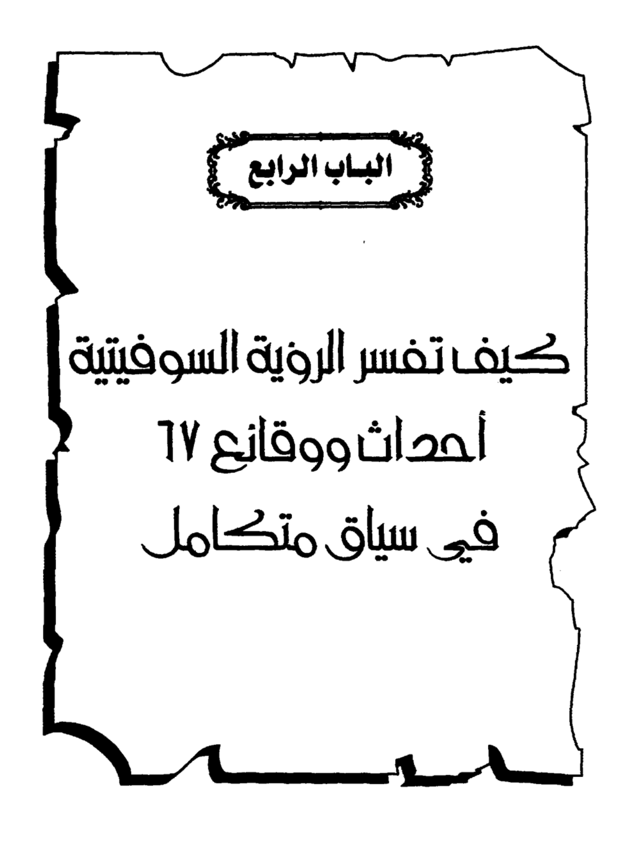
وكانت الخطة التي حوكم عليها "شمس بدران" [١٣] مع مجموعة من الضباط اعتمدت على تحريك فرقة مدرعة من دهشور[*] تحت مظلة من الطائرات مع فرقة أخرى لتأمين القاهرة، بالتعاون مع الشرطة العسكرية، وقد وضعت جميع التفصيلات وتم الاتصال بجميع الضباط والقادة اللازمين للعملية، ولكن هيهات، فقد تغيّرت الأحوال وضاع الولاء من "شلة المشير"، ووقف شمس بدران بمفرده لا يجد أي قائد أو وحدة عسكرية يشترك معه في هذه العملية، وعلى الرغم من انكشاف الأمور، بأن عملية قلب نظام الحكم قد فشلت من الناحية الموضوعية برفض اشتراك قادة الوحدات العسكرية، فإن " ابن بدران " ومعه مجموعة صغيرة استمروا في عنادهم ومحاولاتهم، في الوقت الذي سلّم فيه باقي كبار القادة من " شلة المشير " بالأمر الواقع، والتسليم بأن الأمور قد آلت إلى الزعيم جمال عبد الناصر، وهو ما وضح من موقف الفريق أ.: صدقي محمود (قائد الطيران) ـ ضمن باقي أعضاء " شلة المشير" الذين رفضوا الاستمرار في العناد والمكابرة ـ عندما أرسل إليه "شمس بدران" لاستدعائه من منزله فأعلنت زوجته: رفضه الاشتراك معهم.

وقد ذكرت القصة في المحكمة [١٤] عند استجواب العقيد محمود طنطاوي رئيس حراسة المشير، الذي أرسله إليه في منزله، فلم يقابل سوى زوجته التي أعلنت رفضه، والحقيقة أنه مادام الرفض جاء على لسان زوجته، دون التأكّد من وجوده فإن الموقف يُحسب في ميزان المرأة المصرية " عقلاً، وفكرًا، ووطنية ".

وبعد أن تيقّن عبد الناصر من ضعف نفوذهم وفقدهم للسيطرة على وحدات القوات المسلحة، قام باستدعاء المشير عامر إلى منزله بروكسي لمقابلته مساء يوم ٦٧/٨/٢٦ في أثناء ذلك أمر بمهاجمة منزل المشير والقبض على كل من فيه، بما فيهم " شمس بدران" وتم محاكمتهم [*]، وتحديد إقامة المشير عامر بمنزله بالجيزة، ثم تم نقله بعد ذلك إلى استراحة بالمريوطية ، حيث تُوفى هناك وأُعلن عن انتحاره في الساعة ٧ مساءً يوم ١٩٦٧/٩/١٤.

(*) بدأت شحنات الأسلحة السوفيتية تصل، إلى مصر لاستعراض خسائر حرب٦٧ في اليوم الخامس للمعركة،١٩٦٧/٦/٩ حيث كانت شحنات المدرعات السوفيتية قد وصلت في ذلك الوقت.

(*) ملحق (ب) الأحكام التي صدرت في قضية: " محاولة قلب نظام الحكم ".



الباب الرابع

كيف تفسر الرؤية السوفيتية أحداث ووقائع ٦٧ في سياق متكامل

الفصل الرابع عشر

كيف تفسر الرؤية السوفيتية أحداث ووقائع كارثة ٦٧

« نحن أقوياء

لأنهم لا يعرفون عنا شيئًا »

حسن نصر الله

١- خطتنا العسكرية هي فحوى هزيمة ٦٧:

حرب بلا معارك.... ومعارك بلا قتال.... وقتال من طرف واحد.... وهزيمة بلا انهزام.... تلك هي ملامح حرب ٦٧.

أن تحدث حرب بين جيشين بدون حدوث الصراع العسكري الذي يحدد الغالب والمغلوب، هو أمر ليس من طبائع الحروب، وهي الخاصية الجوهرية المميزة لحرب ٦٧، التي أخرجتها من عداد الحروب التقليدية، طالما خرجت عن كل ما هو مألوف في عالم القتال والحروب.

وحرب ٦٧ لأي باحث عسكري في الوهلة الأولى، حرب غاية في الغرابة والعجب، فإذا ما توصل إلى أسبابها وعلم خباياها، زالتا الغرابة والعجب.. كما يقول المثل: "إذا عرف السبب بطل العجب"، ومحور أو بؤرة الغرابة والعجب في حرب ٦٧ هي: "عدم حدوث اللقاء أو التصادم بين: "الجيش الإسرائيلي المهاجم لغزو أرض مصر "سيناء" والجيش المصري الرابض على مواقع وخطوط دفاعية على أرض "سيناء" لصد هذا الهجوم، فكيف إذن، اخترق الجيش الإسرائيلي خطوطنا ومواقعنا الدفاعية واستولى على "سيناء" بدون أن يتقابل ويشتبك مع الجيش المصري؟!... أين كانت إذن، مواقع وخطوط الجيش المصري "بسيناء" في حرب ١٩٦٧؟!.. وكيف تم اختيار مواقع وأماكن التشكيلات الرئيسية للجيش المصري لتتجنب تمامًا محور هجوم وتقدم الجيش الإسرائيلي؟! وكأن الجيش المصري غير مكلف بالدفاع عن "سيناء".

وطالما أن "الخطة الدفاعية" في المضمون الأخير لا تتعدى: "تحديد أماكن ومواقع قواتنا ووسائلنا الحربية على الهيئات الحاكمة والمسيطرة استراتيجيا على الأراضي المصرية، لتشكيل الشبكة الدفاعية التي تضمن الدفاع عن "سيناء" وعدم اختراق وغزو الجيش الإسرائيلي لأراضينا، فيكون إذن، فحوى ومضمون قضية ٦٧ تتركز في تلك "الخطة الدفاعية" التي دخل بها الجيش المصري حرب ٦٧، والتي

حددت بدقة أماكن ومواقع قواتنا ووسائلنا الحربية بحيث تتجنب الهيئات الحاكمة والمسيطرة استراتيجيًا، لتضمن على العكس اختراق وغزو الجيش الإسرائيلي لأراضينا بدون أي اصطدام أو اشتباك مع الجسم الرئيسي لقواتنا النظامية ؛ بل وتضمن أيضًا للجيش الإسرائيلي الاستيلاء على خط الممرات، وبالتالي حصار الجيش المصري نفسه وتدميره، بدون حتى أن يتاح له أي فرصة للقتال والدفاع عن نفسه.

لم تكن الهزيمة في حد ذاتها الهدف من "الخطة" التي نفذها "جنرالات" الجيش المصري في حرب ٦٧، بقدر ما كان إحداث "كارثة قومية رهيبة" تصيب الشعب المصري بصدمة نفسية: هو الهدف الحقيقي، بعدما كشفته "الخطة" من توفيرها لأسباب ومقومات تضمن سرعة تدمير وسحق الجيش المصري وإسقاط "سيناء" في زمن قياسي... لا يصدقه عقل!!.

ذلك أن سقوط الجيش صريعًا في ساعات معدودة، من بدء المعركة مع أعدائه، تحدث "الكارثة القومية" التي تسبب فجيعة وصدمة نفسية للشعب... حتى كانت السرعة الفائقة لحسم الحرب، هي من أهم ما يميز حرب ٦٧، ليكون أغرب وأعجب ما في هزيمة ٦٧ أنها: " لم تأتي كنتيجة لتقصير الجيش المصري في تنفيذ الواجبات والمهام التي كلف بها حسب "الخطة" المحددة في حرب ٦٧، ولكن على العكس، للغرابة والعجب، جاءت نتيجة لإخلاصه وتفانيه في تنفيذ هذه الخطة"!! أي غرابة وعجب لأمر مثل هذا!؟....

والغرابة والعجب في هذا الأمر، هما اللذان شكلا أسباب رفض الرأي العام المصري لمجرد طرح هذه الفكرة... فكيف يعقل... وفي أي منطق يقوم "جنرالات" الجيش بتخطيط وتنفيذ خطة عسكرية لتدمير جيشهم بأنفسهم، بدلاً من تنفيذ الخطة العسكرية المعتمدة "قاهر" لتدمير جيش الأعداء!؟.

لكن لاحظ، أن رفض عقلنا قبول هذا الأمر باعتباره أمرًا غير معقول، لا يفرض علينا إسقاط وقائع أحداث الحرب، واعتبارها كأنها لم تحدث، أو استبدالها بأحداث أخرى نصنعها من خيالنا، لتتمشى وتتسجم مع أهوائنا وثقتنا المطلقة في أمانة وإخلاص ووطنية "جنرالات" الجيش... ذلك أن الواجب علينا، أن نفصل أهوائنا وثقتنا المطلقة هذه، عن البحث والتحليل العلمي للقضية، وأن نجعل العقل بمفرده، هو الذي يرشدنا إلى الحقيقة، حتى نقول: " أن نصدق أو لا نصدق"، فهذا أمر لا يلغي الحقيقة، لنصل في النهاية إلى أن فحوى ومضمون قضية ٦٧،

تركزت في إشكالية: " الخطة العسكرية التي نفذها "جنرالات" الجيش المصري في حرب ٦٧" .

٢- كيف نحكم على "الخطة" التي نفذها "الجنرالات" في حرب ٦٧؟

كيف نحكم حكمًا جازمًا قاطعًا بأي " خطة عسكرية نفذها "جنرالات" الجيش المصري في حرب ٦٧ ، "قاهر" أم "ثعبان"؟

المسألة غاية في البساطة واليسر، ذلك لأن الخطوط الرئيسية لكلا الخطتين "قاهر" و" ثعبان" خطوط مختلفة متناقضة، يستحيل أن تتداخل أو تتشابه، حتى يمكن لأي شخص عادي أن يميز بينهما، ذلك لأن الفكرتان الفلسفيتان اللتان بنيت عليهما الخطتان مختلفتان تمام الاختلاف. بل ومتناقضتان تمام التناقض، وبالتالي خرجت الخطوط الأساسية للقرارات والتعليمات للخطتين، وكل منهما على نقيضة الأخرى... لا تداخل... لا تشابه...

فإذا نظرت إلى "قرارات وتعليمات الخطة" قاهر" فلن تجد لها أي معنى سوى: "الدفاع عن أرض مصر، وتدمير وسحق أي قوات مهاجمة إسرائيلية، في حين أن "قرارات وتعليمات" الخطة "ثعبان" يستحيل أن تجد لها أي معنى سوى: "التخلي عن سيناء لإسرائيل وتدمير وسحق الجيش المصري "... وشتان بين الأمرين.

مع الأخذ في الاعتبار أن تحديد "الخطة" التي نفذت في حرب ٦٧ " قاهر" أم "ثعبان" ليست مسألة وجهات نظر أو رؤى فكرية، يمكن أن نختلف عليها فيما بيننا؛ لأنها مسألة مادية واضحة، لها حدودها القاطعة التي لا لبس فيها ولا تداخل... فهي إما " قاهر" وإما " ثعبان" بالاستناد على الحجة الدامغة والدليل القاطع.

ونستطيع أن نضرب مثلاً، قد يغني عن الشرح، ذلك في التباين الشديد بين "خطة" وضعت لصناعة "طائرة" و"خطة" أخرى لصناعة "باخرة بحرية" ... ذلك أن الاختلاف الجذري بين الخطتين نابع من الاختلاف الجذري في الفكرتين الفلسفيتين لصناعة كل من "الطائرة" و"الباخرة"، وبالتالي الاختلاف الجذري في مراحل الصناعة بينهما... ترى، هل من الجائز أن تعلن شركة صناعية عن قيامها بالتخطيط والتنفيذ لصناعة "باخرة بحرية" ثم تدعي هذه الشركة بأنه حدثت منها بعض الأخطاء أو الإهمال أدت إلى تحول "الباخرة" المزمع صناعتها إلى "طائرة" قفزت رغمًا عنها لتطير في السماء؟!... هل من المنطق والتفكير السليم أن نصدق مثل هذا الكلام؟!... أم أن المنطق والتفكير السليم يفرضان علينا أن نستنتج الحقيقة، في أن

تلك الشركة الصناعية لم تقدم من الأساس على صناعة "باخرة"، ولكنها أقدمت من البداية على التخطيط لصناعة طائرة.

وما نريد أن نستخلصه من هذا المثل هو أن الأخطاء والإهمال يستحيل أن تحول الخطة " قاهر" والتي بنيت فكرتها الأساسية على الدفاع عن "سيناء" وتدمير وسحق الجيش الإسرائيلي المهاجم، إلى الخطة "ثعبان" والتي بنيت فكرتها الأساسيةعلى: التخلي عن سيناء وتدمير وسحق الجيش المصري نفسه، بالضبط كما أن خطة صناعة باخرة لا يمكن أن تتحول بالأخطاء والإهمال إلى خطة صناعة "طائرة ".

إذن هناك خطوط قاطعة فاصلة بين الخطة " قاهر" والخطة " ثعبان"، بالضبط كما أن هناك خطوط قاطعة فاصلة بين خطة لصناعة طائرة وخطة أخرى لصناعة باخرة.

صحيح أن الأخطاء والإهمال في تنفيذ الخطة " قاهر" قد تحدث خلل وثغرات في شبكة الدفاع عن سيناء ؛ قد تؤدي إلى هزيمة عسكرية... ولكن لاحظ، وضع مليون خط تحت: " أن هذه الهزيمة تحدث نتيجة لاشتباك فعلي وصراع والتحام بين الجيشين " المصري والإسرائيلي" من خلال وجود فعلي لخطوط شبكة الدفاع المصرية التي حددتها الخطة " قاهر".

خلاف الخطة "ثعبان" التي لا وجود فيها "لشبكة دفاع مصرية"... ولكن خطوط وأوضاع للقوات المصرية تضمن سلامة تقدم القوات الإسرائيلية الغازية لأرض "سيناء"، وتقديم كافة التسهيلات لإتمام استيلاء الجيش الإسرائيلي "لسيناء" وتدمير وسحق الجيش المصري وإحراز النصر الحاسم.

وهناك فرق رهيب في الشكل والمضمون الذي تسير عليه أحداث الحرب في كلا الهزيمتين... " الفرق رهيب ".

وكانت طبيعة الأهداف الخبيثة للخطة " ثعبان" واعتبارها جرائم ضد الأمن القومي المصري، هما ما فرضا على جنرالات " شلة المشير" سريتها وعدم الإعلان صراحة عنها.

ولذا... وكأمر طبيعي، كان ولابد أن تخرج الخطة " ثعبان" من تحت عباءة الخطة الوطنية " قاهر". تحت مبدأ "العمل خلاف القول" بمعنى: " إعلان شعارات وأهداف الخطة " قاهر"، أما الأفعال أو الأعمال فهي لصالح تحقيق الخطة " ثعبان".

والأمر بهذه الصورة، فإن البحث عن مقياس أو معيار للحكم في مثل هذه القضية الشائكة والملتوية... أصحابها يظهرون غير ما يبطنون... ويعلنون غير ما يفعلون... هو ما دفعنا إلى تطبيق القاعدة القانونية التي تحكم على الأفعال أو الأعمال التي صدرت فعلاً، دون الاعتبار للأقوال والشعارات المعلنة، وبناءً على هذه القاعدة، فقد قمنا برسم مواقع وأماكن القوات والوسائل العسكرية المصرية على خريطة "سيناء" لأرض المعركة، ليلة ٥ يونيو "حزيران" ٦٧ وقبل اندلاع الحرب، لنحدد بالضبط شكل ومضمون الخطة العسكرية التي دخل بها الجيش المصري حرب ٦٧ فعلاً، وهو ما كشف لنا أنها لم تشكل فقط "خطة" أخرى لا تمت بأي صلة للخطة " قاهر"، بقدر ما أنها شكلت خطة تهدف إلى تدمير وسحق الجيش المصري والتخلي عن "سيناء" وهي نفس أهداف الخطة المفترضة " ثعبان".

ولم يقتصر بحثنا على إثبات تنفيذ جنرالات " شلة المشير" للخطة " ثعبان".. ولكن تعدينا هذا الأمر لنقوم بإعادة البحث مرة أخرى، ليشمل مراحل حرب ٦٧ المختلفة... وذلك بالرجوع للوراء لما قبل اندلاع حرب ٦٧ بعام كامل... تلك الفترة التي يطلق عليها العسكريون " فترة الإعداد والتنظيم لحرب ٦٧ "، وقد يسأل البعض كيف ننسب هذه الفترة لحرب ٦٧، طالما أنه لم يكن يجوز لأحد أن يتنبأ بتحديد موعد لقاء مع إسرائيل في هذا التوقيت، باعتباره أمرًا من أمور الغيب؟... ولكن، لا ننسى أننا كنا في حالة حرب مع إسرائيل توقفت بناء على اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩، وهو ما يعني احتمال تجدد الاشتباك في أي وقت. وبالتالي فإن الفترة التي تسبق اندلاع أي معركة مع إسرائيل تعتبر هي فترة الإعداد والتنظيم لتلك المعركة.

وأهمية دراسة هذه الفترة، الوصول لمعرفة متى انتقلت " شلة المشير" من مرحلة التفكير والمناقشة في فكرة "إحداث كارثة قومية تصيب الشعب المصري بصدمة نفسية شديدة تفقده الثقة في صلاحية النظام الاشتراكي الناصري برئاسة الزعيم جمال عبدالناصر"، إلى مرحلة عقد النية والعزم والاتفاق والتخطيط لتنفيذ تلك الفكرة موضوع البحث ـ الادعاء السوفيتي ـ والتي سميناها بالخطة "ثعبان" ... كذلك وبنفس القدر كانت دراستنا لفترة التحضير لحرب ٦٧، هذا علاوة على "فترة الحرب الفعلية" وما بعدها... فيكون منهج البحث قد شمل جميع مراحل حرب ٦٧، ليكون الحكم في قضية ٦٧ هو الحكم النهائي الذي لا استئناف بعده.

وقد حددنا أسلوبنا في هذا البحث بأن نضع أولاً وباختصار شديد الخطوط الأساسية التي حددتها الخطة "قاهر" في كل مرحلة من مراحل الحرب، حتى

يمكننا استنتاج بالتالي: "القرارات والتعليمات والأعمال التي كان من الواجب والمفترض أن يقوم بها جنرالات "شلة المشير" في كل مرحلة... طالما أنهم أعلنوا التزامهم بتنفيذ الخطة "قاهر" للدفاع عن أرض الوطن، ثم نقارنها بكل "القرارات والتعليمات والأعمال" التي قاموا بها فعلاً على أرض الواقع والحقيقة- [والتي كشفت لنا تطبيقهم للمبدأ "العمل خلاف القول"] – لنحكم فيما إذا كانت في صالح تحقيق الخطة "قاهر" أم أنها شكلت خطة أخرى لا تمت بأي صلة بها، وأن أهدافها تطابق تمامًا أهداف الخطة المفترضة "ثعبان"، وسنبدأ بمرحلة الإعداد والتنظيم لحرب ٦٧.

٣- مرحلة الإعداد والتنظيم لحرب ٦٧: "تحليل و نقد"

يستطيع أي محلل أو باحث أن يكتشف بسهولة وجود خط زمني فاصل وقاطع، يقسم كل ما صدر من القيادة العسكرية المصرية سواء " قرارات أو تعليمات أو أعمال"، إلى فترتين زمنيتين منفصلتين تمامًا، أحدهما: " في صالح وفي سياق الخطة الوطنية " قاهر" التي تهدف لحماية الأمن القومي المصري، والأخرى الإضرار بمنظومة الخطة " قاهر"، أي تهدف للإضرار بالأمن القومي المصري، وفي سياق تحقيق أهداف الخطة " ثعبان"، التي كانت من أمور الغيب.

ويتحدد هذا الخط الزمني الفاصل والقاطع، بيوم صدور قرار تشكيل"القيادة العليا" للجيش المصري في منتصف عام ١٩٦٦... بمعنى: " أن جميع القرارات والتعليمات والأعمال " التي صدرت من القيادة العسكرية حتى هذا التاريخ كانت فى مجملها لصالح الخطة " قاهر" وفي سياقها الوطني، أما بعد هذا التاريخ فلصالح الخطة " ثعبان" وفي سياقها المدمر والمخرب.

وسوف نقتصر بالطبع على دراسة الفترة من منتصف عام ١٩٦٦ – والتي بدأت بتشكيل القيادة العليا – باعتبارها تسبق الحرب مباشرة وهي بذلك فترة الإعداد والتنظيم لحرب ٦٧.

ويظهر في هذه الفترة الإشكالية المحورية وجود خطتان عسكريتان، أحدهما معلنة وهي خطة الدولة الرسمية " قاهر"، وقد تم توقف العمل بها، والخطة الأخرى الغير معلنة والتي بدأ تنفيذها فعلاً، وهي موضوع البحث فيما يسمى بالخطة " ثعبان"، وقد اقتصرنا على عرض ثلاثة مسائل، رأينا فيها الكفاية للتوضيح والإلمام بمضمون هذه الفترة وهي:

- إنشاء مراكز قيادة جديدة لتدار منها حرب ٦٧.

- تعيين القادة والضباط الذين سيقودون الجيش المصري في حرب ٦٧.
- نظام الإنذار في الدولة عند اندلاع حرب ٦٧.

أ- إنشاء مراكز قيادة جديدة لتدار منها حرب ٦٧:

قامت حكومة الثورة بإنشاء "هيئة الأركان العامة" على رأس الهيكل التنظيمي للجيش المصري، [لتدير جميع آليات حركة الجيش] – وذلك بمعاونة الخبراء السوفييت، وفقًا لأحدث وأكفأ التنظيمات بالجيوش الحديثة، وحيث تشكلت من: "هيئات وأجهزة وإدارات" في كافة تخصصات أسلحة الجيش وفي جميع مجالاته المتعددة. بحيث يضمن هذا التنظيم عدم صدور أي "قرار أو تعليمات" تخل بالاستراتيجية الأساسية لمنظومة الخطة "قاهر" التي تحقق أهداف الدولة في تأمين وحماية الأمن القومي المصري، والمحافظة على استقلال مصر، وقد نجحت هيئة الأركان في إعداد الجيش المصري، ليصبح أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط.

ومنذ منتصف عام ١٩٦٦، قامت " شلة المشير" بإنشاء مراكز قيادة جديدة – كان أخطرها إنشاء "القيادة العليا" لتصبح على قمة الهرم التنظيمي للجيش المصري بدلاً من "هيئة الأركان" – وقد كشفت مكونات وآليات العمل بتلك التنظيمات، بصورة حاسمة وقاطعة، عن أن تلك التنظيمات أنشئت بهدف تحقيق أمرما، تم تدبيره في الخفاء.

القيادة العليا" للجيش المصري في حرب ٦٧:

صدر قرار تشكيل " القيادة العليا" ليكون هو نفس تشكيل "مكتب المشير عامر"، بمعنى: أن المسألة لم تتعدى تغيير اسم " مكتب المشير عامر" إلى اسم "القيادة العليا ".

وطالما أن المحرك الفاعل لكل آليات العمل، وكل ما كان يصدر من "مكتب المشير عامر" هو: "ابن بدران" فإن تغيير اسم "مكتب المشير" إلى اسم "القيادة العليا"، لم يكن ليغير من حقيقة العناصر الفاعلة شيئًا... ليكون "ابن بدران" هو نفسه المحرك الفاعل لكل آليات العمل في " القيادة العليا"... مثلما كان في "مكتب المشير"، باعتبار أن تغيير الاسم لا يغير من المضمون أي شيء.

بمعنى: "أن "ابن بدران" الذي كان يدير آليات العمل من خلال "مكتب المشير" هو نفسه الذي سيدير آليات العمل من خلال: "القيادة العليا".

إذن، ما هي المشكلة؟!

بالفعل كان هذا هو المنطق، الذي تقبل به جميع القادة والضباط قرار تشكيل "القيادة العليا "، فطالما أن المسألة مجرد تغيير "الاسم" من "مكتب المشير" إلى "القيادة العليا"... فليس هناك بالتالي أي قضية بالمرة تستحق المناقشة.

ولكن ما تم فعلاً، كشف عن أن المسألة لم تكن تخضع لمنطق التفكير الذي تحكمه الثوابت، والمبادئ والأخلاق، والذي يقر بتطابق الظاهر والباطن، والأعمال في سياق الأقوال... في حين كانت القضية يحكمها منطق آخر، لا يعترف بتلك الثوابت، ولا بمبادئ الأخلاق، وحيث يرفع شعاري: "الغاية تبرر الوسيلة" و"العمل خلاف القول"... ليكون الحكم الصحيح على ذلك التشكيل الذي لم يتغير سوى اسمه، ليس من خلال مكونات التشكيل الداخلي الذي لم يتغير... ولا بما يعلنه من أهداف وطنية ونوايا حسنة... ولكن بما صدر منه بالفعل من قرارات وتعليمات وأعمال ؛ كشفت عن تغيير جذري لكل آليات العمل... وقد حدث ذلك مع تغير الاسم.

من أين جاء إذن التغيير الجذري في: "آليات العمل"؟!... وما تفسير ما حدث في ذلك الانقلاب العظيم؟!

أليس تشكيل "القيادة العليا" هو نفس تشكيل "مكتب المشير"؟!

أليس ضباط "القيادة العليا" هم أنفسهم ضباط "مكتب المشير"؟!

و"ابن بدران" هو "ابن بدران"؟!.. و"المشير" هو "المشير"؟!... كلا، لأن الشكل غالبًا ما يستخدم وفقًا لذلك المنطق، كوسيلة "للإيحاء" والتضليل، وحيث يقدم هذا "الشيء" في إطار خارجي، ليبدو أمام الآخرين في معنى ومفهوم حدده هذا الإطار الخارجي،... في حين أن هذا "الشيء" يحمل مضمون آخر ومعنى ومفهوم لا يمت للإطار الخارجي بأي صلة... كل ذلك كان نابعًا من إيمانهم الراسخ بمبدأي الليبرالية الساميين: " الغاية تبرر الوسيلة " و "العمل خلاف القول ".

ولذا، جاء التغيير الجذري والانقلاب العظيم، لا في محتويات الشكل... ولا في تغير الاسم... ولكن جاء فيما استقرت عليه النوايا في صدور هؤلاء "الجنرالات" الذين كانوا يمسكون بمقاليد الأمور، ويديرون كل "آليات" العمل داخل الجيش المصري، قبل تغيير الاسم وبعده، وذلك حينما عقدوا العزم والنية على أمر ما... لم يكن من الحكمة ؛ إلا أن يخفوه على الآخرين، ولم نكتشف حقيقة ذلك الأمر إلا

بعد الزمان بزمان... حينما كنا نحلل ونبحث فيما انطوت عليه أعمالهم، فانكشفت لنا خطوط واضحة لملامح "خطة" ما تستهدف تحقيق أمر ما ولم تكن تلك الخطة سوى " ثعبان"، وذلك الأمر سوى: "إحداث كارثة قومية تصيب الشعب المصري بصدمة نفسية شديدة".

أما وأن هذا الأمر كان المستحيل تحقيقه من خلال "هيئة الأركان" طالما أن أغلب قادتها وضباطها من المصريين الشرفاء الذين لم يكونوا ليسمحوا بمجرد الحديث في مثل هذا الأمر... فضلاً عن التخطيط لتنفيذه.

أما وأن هذا الأمر كان من المستحيل أيضًا إعلانه على الملأ... ليظل في أعلى درجات السرية ومقتصرًا على كبار المؤسسين لتنظيم " شلة المشير".

إذن فلم يكن هناك مفر – في ذلك الوقت – إلا بعزل "هيئة الأركان" من قيادة الجيش والحرب... ليقوم تنظيم " شلة المشير" بقيادة الجيش والحرب من خلال المكتب السياسي للتنظيم وهو: " مكتب المشير"... وهو ما أدى إلى قلبهم دور "مكتب المشير" من مكتب سياسي بمثل سلطة "جنرالات" الجيش المصري على الدولة، حينما كانوا يشاركون حكومة عبد الناصر في حكم مصر – ! وكانت تصدر منه كل قرارات جنرالات " شلة المشير" إلى كافة مؤسسات وأجهزة الدولة، هذا علاوة على المصادقة والتوقيع على كل ما تصدره أجهزة وهيئات "هيئة الأركان العامة" بدلاً من الفريق أ. محمد فوزي الذي عزلته " شلة المشير" من كافة اختصاصاته من الناحية العملية وليس الشكلية !- إلى دور قيادة عسكرية، تصدر التعليمات والقرارات العسكرية، وكأنها قيادة عسكرية حقيقية تملك مقومات وعناصر القيادة العسكرية!!... أو كأن الاسم قد نضح على المضمون... لقد حدث التغير الجذري والانقلاب العظيم في كل آليات العمل، حين أصبحت "القيادة العليا" هي القيادة العسكرية التي ستقود الجيش المصري إلى هزيمة وكارثة ٦٧... لتحقق الكارثة القومية التي ستصيب الشعب المصري بالصدمة النفسية الشديدة التي تفقده ثقته في النظام الاشتراكي الناصري.

ولم يعد مشروع أي قرار أو تعليمات يبدأ أولاً داخل الجهاز أو الإدارة المختصة والمتخصصة في ذلك الشأن، ثم مروره على الأجهزة الرقابية "بهيئة الأركان"، التي تقوم بتحليله وبحثه ومناقشته، لمنع بصورة حازمة وقاطعة ما يتعارض مع مصلحة الجيش المصري أو مع سياق الخطة " قاهر"... وبالتالي نجحت آليات العمل الجديدة في " القيادة العليا" من تخطي الأجهزة الرقابية المتخصصة "بهيئة الأركان"، لتنطلق

في تحقيق الخطوط الأساسية للخطة "ثعبان" من خلال ضباط السكرتارية الذين أصبح اسمهم "المستشارين"... ولم لا؟!.. فالذي جعل من "مكتب المشير" " قيادة عليا". جعل أيضًا من الضباط السكرتارية "مستشارون" يصدرون القرارات والتعليمات مباشرة إلى وحدات الجيش ويتابعون تنفيذها.

ومن زاوية أخرى، فإن صورة "القيادة العليا"، بكل ما فيها... تعكس حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية في مصر في منتصف عام ١٩٦٦ ؛ حين وصل جنرالات "شلة المشير" بالسلطة في الدولة إلى مرحلة الاستبداد... وأصبحت لهم اليد الطولى والعليا على كل مؤسسات وأجهزة الدولة، مثلما كان لهم السيطرة المطلقة على الجيش المصري، بعد فصله عن سلطة الحكومة الشرعية، بأسلوب الولاء الطائفي، حين أصبح أشبه بالجيش الطائفي... ولم يعد هناك شيء يقف في طريق تحقيق أملهم المنشود لقلب نظام الحكم الاشتراكي الناصري، وإعادة النظام الليبرالي الفاسد مرة أخرى، سوى إحداث كارثة قومية تحدث فجيعة وصدمة للشعب المصري تفقده الثقة في النظام الاشتراكي الناصري بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر، وحيث استقر الرأي بهم على أن تكون تلك الكارثة القومية في تدمير الجيش المصري وإسقاط "سيناء" في يد إسرائيل، من خلال إشعال حرب بين مصر وإسرائيل، وكأمر طبيعي تحتم على زعماء " شلة المشير" بأن يضطلعوا بأنفسهم على تحقيق، تلك المهمة التي وضعوا لها الخطة " ثعبان"، وذلك باعتبارها تضر بمصلحة الدولة والأمن القومي المصري... ومن ثم أيضًا أن تدار تلك الحرب، من داخل قيادة التنظيم السياسي وهو: " مكتب المشير"، وبالتالي تم تغيير اسمه إلى " القيادة العليا " ، طالما أنه كان يستحيل أن تدار الحرب لتحقيق ذلك الهدف من داخل "هيئة الأركان".

وفي النهاية، إذا جاز لنا أن نلخص المعنى والمضمون من تشكيل "القيادة العليا"، فإننا نجده في المعنى والمضمون للخطة "ثعبان".... بمعنى أن: "القيادة العليا" هي تجسيد للخطة " ثعبان" في الواقع الحي الملموس... أو أن "القيادة العليا" والخطة " ثعبان" أشبه بالأصل والصورة.... حتى أنه لا يمكننا تصور وجود "القيادة العليا" بدون وجود للخطة " ثعبان" أو وجود للخطة " ثعبان" بدون وجود "للقيادة العليا".

ونرى الاكتفاء بتحليل " القيادة العليا"، باعتبار أن باقي مراكز القيادة التي أنشأتها "شلة المشير" للدخول في حرب ٦٧ ، لا تعدوا أن تكون مكملة لدور "القيادة العليا"، وتكرار لما سبق أن عرضناه سابقًا، وعلى القارئ الرجوع للفصل رقم ١٠ لمراجعة تلك التنظيمات ـ ذلك أننا على موعد مع الخطوة التالية "لشلة المشير" ـ

والأخطر - في طريقها نحو الحرب... ألا وهي: تشكيلها "وزارة الحرب"، بتعيين "ابن بدران" وزيرًا للحربية في خريف عام ١٩٦٦.

وزارة الحربية عنصر فاعل في ادارة المعركة العسكرية:

كيف نفسر تعيين "ابن بدران" وزيرا للحربية مع احتفاظه بمنصبه باعتباره القائم بأعمال المشير عامر بالقيادة العليا؟... هل كانت مهام وواجبات منصب وزير الحربية، بكل تبعاته السياسية والتزاماته من قبل السلطتان "التنفيذية والتشريعية"، لا تحتاج منه أي عناء أو مجهود أو الوقت الكثير، حتى تضاف إلى مهام وواجبات وظيفته "بالقيادة العليا"... في وقت لم يعد "ابن بدران" القائم بجميع أعمال المشير عامر فقط، بقدر ما أصبح القائد الحقيقي والفعلي للجيش المصري؟.

إذن: تعالى نبدأ أولاً بتحليل رأي "الجنرالات" في ذلك القرار.

رأي "الجنرالات" – ومنهم فريق أ. محمد فوزي – في إسناد الوزارة لـ "ابن بدران"، إيجاد مبرر للوضع الشاذ لذلك العقيد "ابن بدران" بكونه القائد الفعلي والحقيقي للجيش المصري، ولم تتعدى رتبته العسكرية "مقدم"، في وقت كانت الأقدمية والرتبة العسكرية محل الاعتبار والتقديس في هذه المؤسسة العسكرية البيروقراطية... وهو ما كان يثير – كأمر طبيعي – بعض الحرج لكبار الجنرالات، وبالتالي جاءت " الوزارة " في إطار تقديم "حجة " ليستندوا إليها لإسقاط براقع الحياء من وجوههم، باعتباره قد تجاوز مسألة الأقدمية والرتبة العسكرية إلى " الوزارة "، والتي اعتبروها – من وجهة نظرهم – فوق الأقدمية، لينحنوا له ؛ كي يعلوا بحذائه فوق رؤوسهم، ويرأس اجتماعات كبار "الجنرالات"، وفيها أعلى الرتب العسكرية، حتى قادة الأسلحة الرئيسية من رتبة الفريق أول وكذلك – مع شديد الأسف – رئيس الأركان الفريق أ. محمد فوزي شخصيًا الذي كان بحكم القانون الرجل الثاني في الجيش بعد المشير عامر مباشرة!!.

على أن هذا التفسير " للجنرالات" والذي يجعل من " الوزارة " مجرد "لقب" أو رتبة شرفية، تمنح حاملها تجاوز مسألة حداثة الأقدمية وصغر الرتبة العسكرية، كي يعترف به كقائد عام في العلن بدلاً من الخفاء، وفي النور بدلاً من الظلام، هو تفسير يحتاج إلى تفسير، ذلك لأن مسألة "ابن بدران" وقيادته للجيش، لم يكن ينقصها فقط الأقدمية والرتبة العسكرية – سواء ! لعدم حصوله على أي مؤهلات عسكرية كدورة أركان حرب مثلاً، أو أي خبرة في أي مجال عسكري، حتى أن خبرته لم تتعدى سكرتير بمكتب المشير عامر يدير بعض الأعمال الإدارية المكتبية!

– حتى يقال أن "الوزارة" قد استكملت له ذلك النقص، بقدر ما عكس هذا التبرير سؤال استنكاري... كيف يعلن هؤلاء "الجنرالات" عن مبرر لخضوعهم تحت إمرة ضابط برتبة "مقدم" – تم ترقيته إلى رتبة " العقيد" في نفس يوم توليه " الوزارة " بدلاً من تقديمهم مبرر لعدم ثورتهم لتصليح هذا الخلل الخطير، أو ذلك الأمر المشين؟!.

على أن هذا الأمر، قد كشف عن أن الأقدمية والرتبة العسكرية لم تكن محل الاعتبار فيما بين قمة القيادات السياسية لتنظيم " شلة المشير"... ذلك لأن الجيش الطائفي تقوده الزعامات السياسية وليس الرتب العسكرية، وهو ما جعل من "حسن نصر الله" قائدًا لميليشيات "حزب الله" في لبنان، مثلما كان "ابن بدران" قائدًا للجيش المصري الطائفي في حرب ٦٧، طالما أن أساس الاختيار للكفاءة والقدرات السياسية وليس للكفاءة والقدرات العسكرية... أما إمكانات وقدرات "ابن بدران" فقد أجاب عنها الفريق أ. مرتجى في سؤال عن رأيه في "ابن بدران": " يفهم في نواحي الدخول في الفتن والمؤامرات ".

والباحث المحلل في وقائع وأحداث الصراع بين " شلة المشير" والزعيم جمال عبد الناصر، يجد لـ " ابن بدران" الدور الفاعل الرئيسي في جميع الأحداث ؛ حتى يمكننا أن نرجع إليه الفضل الأول في نجاح " التنظيم" سواء بتشكيل خلايا أهل الولاء وسيطرته على الجيش أو عملية فصل الجيش عن سلطة الدولة أو تدخل " شلة المشير" في شئون الدولة كسلطة تحكم مصر فوق سلطان الدولة وحكومة عبد الناصر، حتى يكون "ابن بدران" قد تولى زعامة تنظيم " شلة المشير" عن استحقاق وجدارة.

وكما أن " لحسن نصر الله" النفوذ والسلطان على ميليشيات "حزب الله"، باعتباره زعيمًا دينيًا لطائفة الشيعة "بلبنان"، كذلك كان لـ" ابن بدران" نفس النفوذ والسلطان داخل تنظيم " شلة المشير" باعتباره زعيمًا لطائفة الأيدولوجية الليبرالية التي يؤمن بها أعضاء التنظيم، وهو ما جعل لـ" ابن بدران" السلطة المطلقة داخل الجيش، يأمر فيطاع... حتى أن "الجنرالات" كانوا يؤدون له التحية العسكرية ؛ كنوع من المزايدة في الولاء والإخلاص للعقيدة " الليبرالية"... كل هذا دون أن يملك السلطة القانونية أو الشرعية النابعة من مهام وظيفته في الهيكل التنظيمي للجيش.. أمر غاية في الغرابة... ولكنه حقيقة وواقع قد يكون أغرب من الخيال!!.

أما وأن الأحداث قد كشفت بالدليل القاطع، أن " الوزارة " لم تسند لـ" ابن بدران" كي يتجاوز بها مسألة الأقدمية والرتبة العسكرية، كما ادعى هؤلاء "الجنرالات".

أما وأن طريقة وأسلوب طرح "الجنرالات" لهذه القضية، كان بهدف تضليل وخداع الرأي العام المصري عن حقيقة فكر وأيدولوجية تنظيم " شلة المشير" وأهدافه السياسية - [من خلال إضفاء الغموض والسرية الكاملة حول طبيعة "التنظيم" وزعمائه الفاعلين، وكيفية صنع القرار وإدارة آليات العمل وأسلوب إدارة الصراع مع حكومة الثورة] - وبالتالي عدم التقاط أي خيط قد يوصل إلى إدراك حقيقة هدفهم من إشعال حرب ٦٧، وكيف أمكنهم إحداث الكارثة القومية لتحقيق أملهم المنشود في إرجاع النظام " الليبرالي" مرة أخرى.

أما وأن أسلوب طرح جنرالات "شلة المشير" لأي قضية من خلال مبادئ "التنظيم" - "القول خلال العمل" و"الغاية تبرر الوسيلة" - فإن الحكم على هذه القضية مثل غيرها من القضايا، يكون من خلال بحث وتحليل كل ما قام به "ابن بدران" كوزير للحربية - دون اعتبار للأقوال والشعارات المعلنة - وكيف أتاح له ذلك المنصب السياسي من وسائل وإمكانات وسلطات للتدخل في السياسة الخارجية المصرية، لدفع مصر إلى الحرب... وهو ما اتضح بالدليل القاطع، وذلك من خلال دراسة الشق السياسي لأزمة ٦٧، وكيف قام(*) "ابن بدران" بالدور الفاعل لإشعال الحرب، بما يشبه الدسائس السياسية التي كانت تدار بين الدول الأوربية في القرون الوسطى، وذلك حين قام "ابن بدران" بإقناع الحليف السوفيتي بعدم وفائنا بالعهود والمواثيق التي أبرمناها معه، والتي تلزمنا باتباع استراتيجية عسكرية دفاعية تجاه إسرائيل، حيث أننا نخطط للهجوم على إسرائيل، وكذلك قيامه بنفس الدور مع القيادات السياسية المصرية، حين أبلغها - كذبًا - بتأييد السوفيت لنا سياسيًا وعسكريًا على انتهاجنا تلك السياسة العدوانية اتجاه إسرائيل؛ وقد ترتب على هذه المؤامرة؟! اشتعال حرب ٦٧ بيننا وبين إسرائيل التي يعاونها المعسكر الغربي الأمريكي، وبدون مساندة الحليف الاستراتيجي السوفيتي لنا. الأمر الذي يكشف عن أن إسناد الوزارة لـ"ابن بدران"، كان بمثابة تشكيل "شلة المشير" لوزارة الحرب، ذلك باعتبار أن اشتعال حرب ٦٧ ارتهن على دور " ابن بدران" كوزير للحربية في أزمة ٦٧.

(*) راجع دور "ابن بدران" في إشعال حرب ٦٧- الفصل الثامن بالجزء الأول من الكتاب "الثعابين".

ب- تعيين القادة والضباط الذين سيقودوا الجيش المصري في حرب ٦٧:

ظلت إدارة "كاتم أسرار" وهي الإدارة المختصة بشئون الضباط وحركة تنقلات القادة والضباط في مراكز الجيش المختلفة، بالالتزام بالعمل بالشروط الواجبة واللازم توافرها في القادة والضباط لشغل المراكز القيادية بالجيش المصري، حسب التعليمات واللوائح المنظمة في هذا الشأن... وكانت التجاوزات في حدود النسب البسيطة التي لا تنفي سلامتها، وهو الأمر الذي يتمشى مع مصلحة الجيش المصري وفي سياق الخطة " قاهر" للدفاع عن أرض الوطن، وذلك حتى منتصف عام ١٩٦٦ تاريخ إعلان تشكيل "القيادة العليا" حيث بدأ بعد ذلك التاريخ المشئوم إصدار "ابن بدران" لحركة تنقلات القادة والضباط باسم "القيادة العليا" مباشرة، باعتبارها "سلطة عليا"، وبدون إعدادها وتنظيمها ومراجعتها بإدارة " كاتم الأسرار" ليصنع من تلك "الحركة" عنصر أساسي لتخريب الجيش المصري وفي سياق العمل في الخطة " ثعبان"، وقيادة الجيش إلى كارثة ٦٧.

ويمكننا تقسيم القادة والضباط في نشرة التنقلات إلى فئتين، أحدهما فئة جميع القادة والضباط الذين يشكلون الهيكل الرئيسي للجيش المصري، والأخرى فئة كبار القادة "الجنرالات" أصحاب المناصب الرئيسية على قمة مراكز القيادة.

تعيين القادة والضباط:

أصدر "ابن بدران" حركة تنقلات "القادة والضباط" التي شملت أغلب الضباط والقادة... حتى أنه لم يتبقى قائد في وظيفته إلا نادرًا!!.

وذلك لتحقيق مضمون النظرية الأمريكية: "الفوضى الخلاقة"، حيث شملت الفوضى كافة أجزاء الجيش وتغلغلت في أعماقه حتى النخاع ؛ ليتحقق الهدف منها وهو: تهيئة المناخ النفسي والسيكولوجي الملائم لتنفيذ الخطة "ثعبان"... وذلك بصناعة أسباب تخلق "التوتر" والقلق والشعور بعدم الاستقرار أو الاتزان وعدم استطاعة أي فرد التركيز للتفكير في أي موضوع، وبالتالي عدم فهم وإدراك حقيقة ما يحدث حوله، وهو بالفعل المناخ الملائم للتحول من العمل بالخطة " قاهر" إلى العمل مباشرة بالخطة " ثعبان".

نعم... أحدثت تلك "الحركة" ضجة كبيرة في أوساط القادة والضباط ؛ ليقول عنها الفريق " الحديدي": " أنه لم ينتهي طنينها أو التعليق عليها إلا مع اشتباكات حرب ٦٧ "، ولم تكن تلك الضجة الكبيرة بسبب فقط شمول الحركة أغلب القادة والضباط، ولكن أيضًا بسبب: " الإخلال الشديد بالشروط الواجبة في القادة

والضباط لتعيينهم في تلك المراكز القيادية "، حسب التعليمات واللوائح المنظمة في هذا الشأن. أي أن حركة التنقلات استهدفت تبديل أغلب القادة و الضباط، الذين كانوا قد وصلوا – كأمر طبيعي – إلى درجة عالية من الكفاءة القتالية داخل وحداتهم العسكرية – [بعد حصولهم على الخبرة العملية من التدريب في مراحل التدريب القتالي المتواصل، وهو الأمر الذي يتطلب عدة سنوات من التدريب الشاق المتواصل] – بآخرين لا يملكون أي مؤهلات أو كفاءة أو خبرة عملية تتناسب مع المراكز القيادية المعينون عليها، والنتيجة المستهدفة من هذه " الحركة" ستوط الكفاءة القتالية لوحدات الجيش المصري... ذلك أن تعيين قائد لوحدة عسكرية بدون استيفائه الشروط اللازمة لتوليه هذا المنصب القيادي يساوي عدم صلاحيته لقيادة هذه الوحدة... أي أنه لم يعد يعتد بها كوحدة قتالية من الناحية الفعلية، وطالما أن " حركة التنقلات " قبيل الحرب شملت أغلب قادة وضباط وحدات الجيش المصري المشتركة في حرب ٦٧.. فإن ذلك لا يعني سوى: "ضياع الجيش" وأنه أصبح في " الباي باي ".. أو أنه تم تدميره بالفعل، قبل أن تبدأ المعركة العسكرية. وهو الأمر الذي يحقق أهداف الخطة " ثعبان" وفي سياقها المدمر..

هذا ومن جهة أخرى، فإن جهل القادة والضباط بمهام عملهم وضعف كفاءتهم القتالية، وما يترتب عليه من فقد الثقة بين الجنود والمرؤوسين وقائدهم الذي لا يعرف كيف سيقودهم في الحرب!... إلى النصر أم إلى هلاكهم؟... يهيئ المناخ النفسي والسيكولوجي المناسب لعدم مناقشته أو حتى فهم أبعاد الخطة " ثعبان" التي يندفع إلى تنفيذها دون أن يعي أو يدرك أنه يذهب إلى حتفه وهلاكه بإرادته، هو و كل من تحت قيادته.

اختيار كبار القادة " الجنرالات ":

تركزت شروط اختيار " الجنرالات" في المراكز القيادية الرئيسية لحرب ٦٧، في شدة انتمائهم وإخلاصهم لمبادئ التنظيم السياسي " لشلة المشير" والإيمان الشديد بالأيديولوجية العقائدية والثقافية " الليبرالية "، ومبادئ وقيم المثل العليا التي تسمح لهم بالقيام بمهمة تدمير وسحق الجيش المصري وإخلاء "سيناء" لإسرائيل.. وهي مهمة كان من المستحيل أن يقبلها أي "جنرال" مصري، حيث اتضح أن هذه الشروط لم تكن متوفرة إلا في أشخاص معدودين.. حيث تم استدعائهم من كل مكان.. فهذا "جنرال" كان يعمل في عاصمة ألمانيا، لتدبير احتياجات الجيش المصري من أسواق

الدول الأوروبية، وذاك "الجنرال" كان يعمل في سفارة باكستان، وآخرين كانوا يعملون في هيئات إدارية "بالقاهرة".

والجدير بالنظر في تحديد ميعاد استلام هؤلاء "الجنرالات" لمناصبهم في "سيناء"، ليكون قبل الحرب بيوم واحد أو يومين على الأكثر، باعتبار أنها المدة الزمنية الكافية لإتمام إجراءات عملية التسليم والتسلم بينهم وبين القادة القدامى، وأن زيادة المدة لأكثر من ذلك، أمر غير مرغوب فيه، لأنه قد يؤدي إلى حدوث صلة مودة وتعاطف ورحمة بينهم وبين الضباط المرؤوسين، وهو الأمر الذي يشكل خطورة قد تؤدي إلى ترددهم في تنفيذ مهامهم المكلفين بها، لقيادة هؤلاء الضباط والجنود إلى هلاكهم وحتفهم.

كذلك كان في تغيير جميع قادة التشكيلات ورؤساء أركانهم في وقت واحد ؛ ألا تتيح هذه المدة القصيرة جدًا، حدوث الصراع التقليدي بين القائد ونائبه، كضرورة تتطلبها خطورة وحساسية الأهداف الغير وطنية والغير أخلاقية للخطة "ثعبان".

هذا – بالطبع – مع سقوط شروط الكفاءة القتالية بصورة مطلقة، لأنه ليس المطلوب منهم – كما في الخطة " قاهر" – إدارة الصراع المسلح ضد جيش الأعداء لتحقيق النصر – ولكن المطلوب سرعة إنهاء هذا الصراع لصالح العدو لتحقيق الهزيمة البشعة، ولم يكن يتطلب هذا الأمر سوى أن يقوموا بإطلاق صيحة "الانسحاب" إلى وحداتهم المرؤوسة، وبدون أن يصدروا خطة وتعليمات لتنظيم "الانسحاب"، ثم يقوموا بغلق مراكز قياداتهم، وتقطيع شبكة الاتصال التي تربطهم بالوحدات المرؤوسة [حتى يضمنوا عدم وصول أي تعليمات من "هيئة العمليات" بالقاهرة، لمعاونة الوحدات المقاتلة في تنظيم عملية الانسحاب، وبالتالي يضمنوا ضياع وهلاك الجيش المصري]، ثم يركبوا عرباتهم الجيب، لينطلقوا يسابقون الريح، فارين من ميدان القتال، ليعبروا قناة السويس إلى الإسماعيلية.

وعلى النقيض تمامًا، نجد أن الخطة " قاهر" كانت تشترط في القائد الذي سيقود " التشكيل".. أو أي وحدة عسكرية – في الحرب، أنه ما زال يمارس قيادة هذا " التشكيل" منذ فترة من الزمن – [عدة سنوات] – كافية لانصهاره داخل التشكيل، حيث يصبح كيان متجانس ومتفاهم، يعمل كفريق واحد، وهو ما اشترطت عليه قوانين الحرب حين فرضت عدم تغيير أي قائد من منصبه القيادي بعد صدور الأمر الإنذاري بالحرب – إلا في حالات الضرورة القصوى وتكون في حدود

الحالات الفردية الاستثنائية – حتى يكون بالتالي تغيير جميع قادة التشكيلات ورؤساء أركانهم في " التقييم القانوني" جريمة يعاقب عليها القانون العسكري، خاصة وأن هذا التغيير صدر بعد الإعلان الرسمي بتوقع احتمال اندلاع الحرب بنسبة ١٠٠ ٪.

ج- نظام الإنذار في الدولة وقتما اندلعت حرب ٦٧:

وضعت القيادة العسكرية ضمن عناصر خطة تأمين و حماية الأمن القومي المصري ـ الخطة "قاهر" ـ "نظام الإنذار للدولة"، طبقًا لأسس ومبادئ العلم العسكري، وعلى أحدث ما وصلت إليه نظم الإنذار في العالم، وذلك لتأمين الأمة المصرية من مباغتة جيوش الأعداء بالهجوم وغزو أراضينا، دون أن نكون قد أخذنا أهبة الاستعداد للحرب ولقاء الأعداء.

أما وأننا، قد قمنا بكل الإجراءات الوقائية ؛ لتفادي مسألة "المفاجأة"، حتى أنه كان من الصعوبة بمكان ـ ولا أقول من المستحيل ـ أن تحدث لنا أي " مفاجأة" بهجوم الأعداء.

أما وأننا، قد أنذرنا فعلا بالحرب، وحيث رفعنا درجات استعداد جيشنا إلى درجة الاستعداد الكاملة للقتال والحرب.

فإن مسألة إحراز إسرائيل " المفاجأة " وتدميرها للطيران المصري في حرب ٦٧، هي قضية القضايا، ومفتاح لغز كارثة ٦٧، حيث تكشف بوضوح كل أبعاد وملامح تلك الخطة العسكرية التي نفذها جنرالات الجيش في ٦٧... حتى أنه يمكنك أن تقتصر البحث والتحليل على هذه القضية ؛ للحصول على نفس النتائج التي تصل إليها عند بحث وتحليل قضية ٦٧ برمتها، وبكل عناصرها وأحداثها.

وطبقًا للمنهج الذي وضعناه لهذا البحث، علينا أولاً أن نضع الخطوط الأساسية لإجراءات التأمين والوقاية لتفادي " مفاجأة " العدو بالهجوم وبدء الحرب – كما حددتها الخطة الوطنية " قاهر" – ويطلق على هذه الإجراءات اسم " نظام الإنذار" وحيث تنقسم إلى ثلاث أنواع: " استراتيجي – تعبوي – تكتيكي".

الإنذار الاستراتيجي:

خضع هذا " النظام" لاعتبارات سياسية عالمية وتحالفات دولية، أكثر من الاعتبارات الأخرى، حيث ارتبطت مصر استراتيجيًا بالمعسكر السوفيتي، في حين ارتبطت إسرائيل بالمعسكر الغربي المعادي، وكذلك المعاهدات الإقليمية، ومنها

معاهدة الدفاع المشترك مع الشقيقة " سوريا " وبالفعل جاء "الإنذار الاستراتيجي" بالحرب، تبعًا لتوقع هجوم إسرائيلي على "سوريا " وقد قامت "القيادة العليا " بإصدار تعليماتها لتنفيذ جميع الإجراءات الواجبة في هذا الشأن، وقد تناولنا هذا الموضوع بالشرح في الفصل الحادي عشر من الكتاب وهو: مرحلة التحضير لحرب ٦٧ ".

الإنذار التكتيكي:

موضوع عسكري بحت ضمن موضوعات التكتيك و يشمل الاجراءات الواجبة لانذار و تأمين و حماية الوحدات العسكرية المقاتلة في مناطق تمركزها، و الموضوع استبعدناه من البحث.

الإنذار التعبوي:

حددت الخطة "قاهر" نظام الإنذار التعبوي في عنصرين رئيسيين هما:

١)- " **نطاق الأمن** ":

حدد خبراء وأساتذة " التكتيك " إجراءات تأمين القوات العسكرية من الهجوم المباغت أو المفاجئ للعدو... ولم يضعوا فقط الأسس والمبادئ والقواعد العامة التي يجب تطبيقها، ولكنهم وضعوا أيضا نظامًا دقيقًا، حددوا فيه بدقة أسلوب العمل في جمع الظروف والأوضاع المختلفة في الحرب، حتى كان من الصعوبة بمكان – ولا أقول من المستحيل – أن ينجح العدو في تحقيق المفاجأة عند الالتزام بتطبيق هذا النظام والذي يعرف باسم " نطاق الأمن"، ويتلخص هذا النظام في أبسط صورة في الآتي:

يتم تشكيل " نطاق الأمن" من وحدات عسكرية صغيرة ذات أسلحة خفيفة، تنشر أمام خط الدفاع الرئيسي، وحتى الحدود السياسية مع إسرائيل، وفي جميع الأماكن المحتمل تقدم الجيش الإسرائيلي منها... وذلك للمراقبة والتبليغ عن أى تحرك لجيش الأعداء – قبل عبوره الحدود السياسية للدولة في اتجاهنا – وذلك لأقرب وحدة عسكرية مباشرة على خط الدفاع الرئيسي، والتي هي الأولى في سلسلة التبليغ " بإشارة الإنذار" بالحرب. لتنتقل " الإشارة " من قيادة تلك الوحدة إلى القيادة الأعلى. وهكذا... ينتشر بلاغ " الإنذار بالحرب" بأسرع مما يتخيله إنسان، وهو تسلسل عكسي... أي من القيادة الأصغر إلى القيادة الأعلى... حتى تصل إلى "هيئة العمليات" والقائد الأعلى... ولا يخفى على القارئ الحكمة والمغزى من إقرار خبراء وأساتذة التكتيك لهذا التسلسل، حيث لا معنى ولا قيمة للنظام برمته ؛ طالما

لم يحقق سرعة إبلاغ الرجال المقاتلين المرابضين على خط النار، والأقرب لهجوم العدو الإسرائيلي، بأن موعد اللقاء قد حان، وعلى كل مقاتل أن يتخذ موقعه المحدد في المعركة وهو على أكمل هيئة ؛ وإلا فإنه لا مناص من مفاجأة جيش الأعداء لرجالنا المقاتلين أثناء راحتهم – وممارستهم لبعض أعمالهم الطبيعية مثل الإعاشة وأخذهم على غرة.

نعود إلى ما نفذ فعلاً في حرب ٦٧... لنسأل، هل قام "الجنرالات" بالالتزام ببنود نظام " الإنذار التعبوي" تبعًا لأسلوب عمل " نطاق الأمن" كما وضعه خبراء وأساتذة التكتيك وحددته الخطة " قاهر"؟.

كلا... فقد قام "الجنرالات" بتغيير جذري. لنظام سلسلة تبليغ " إشارة الإنذار " ليس فقط بما يخل بالنظام وفي إطار تحقيق المضمون والهدف.. ولكن – مع الأسف – بما يقلب الهدف من النظام نفسه إلى النقيض... بمعنى: " أن نظام سلسلة التبليغ الجديدة ضمنت عدم وصول " إشارة الإنذار" إلى وحدات الجيش المصري بما يضمن تحقيق المفاجأة لإسرائيل!!.

تعالى نحلل معًا النظام الجديد لنكشف ما يهدف إليه في عدة نقاط:

- تبدأ سلسلة التبليغ من وحدات " نطاق الأمن"، إلى مكتب مخابرات العريش، الذي يرسل الإشارات إلى مكتب " ابن بدران" الذي يحتفظ بها حتى انتهاء الجيش الإسرائيلي من تحقيق " المفاجأة "، وذلك بتدميره الطيران المصري، ووصول مدرعاته لتهاجم بغتة مقاتلينا الشرفاء على الخط الرئيسي الأمامي للدفاعات... وحتى ما إذا أصبحت " إشارات الإنذار" مجرد خبر لحدث ماضي لا قيمة له ولا أهمية ؛ أرسلها " ابن بدران" إلى " هيئة العمليات ".
- السيطرة المطلقة لـ " ابن بدران" على " إشارات الإنذار"، جاءت من خلال سيطرة جنرالات " شلة المشير" على جميع آليات العمل في الجيش المصري، وهو ما أتاح له حرية تغيير النظام، وكذلك حرية اختيار القادة والضباط الذين تسمح أخلاقهم وثقافتهم لمثل هذا العمل المشين، مثل اختياره المقدم إبراهيم سلامة كرئيس لمكتب مخابرات العريش، والذي له الدور الفاعل الرئيسي في المحافظة على سرية " إشارات الإنذار" ببدء الحرب المرسلة من وحدات "نطاق الأمن"، وعدم تسرب الخبر إلى القوات المصرية، لضمان تحقيق المفاجأة لإسرائيل وتدميرها الطيران المصري، كذلك وبنفس القدر من السرية كان "ضباط القيادة العليا"،

والذين اطلق عليهم اسم "المستشارون" والذين هم أنفسهم ضباط "مكتب المشير" قبل تغيير الاسم.

- نجاح "ابن بدران" في تغيير مهمة " نطاق الأمن" من وسيلة لإنذار رجالنا المقاتلين والأمة المصرية بهجوم العدو وبدء الحرب، إلى وسيلة لتحقيق المفاجأة لإسرائيل، كان في نجاحه في استخدامه فلسفة " السرية " والأمن – [والتي برع في استخدامها كمبرر لكل أعمال الهدم والتخريب التي قامت بها " شلة المشير" سواء داخل الجيش أو في مؤسسات وأجهزة الدولة فىالقطاع المدنى] – ففي حين أن طبيعة " إشارات الإنذار" هي العلن وإعلام جميع أفراد الأمة فضلاً عن أفراد الجيش بنذير الحرب... نجد أن " ابن بدران" بجعلها إشارات سرية، ونجاحه في منع وصولها لأي فرد من المصريين الوطنيين الشرفاء، قد ضمن بذلك تحقيق المفاجأة لإسرائيل... حتى أنك تجد أن القضية لم تكن في تغيير سلسلة التبليغ وسفر "الإشارات" في رحلة طويلة من مكتب مخابرات العريش إلى مكتبه بالقاهرة، بقدر ما تحددت في " السرية "، فقد كان "مطار العريش" على بعد خطوات من "مكتب مخابرات العريش"، فضلاً عن القوات المصرية المنتشرة في مواقعها بالعريش، وكان إنذارهم بهجوم العدو الإسرائيلي لا يكلف مكتب مخابرات العريش أي شيء، دون أن يعطل ذلك التبليغ مكتب " ابن بدران" حسب ذلك النظام] – وهو الأمر الذي يكشف لنا بصورة جلية أن مسألة " السرية " هذه كانت الهدف المقصود من ذلك النظام برمته، والذى يضمن بالتالي تحقيق المفاجأة لإسرائيل.
- شملت " السرية " الحكومة المصرية ورئيسها الزعيم جمال عبد الناصر وجميع أفراد الشعب المصري ؛ في حين كان من الواجب وصول الإنذار إلى كل فرد من أفراد الشعب المصري. حتى يمكن لجميع أجهزة الدولة فضلاً عن كل فرد في الدولة، بالقيام بدوره حسب ما هو مخطط لذلك اليوم الموعود... فالحرب الحديثة لم تعد مجرد صراع عسكري بين جيشين... ولكنها صراع بين دولتين، كل دولة منهما تحشد كل مواردها المادية والمعنوية والحضارية في هذا الصراع.

وكان أفدح عواقب " تلك السرية " تركزت في عدم إبلاغ الخارجية المصرية والزعيم جمال عبد الناصر ببدء عملية غزو العدو لأراضينا، حيث كان يمكن لرجال السياسة المصريين الشرفاء بقيادة مايسترو وثعلب السياسة المصرية الدكتور محمود فوزي – كذلك بقوة نفوذ الزعيم جمال عبد الناصر وعلاقاته بالاتحاد

السوفيتي ودول الكتلة الشرقية الاستعانة بهم بتدخلهم عسكريًا أو حتى إيقاف تلك الحرب، قبل أن يحمي وطيسها وذلك بمجرد وصول أول إشارة إنذار الساعة ٤ صباحًا، أي قبل وصول المدرعات الإسرائيلية إلى خط الدفاع الرئيسي أو تدمير الطيران المصري بحوالي ٥ ساعات، مما يكشف عن أن هدفهم كان عدم إتاحة الفرصة للزعيم جمال عبد الناصر – فضلاً عن رجال الخارجية – للقيام بأي مساعي دبلوماسية لتدخل السوفييت لإيقاف تلك الحرب أو معاونتنا عسكريًا.

تعالى نخرج عن الإطار النظري.. إلى التطبيق العملي، في واقع الحرب وأحداثها... لننظر ونرى، ما جسده نظام الإنذار الجديد، في الواقع الحي الملموس، وكيف حكمت قوانين هذا النظام حركة المعركة ونتائجها منذ اللحظة الأولى من بدء الحرب، وقد تبلورت منذ أولى مشاهد ومواقف الحرب في صورة غاية في الدراما.

تعالى، نرجع إلى الوراء... إلى فجر ذلك اليوم الحزين، ٥ يونيو "حزيران" ١٩٦٧ الساعة ٤ صباحًا مع أول " إشارة إنذار"، أرسلتها إحدى دوريات "نطاق الأمن" إلى " مكتب مخابرات العريش"... ثم تتابعت الإشارات تنذر بقدوم جيش الأعداء.. إلى ذلك المكتب اللعين... مئات الإشارات، مع عبور جيش الأعداء حدود مصر الشرقية... ومع تقدمه وتوغله في أراضينا واصطدامه – كأمر طبيعي – بوحداتنا الصغيرة " لنطاق الأمن"...

ولما كانت تلك " الإشارات " تحمل مع نذير الحرب، طلب هذه الوحدات الصغيرة المعاونة والاستغاثة من قواتنا الرئيسية – حسب ما هو متفق عليه في الخطة " قاهر" – بستر انسحابهم بنيران المدفعية الثقيلة والمتوسطة وضربات الطيران... فقد كان منع " ابن بدران" وصول تلك " الإشارات " إلى قواتنا هو ما يعني: " التخلي عنهم وتقديمهم قربانًا وفتح شهية لآلات الحرب الإسرائيلية المتعطشة لدماء الشهداء المصريين "... ألا ترى في ذلك الموقف: "طعنة غدر وخيانة "؟.

حاول أن تستجمع الصورة الصحيحة والشديدة الدرامية، ومن خلال أن تتخيل نفسك واحد من المقاتلين المصريين في وحدة من وحدات " نطاق الأمن " –! جندي أو ضابط برتبة ملازم أو ملازم أول قائد لفصيلة صاعقة كوحدة من تلك الوحدات ! – وقد كلفت بمهمة الحراسة والمراقبة وإنذار القوات الرئيسية بتقدم جيش الأعداء لغزو أراضينا، وفي حين أنك أديت مهمتك على الوجه الأكمل، لم تقوم القوات الرئيسية بواجبها لمعاونتك في انسحابك إلى خط الدفاع الرئيسي – حسب أسلوب القتال المتفق عليه، والذي أقره التكتيك والعلم العسكري والمحدد في الخطة "

قاهر" – وظللت ترسل " الإشارات " بتقدم جيوش الأعداء وطلب المعاونة... وأنت على ثقة و يقين بأن قادتك " الجنرالات" لن يخذلوك ويتركوك للأعداء يحيطون بك من كل جانب... حتى لقيت مصيرك المحتوم تحت جنازير الدبابات الإسرائيلية... أترى أبشع من ذلك غدرًا وخيانة؟

حتى كان وصول المدرعات الإسرائيلية على خط الدفاع الرئيسي لقواتنا ، في ظل منع " ابن بدران" وصول "إشارات الإنذار" ببدء هجوم العدو... هو ما يعني نجاح "ابن بدران" في تمكين إسرائيل من تحقيق المفاجأة، وأخذ قواتنا على غرة...

و في حين يسمح للمقاتلين على خط الدفاع الرئيسي بأخذ راحتهم وممارسة حياتهم شبه الطبيعية من إعاشة وغير ذلك – اعتمادًا على وجود " نطاق الأمن"... فإذا بهم يفاجؤوا بالمدرعات الإسرائيلية فوق رؤوسهم!!... دون أن تتاح لهم أي فرصة لتهيئة أنفسهم لذلك اللقاء... ألا ترى في ذلك أيضًا، طعنة أخرى من طعنات الغدر والخيانة لكل قواتنا على الخط الأمامي للدفاعات الرئيسية؟

٢)- " محطة إنذار عجلون " بالأردن:

تعالى، نعيد النظر إلى " إشارة الإنذار" بهجوم العدو الإسرائيلي الجوي، التي أرسلت من " محطة عجلون " بالأردن الساعة ٨،٤٠ صباح ٥ يونيو"حزيران" إلى " القيادة العليا " المصرية، من زاوية أخرى، ليس باعتبارها إشارة إنذار ببدء الحرب مع إسرائيل – [طالما أن " القيادة العليا " قد سبق إنذارها ببدء هجوم العدو فعلاً منذ الساعة ٤ صباح نفس اليوم، من إحدى دوريات "نطاق الأمن "... وقد ظل سيل البلاغات والإنذارات عن " عبور جيش الأعداء الحدود المصرية وغزوه أراضينا " ينهال منذ تلك الساعة، من وحدات "نطاق الأمن"... مئات الإشارات والبلاغات، ترصد تقدم جيش الأعداء، دقيقة بدقيقة... حتى انتهت تلك البلاغات مع استشهاد جميع المقاتلين بوصول مدرعات الأعداء إلى الخط الرئيسي لدفاعاتنا] – ولكن، من زاوية تأمينها للأمن القومي المصري، فيما لو بدأت إسرائيل هجومها على مصر بضربة الطيران الساعة ٨،٤٥، بدلاً من بدئها بالهجوم البري الساعة ٤ صباح ٥ يونيو "حزيران" ١٩٦٧ أو بمعنى آخر: " أنه كقاعدة في نظم القتال أن تبدأ الحرب بأحد اختيارين، إما أن تبدأ بالهجوم الجوي، أو بالهجوم البري.

وقد بدأت إسرائيل حرب٦٧ بالهجوم البري في الساعة٤ صباح٥ يونيو "حزيران" ١٩٦٧، في حين أننا بدأنا بالهجوم الجوي والضربة الجوية في حرب ١٩٧٣... وإذا كنا قد وضحنا – في البند السابق – أهمية "نطاق الأمن" في إحباط تحقيق " المفاجأة "

بالهجوم الأرضي للعدو... فبالمثل تكون نفس الأهمية " لمحطة عجلون " في إحباط تحقيق المفاجأة بالهجوم الجوي للعدو.

إذن تعالى نحلل ونقيّم "محطة عجلون" من زاوية أهميتها وخطورتها على الأمن القومي المصري، وذلك في النقاط الآتية: -

- العبرة في تصميم أي " نظام إنذار"، أن يحقق سرعة وصول " إشارة الإنذار" إلى القوة العسكرية التي يمكنها أن تتصدى لهذا الخطر... وطالما أن نظام إنذار "محطة عجلون" يختص بهجوم العدو الجوي، فإن الهدف الأساسي من ذلك النظام، هو سرعة وصول " إشارة الإنذار" إلى القوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي باعتبارها المكلفة بالتصدي لطائرات الأعداء والدفاع عن سماء مصر، ثم يليها مباشرة إنذار كافة القطاعات " العسكرية والمدنية " على السواء ؛ حتى تقوم كلٍ بواجبها في إجراء أعمال الدفاع الجوي السلبي، باعتبار احتمال استهداف تلك الهجمة الجوية، إما أهداف عسكرية أو مدنية على السواء.
- بالبحث والتحليل في " نظام عجلون" نجد أنه ليس فقط لا يحقق الهدف منه، ولكن أيضًا، يضمن بصورة قاطعة وجازمة: " تحقيق المفاجأة لإسرائيل ؛ ذلك أنه يضمن نجاح طائرات إسرائيل في تحقيق مهمتها بامتياز... طالما أن تخصيص جهاز استقبال واحد فقط لاستقبال الإشارة، يضمن بصورة قاطعة وجازمة، عدم وصول " الإشارة " إلى المطارات ووسائل الدفاع الجوي المصرية.
- تشفير " إشارة عجلون" من الأردن، وبالتالي إعادة فك رموز الشفرة في القاهرة – حتى يمكن معرفة محتويات الإشارة – ليس من ورائه أي هدف سوى تضييع الدقائق المعدودة القليلة ؛ التي هي الهدف المقصود من وظيفة وعمل النظام برمته... وطالما أن إضاعة تلك الدقائق المعدودة – التي اشتريناها من الأردن برصيد العروبة والمصير المشترك – هو إضاعة النظام برمته فإن تشفير " إشارة عجلون" قد حول "محطة عجلون" برمتها إلى محطة بلا قيمة وبلا فائدة!!.
- احتفاظ " ابن بدران" بشفرة " إشارة عجلون" لحين انتهاء إسرائيل من تحقيق المفاجأة وتدميرها للطيران المصري، هي جريمة كلها فجر و وقاحة... ليس فقط لعدم إعطاء "ابن بدران" تلك " الشفرة " لقادة وضباط غرفة عمليات قيادة القوات الجوية والدفاع الجوي بالجيوشي، والتي بها جهاز الاستقبال – باعتبارهم المعنيون بهذا الشأن، والذين تفرض مهام وظيفتهم أن تكون تلك "الشفرة " بحوذتهم، طبقًا لقواعد ونظم الحرب، ولكن أيضًا، لأنه من الأساس لا يحق "لابن بدران"

أخذ تلك " الشفرة " استنادًا إلى مهام وظيفته سواء " كوزير حربية" أو عمله " بالقيادة العليا ".

هل المفاجأة في حرب ٦٧ في سياق الخطة " ثعبان "؟.

أسلوب المفاجأة في حرب ٦٧، في مضمونه وشكله، لا يشبه أي نمط آخر من أنماط "المفاجأة" في التكتيك... ذلك أن فكرتها الفلسفية، وبالتالي مقومات وعناصر وآليات تحقيقها، نبعت من طبيعة تلك الحرب الشاذة، والتي لم تكن في حقيقتها صراع عسكري بين جيش وطني مصري وجيش الأعداء، بقدر ما إنها صراع داخل الدولة المصرية نفسها، بين أنصار الفكر " الليبرالي" وأنصار نظام الحكم "الاشتراكي الناصري"، وهو الأمر الذي صنع هذا النمط الغير مسبوق أو الشاذ، الذي لم تتطرق إليه أساليب التكتيك والعلم العسكري التي وضعها جهابزة التكتيك وأساطين الفكر العسكري.

أن يقوم "جنرالات" الجيش المصري بعمل تغيير في النقطة المحورية، في نظام الإنذار التي يرتكز عليها النظام، ويرتهن عليها نجاح وعمل النظام بأكمله... بما يجعل من النظام برمته عديم الفائدة، أو كأنه غير موجود ؛ هو أمر خارج أساليب التكتيك والعلم العسكري. وبما يدعو إلى وضع تلك " المفاجأة " التي هي نتيجة لذلك الفعل الشاذ، في سياق ومضمون الخطة " ثعبان".

٤- مرحلة التحضير لحرب ٦٧ "تحليل ونقد":

بدأت "مرحلة التحضير للحرب في يوم ١٩٦٧/٥/١٤، وذلك بإعلان القيادة السياسية الممثلة في الزعيم جمال عبد الناصر " الإنذار الاستراتيجي بالحرب " للدولة المصرية، بناء على معلومات عن حشود عسكرية إسرائيلية على الحدود السورية، وذلك تنفيذًا لاتفاقية الدفاع المشترك مع " سوريا ".

وتتركز جميع أعمال الجيش في هذه المرحلة، في ثلاث محاور، قد أصدرت "القيادة العليا" بالفعل القرارات والتعليمات بشأنها في نفس اليوم وهي:

- رفع درجات الاستعداد للجيش المصري إلى درجة الاستعداد الكاملة للقتال.
- تحريك وحدات الجيش إلى أماكنها المحددة بالخطة " قاهر" بسيناء استعدادًا للحرب.
- إعلان التعبئة العامة للجيش المصري.

ومجمل القول في هذه " المرحلة " أنها تتلخص في: " سرعة حشد كل الإمكانات التي أعدها الجيش المصري للحرب، ودفعها إلى أماكنها المحددة حسب الخطة " قاهر" بسيناء استعدادًا للحرب، في نفس الوقت الذي يتم فيه استدعاء "الاحتياط " حسب خطة التعبئة العامة ".

وهي إذا تعد أخطر مرحلة، ذلك لأنه يتم فيها تحديد الشكل والمضمون النهائي الذي ستدخل بهما الدولة الحرب... فقد تعد وتجهز أشياء ؛ حين يأتي موعدها لا تنفذها... لتقوم بتنفيذ أشياء أخرى!!... وتلك بالفعل إشكالية هذه المرحلة من حرب ٦٧.

أ- رفع درجات الاستعداد للجيش المصري إلى درجة الاستعداد الكاملة للقتال:

هذا البند يتضمن موضوعات عسكرية بحتة، ليست سهلة الهضم للقارئ العادي، وقد رأينا عدم التعرض له فى هذا الكتاب.

ب- تحريك وحدات الجيش إلى أماكنها المحددة بالخطة " قاهر" بسيناء استعدادًا للحرب:

تتوقف نتيجة الحرب بصورة حاسمة في المعركة الدفاعية ؛ على سرعة وصول وحدات الجيش إلى الخطوط الدفاعية الاستراتيجية الحاكمة، والتي كانت قد أعدتها الدولة سلفًا منذ سنوات عديدة... ومن خلال الخطة الوطنية للدفاع عن حدود الدولة والتي هي في قضيتنا الراهنة الخطة " قاهر"... والتي وضعت فيها الأمة المصرية خلاصة ما يملكه أبنائها من: " علم وفكر وحكمة وجهد وحسن استخدام لكل وسائل الحرب من سلاح وعتاد وأفراد وكافة الإمكانات المتاحة لهم" ؛ وذلك لتحقيق الهدف والغاية السياسية التي حددتها الاستراتيجية العليا للدولة "

... ولم يكن تحريك وحدات الجيش لاحتلال أماكنها بالخطوط الدفاعية "بسيناء" وحسب الخطة " قاهر"، يتطلب من جنرالات " شلة المشير" سوى إعلان القرار على وحدات الجيش فقط لا غير، وهو الأمر الذي لم يكن يكلفهم أي شيء... ذلك أن قادة وضباط وحدات الجيش على دراية تامة بواجبهم وأماكن وحداتهم على الخطوط الدفاعية بالخطة " قاهر"، باعتبار أنهم قد تم تدريبهم فعلاً على هذه المهام خلال سنوات سابقة عديدة، وبصفة دورية – [وذلك من خلال برنامج التدريب تحت ما يسمى " بالتدريب على مهام العمليات " وكذلك قيام قادة وضباط

كل وحدة مقاتلة باستطلاع أماكنهم على خطوط الدفاع "بسيناء" بصورة دورية، وحسب برنامج زمني تحدده وتشرف عليه "هيئة العمليات" ! - .

وطالما أن نقد وتقييم هذا البند، يكون بالقياس بما كان من الواجب والمفترض أن يتم حسب الخطة " قاهر"، فإنه قد ثبت بصورة لا تقبل الجدل، أن جنرالات " شلة المشير" لم يخرجوا فقط عن إطار مضمون الخطة " قاهر"، ولكنهم صنعوا خطة أخرى لا تمت للخطة " قاهر" بأي صلة.

وقد أمكننا استنتاج الفكرة الفلسفية لتلك الخطة الجديدة، وذلك بتطبيق الأسلوب العلمي لقراءة الخطط العسكرية، وذلك بترجمة معنى ومضمون الحكمة في تحديد أوضاع القوات والوسائل الحربية على مسرح العمليات... طالما أن الفكرة الفلسفية لأي خطة عسكرية تترجم في النهاية إلى أوضاع القوات والوسائل الحربية على مسرح العمليات.

ففي حين، أن الفكرة الفلسفية للخطة " قاهر" يعتمد تحقيقها جوهريًا على ثلاث دعائم، تسقط وتنهار بسقوط وانهيار أحدهم، وحيث تشكل الدعائم الثلاثة كل أسباب ومقومات وشروط الدفاع التي يجب، بل ويتحتم أن ترتكز عليها الشبكة الدفاعية – للدفاع عن حدود مصر الشرقية " بسيناء " – حتى كان اسم " ثوابت الدفاع المقدسة الثلاثة " هو المضمون الحقيقي لها... والتي هي بمثابة الحدود الفاصلة والقاطعة لهوية وجوهر ومضمون الخطة " قاهر" حتى نستطيع بها أن نحكم بالتغيير الجذري للخطة " قاهر" عند التحول عن أحد هذه الدعائم الثلاثة وهي:

خط الدفاع الرئيسي، ويطلق عليه: " النطاق الدفاعي الأول ":

أقرت الخطة الوطنية " قاهر" – كأمر طبيعي – تلك الهيئات والجبال والممرات المشرفة والمسيطرة على مدخل مصر الشرقي من إسرائيل، والتي أجمع عليها الاستراتيجيون باعتبارها القاعدة الاستراتيجية الحقيقية، لتكون خط الدفاع الرئيسي، وليستند عليها النطاق الدفاعي الأول، وقد تم تجهيزها لتصبح منطقة دفاعية حصينة من أقوى الخطوط الدفاعية في العالم، شبهها بعض العسكريين مثل الفريق " الحديدي" بخط " ماجينو" وخط "سيفجريد ".

وبالنظر لما قامت به "القيادة العليا" - "شلة المشير" - في هذا الشأن، قياسًا بما كان يجب أن يكون حسب الخطة " قاهر" نجد الآتي:

- تغيير أماكن القوات المصرية إلى أماكن أخرى تختلف جذريًا عما أقرته الخطة "قاهر"، وبالتالي شكلت الأماكن الجديدة خطًا آخر لا يمت للخط الدفاعي

الرئيسي للخطة " قاهر" بأي صلة!!، وهو ما اعترف به صراحة "الجنرالات" ومنهم الفريق أ. محمد فوزي... وطالما أن هذا التغيير يكمن في إخلاء المواقع الدفاعية الحصينة والغاية في المناعة والقوة والتي تشكل خط الدفاع الرئيسي لمصر، وأن اختراقها كان أمرًا غاية في الصعوبة، فإن هذا التغيير بذلك لم يكن يهدف سوى إزالة هذه العقبة الكؤود من طريق تقدم الجيش الإسرائيلي لغزو "سيناء".

- فتح ثغرة في أخطر المناطق الاستراتيجية الحاكمة، منها " العريش" بالأساليب المبتكرة، مثل تخصيص أحد ألوية الاحتياط المسماه بألوية الشورية، والتي تتألف من المدنيين... " شكل بلا مضمون "، حسب المثل " سميني حلة ولا تضعني على النار" للدفاع عنها، وتسمح هذه الثغرة بعبور المدرعات الإسرائيلية إلى " النصب التذكاري" النقطة الاستراتيجية الحاكمة، والتي أخليت أيضًا من القوات المصرية، بهدف قطع طريق إمداد وتحرك الفرقة السابعة، وبالتالي عزلها وتدميرها... كذلك تسمح بتحرك المدرعات الإسرائيلية على المحور الشمالي الذي أخلته " شلة المشير" أيضًا من القوات المصرية.

خط المضايق " الممرات" ويرتكز عليه النطاق الدفاعي الثاني:

أهم وأخطر الدعائم الثلاثة، وأحد أقوى الموانع الطبيعية في العالم، يعزل جميع الطرق والمحاورالواصلة بين إسرائيل وقناة السويس، إلا من فتحات خمسة يمكن الدفاع عنها بمنتهى البساطة واليسر وبأقل قوات، وقد استند عليه " النطاق الدفاعي الثاني" بالخطة " قاهر" التي خصصت له فرقة مشاه مدعمة علاوة على الفرقة الرابعة مدرعة التي كانت على أعلى درجة من الكفاءة القتالية – كانت احتياط عام القيادة العليا.

أما عما قامت به " شلة المشير" فقد دفعت لواءين احتياط " شورية" – وهما لواءين من المدنيين العزل كما سبق أن وضحنا – للدفاع عن خط الممرات بدلاً من القوات التي كانت مخصصة لهذه المهمة حسب الخطة " قاهر"... وبالتالي أصبح أخطر وأهم خط استراتيجي بصورة مطلقة في "سيناء" خال من القوات المصرية المقاتلة النظامية، وهو ما يعني صراحة تسليم الخط للجيش الإسرائيلي، ليقوم بغلق الممرات الخمسة، وبالتالي عزل الجيش المصري شرقًا ليسقط في يدها!.

المحور الأوسط " المجهود الرئيسي لقواتنا ":

" المحور الرئيسي للحرب " أحد الدعائم الثلاثة باعتباره المحور المناسب – ولا أقول الوحيد – الذي يتحتم أن تتحرك عليه كافة التشكيلات الرئيسية للجيوش

بكل أسلحتها وعتادها من جهة إسرائيل حتى يكون تحديد هذا المحور كاتجاه لهجوم العدو الإسرائيلي الرئيسي المتوقع في الخطة " قاهر" أمرًا لا بديل له بالإجماع وبلا نزاع وبصورة مطلقة. يؤيده العلم العسكري والجغرافيا والتاريخ... ليتحدد تبعًا له " المجهود الرئيسي لقواتنا " على هذا المحور.

وقد قامت " شلة المشير" بتغيير "المجهود الرئيسي لقواتنا" ليكون على المحور الجنوبي بدلاً من " المحور المتوسط "!!... وذلك بالاستناد على تقارير مخابراتيه مشكوك فيها لعدم استنادها على مصادر موثوق فيها، علاوة على تناقض معلومات تلك التقارير مع العلم والجغرافيا والتاريخ ومع كل ما أجمع عليه أساتذة التكتيك والاستراتيجية المصريين.

أما وأن، الخطة " قاهر" لم يعد لها أي وجود مع تحطيم دعائمها الثلاثة... فإن الخطة التي نفذناها فعلاً في حرب ٦٧ – هي تلك التي حددتها أوضاع قواتنا ووسائلنا الحربية على أرض الواقع " بسيناء" قبل لحظة اندلاع الحرب.

تعالى إذن، نتعرف على الخطوط الأساسية لتلك الخطة لنستنتج فكرتها الفلسفية من خلال أوضاع قواتنا ووسائلنا الحربية على أرض مسرح عمليات "سيناء" في فجر ٥ يونيو "حزيران" ١٩٦٧.

- خط الدفاع الرئيسي: تم تخريبه تمامًا... وفتحت به ثغرة في مدينة العريش.
- خط المضايق " الممرات ": أخلي من القوات النظامية المقاتلة.
- المحور الشمالي: المحور الثانوي أخلي من القوات النظامية المقاتلة.
- المحور الأوسط: " محور الحرب الرئيسي" خالي من القوات النظامية المقاتلة.
- المحور الجنوبي: " المحور الثانوي البعيد تمامًا عن مسرح الحرب" ترتكز عليه أغلب قوات الجيش النظامية المقاتلة.

إذن، نستطيع أن نستنتج من هذه الخطوط الفكرة الفلسفية للخطة العسكرية التي وضعها ونفذها "الجنرالات" في حرب ٦٧، و التي هي بالفعل تحقق أهداف الخطة " ثعبان" وذلك كالآتي: -

- تسهيل اختراق الجيش الإسرائيلي لخط الدفاع الرئيسي عند حدود مصر الشرقية.
- تسهيل استيلاء الجيش الإسرائيلي على مدينة " العريش" عند بدء المعركة وبالتالي سقوط أكبر قاعدة إدارية للجيش المصري، وكذلك تسهيل استيلاء

الجيش الإسرائيلي على النقطة الاستراتيجية الحاكمة " النصب التذكاري" لعزل وتدمير "الفرقة السابعة مشاة".

- تسهيل تحرك الجيش الإسرائيلي على المحور الشمالي، حتى وإن كان لا يستوعب سوى قوة صغيرة، فإن تأثيرها المعنوي شديد على قواتنا المقاتلة.
- تسهيل تحرك وانطلاق الجيش الإسرائيلي بأقصى سرعة على المحور الأوسط، حتى يصل إلى خط المضايق " الممرات".
- تسهيل استيلاء الجيش الإسرائيلي على خط المضايق "الممرات"، وتمكينه من إغلاقه الممرات الخمسة والتي هي بمثابة أبواب الحياة للجيش المصرى... وبالتالي عزل الجيش المصري – ا الموجود أغلبه على المحور الجنوبي بعيدًا عن مسرح الحربا – شرق الحائط الغربي الجبلي، ليسقط أسيرًا داخل الصندوق الجبلي في يد الجيش الإسرائيلي.

ج- إعلان " التعبئة العامة " للجيش المصري لحرب ٦٧:

أصدرت "القيادة العليا" – "شلة المشير" – قرارات وتعليمات باعتبارهما منبثقتان من خطة "التعبئة العامة" المعتمدة من الحكومة المصرية، الملحقة بالخطة "قاهر"، ولكن – مع الأسف – اتضح أن تلك "القرارات والتعليمات" ليست فقط لا تمت بأي صلة لتلك الخطة الأصلية... ولكن أيضًا شكلت "خطة تعبئة" أخرى، يتركز مضمون فكرتها الفلسفية في: "إغراق الجيش المصري في بحر من الأفراد المدنيين، الذين لم ينالوا أي قسط من التدريب العسكري"... تحت الدعوى المضللة والفاجرة: "استكمال النقص في أفراد الوحدات و زيادة عدد الوحدات العسكرية"، وقد وضعت " شلة المشير" آلية لضمان وصول الأفراد الاحتياط المستدعين إلى الجيش المصري في حالتهم المدنية، ودون أن ينالوا أي قسط من التدريب العسكري بالآتي:

إلغاء مراكز تدريب الأساسات:

بالطبع يترتب على ذلك وصول الأفراد المدنيين المستدعين من الحياة المدنية إلى الوحدات العسكرية مباشرة بحالتهم المدنية، لا يعرفون أي شيء عن تلك المعركة التي أقحموا فيها ولا عن السلاح المخصص لهم في الحرب، وذلك لعدم إتاحة الفرصة والوقت لتدريبهم في وحداتهم في تلك الظروف، وطالما أنهم التحقوا بالوحدات وهي منذرة بالتحرك إلى "سيناء" للحرب!!... وقد تعدى المضمون المدى لهؤلاء الأفراد إلى الشكل والهيئة أيضًا، حين لم تجد بعض الوحدات ملابس عسكرية لهم لارتدائها... فظلوا يرتدون الملابس المدنية مثل الجلاليب للفلاحين.

استدعاء الأفراد الاحتياط فيما قبل حرب ١٩٥٦:

هناك حد زمني فاصل لحالة الجيش المصري قبل حرب ١٩٥٦ وبعده، حيث تغيرت كل أركان ومقومات الجيش المصري مع تغير المهمة الموكولة إليه بعد الاستقلال، وتوجه مصر إلى الكتلة السوفيتية ؛ لإنشاء جيش على أعلى مستوى في القوة والتحضر... وتبعًا لذلك يكون استدعاء " الاحتياط " فيم قبل حرب ١٩٥٦ لا معنى له ؛ سوى استدعاء مدنيين – كانوا يخدمون بالجيش حينما لم يكن دوره يتعدى معاونة " الشرطة المدنية " في حفظ الأمن، ذلك باعتبار أن التغيير الذي حدث، كان تغييرًا جذريًا ، هذا علاوة على أن أفراد هذه الدفعات – أكبر سنًا مما ينبغي، وبما لا يتفق مع الكفاءة المطلوبة.

وقامت "شلة المشير" لتحقيق فكرتهم الفلسفية لخطة "التعبئة العامة" الجديدة وهي: "إغراق الجيش المصري بالأفراد المدنيين وبما يؤثر سلبًا على كفاءته القتالية" ، وذلك من خلال صور متعددة مثل تشكيل وحدات عسكرية جديدة قبل الحرب مباشرة وبما لا يزيد عن أسبوعين.

بالإضافة إلى أن إلغاء مراكز تدريب الأساسات – سلفًا – كان الضمان الأكيد لعدم تلقي هؤلاء الأفراد أي قسط من التدريب العسكري على القتال، و قد تمثلت هذه الصور في الآتي:

تشكيل "لواءات الشورية":

تعدت خطة "التعبئة العامة" الجديدة الهدف التقليدي منها؛ إلى التعرض للهيكل التركيبي للوحدات العسكرية المقاتلة... وذلك بتفكيك بعض الوحدات النظامية المقاتلة، تحت دعوى "زيادة عدد الوحدات العسكرية"... تلك الدعوى التي ذكرها المارشال "الحديدي" في مذكراته، والتي لا تحمل أي مضمون سوى تفكيك وتدمير تلك الوحدات في أوضح صورة... ليس فقط لأنه أصبح عدد الأفراد المدنيين الذين لم يحصلوا على أي قسط من التدريب العسكري بهذه الوحدات ضعف عدد المقاتلين، ولا أيضًا لأن الفرد المدني يشكل حمل ثقيل على الفرد المقاتل، كما يقول "هتلر": "الجندي الغير مدرب في حاجة إلى أربع جنود لحمايته"؛ ولكنه أيضًا لأن تلك الوحدات أصبحت بالفعل وحدات مدنية، ليس لها أي صفة عسكرية، لاعتبارات أهمها: عدم تشكيل هذه الوحدات في مجموعات عمل متكاملة، وكذلك عدم تلقيها أي قسط من التدريب الجماعي القتالي للوصول بها إلى أي مستوى من الكفاءة القتالية. يجعل منها بالفعل وحدات عسكرية، حتى أنه يعتبر

تشكيل هذه الألوية بهذه الصورة: "جريمة عسكرية كاملة"، وقد ارتكبت "شلة المشير" هذه الجريمة بعد تشكيلها "للقيادة العليا"، وهو ما أتاح لها تخطي الأجهزة الرقابية "بهيئة الأركان" التي كان من المستحيل أن تسمح لها بمثل هذا التخريب.

إنشاء تشكيلات جديدة كل أفرادها من المجندين المستجدين:

ومع إلغاء "مراكز تدريب الأساسات"... ومع وجود نقص شديد في ضباط الصف علاوة على نقص أخطر في عدد الضباط والقادة ؛ يمكنك أن تتخيل ما يمكن أن تكون عليه الكفاءة القتالية لمثل هذه الوحدات... التي لا يمكن أن نصفها بالعسكرية، طالما لم يتلقى جميع أفرادها المجندين المستجدين أي قسط من التدريب العسكري، وبالتالي نستطيع أن نستنتج هدف "شلة المشير" من تشكيل هذه " التشكيلات غير العسكرية!!.. والذي في سياق تحقيق الخطة "ثعبان" .

٥- مرحلة "الحرب الفعلية"... "تحليل ونقد":

في ظل مبدأ جنرالات "شلة المشير" السائد: "العمل خلاف القول"... فإن التحليل والتقييم الموضوعي لسير معارك حرب ٦٧ ، يجب أن يكون من خلال تحليل وتقييم الخطة العسكرية التي نفذت فعلاً في الحرب، والتى تحقق أهداف الخطة "ثعبان"، بدلاً من الخطة "قاهر" المعلنة "كشعارات" خادعة لتضليل الرأي العام المصري.

أما وأن الخطة "ثعبان" تهدف إلى تدمير وسحق الجيش المصري، وإسقاط "سيناء" في يد الأعداء الصهاينة.

أما وأن الفكرة الفلسفية لهذه "الخطة" تتمحور حول تهيئة وحدات الجيش المصري في ظروف وأوضاع تسمح بتمكين الأعداء من رقابهم... فإن تلك الخطة في المضمون الأخير ؛ لا تزيد عن خطة لإجراء سلسلة من المذابح الجماعية المتتالية لأفراد الجيش المصري، وهو الأمر الذي يفصل جذريًا بين تلك الخطة وأي خطة وطنية تقليدية أخرى. ففي حين أن هدف أي خطة دفاعية تقليدية هو: الدفاع عن أرض الوطن وتدمير وسحق جيش الأعداء ؛ نجد أن هدف تلك "الخطة" هو نفس هدف خطة الأعداء... فيكون التقاء الخطتان – الخطة " ثعبان" وخطة الأعداء – في هدف واحد مشترك، هو السبب الحاسم والقاطع في إنهاء المعركة في زمني خيالي لا يصدقه عقل، ليصنعا معًا تلك الأسطورة الوهمية بأن جيش إسرائيل لا يهزم!!... طالما أخفى على الرأي العام حقيقة الخطة "ثعبان" بكل ما تضمنته من تأثير فاعل وحاسم على نتيجة المعركة.

من المناسب والأفضل أن نعرض سير المعارك لحرب ٦٧ في صورتها التجريدية أو بخصلتها المميزة وخصوصيتها التي عرفت بها، وميزتها عن سائر الحروب الأخرى؛ ألا وهي: أنها سلسلة من المذابح التي أعدها جنرالات "شلة المشير" للجيش المصري.

وإذا كان التخطيط لإقامة أي مذبحة في أي معركة حربية يعتمد على التوصل إلى نقاط الضعف الموجودة في النظام الدفاعي الذي ترتكز عليه تلك القوة العسكرية المطلوب إبادتها، وإعمال السيف فيها – [حيث توضع الخطة العسكرية المناسبة لاختراق ذلك النظام الدفاعي، من خلال نقاط الضعف هذه... حتى يكون إبادة تلك القوة وإعمال السيف فيها تبعًا لانهيار وسقوط النظام الدفاعي الذي ترتكز عليه] – فإن تخطيط جنرالات "شلة المشير" لإقامة المذابح للجيش المصري وإعمال السيف فيه ؛ لم يعتمد على نقاط الضعف بالنظام الدفاعي، لخطة "قاهر" بقدر ما اعتمد على صناعة نقاط ضعف قاتلة لم تكن موجودة فى الخطة الأصلية.

وقد تناسقت تلك المذابح مع بعضها في سياق متكامل... حيث تؤثر كل مذبحة على المذبحة التي تليها، كسبب ونتيجة... حيث صنعت في مجموعها منظومة متكاملة، هي منظومة خطة الحرب التـي وضعها جنرالات "شلة المشير" لإبادة الجيش المصري في حرب ٦٧.

وتتلخص أحداث سير معارك حرب ٦٧ في المذابح الآتية:

مذبحة وحدات "نطاق الأمن":

اعتمد جنرالات " شلة المشير" في التخطيط لإبادة وحدات "نطاق الأمن" المصري على دراسة طبيعة عمل تلك الوحدات الصغيرة – [والتي تتشكل من مجموعات أفراد من ذوى التسليح الخفيف الذي لا يتعدى البندقية، والتي تنتشر على مسافات شاسعة، بين خط الحدود المصرية وخط الدفاع الرئيسي] – والتي يعتمد وجودها كليًا على حماية القوات الرئيسية، حيث تقوم بمعاونتها في الارتداد إلى داخل خط الدفاع الرئيسي بمجرد تأديتها لواجبها في الإنذار والتبليغ بتقدم العدو وبدء هجومه.

أما الفكرة الفلسفية لخطة المذبحة فتكمن في قطع الاتصال بين وحدات "نطاق الأمن" والقوات الرئيسية، وبالتالي تسقط هذه الوحدات تلقائيًا، باعتبار أن وجودها يعتمد كليًا على حماية القوات الرئيسية... حيث تتفرد بها مدرعات العدو... وبالفعل وضعت الخطة التي تتلخص في تغيير سلسلة الإنذار والتبليغ لنظام الإنذار "لنطاق الأمن" فبدلاً من أن تبدأ سلسلة الإنذار بتبليغ وحدات "نطاق الأمن" القوات

الرئيسية الأقرب لها مباشرة... أصبحت تبدأ بتبليغ "مكتب مخابرات العريش"، الذي يبلغ بدوره "مكتب ابن بدران" حيث تنتهي بلاغات الإنذار في أدراج ذلك المكتب اللعين.

مذبحة القوات الجوية:

لم يكن التخطيط لتحقيق "المفاجأة" لإسرائيل كاف لها ؛ كي تنجح في تدمير القوات الجوية المصرية تدميرًا شاملاً.

ففي حين أن "المفاجأة" لا يمكنها تحقيق نسبة تدمير تتعدى – ١٠ - ١٥٪ من جملة طائرات القوات الجوية المصرية – [طبقًا للمعدلات العالمية التي حددتها وأثبتتها المراكز العلمية الاستراتيجية العسكرية العالمية] – فإنه تظل الغالبية العظمى لطائرات القوات الجوية المصرية في حالة سليمة... وهو الأمر الذي كشف عن أن الزيادة والمبالغة والتهويل في تأثير "المفاجأة" كان بهدف التغطية على تلك الأسباب الأخرى القاتلة، التي حتمت تلك النتيجة البشعة... هذا بصرف النظر عن أن تحقيق "المفاجأة" نفسها كان بتواطؤ من قيادة القوات الجوية.

وقضية مذبحة "القوات الجوية"، كانت ولا تزال من قضايا الرأي العام المصري، التي اعتبرت في يوم ما المسئولة عن نتيجة معركة ٦٧ وأحداث الكارثة... حتى تكون هي في نفسها كارثة.

وطالما أن هذه القضية لها ملف ضخم... وأن من أهم مشتملاته تلك المحاكمة التي أدانت الفريق أ. صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي وكذلك رئيس أركانه الفريق أ. جمال عفيفي، وكانت قد ضمت تلك المحاكمة أيضًا محاكمة اللواء الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة... وحيث أصدرت أحكامًا هزيلة – [بسبب انحياز رئيس المحكمة الفريق " الحديدي" باعتبارهم جميعًا من " شلة المشير"] – وهو الأمر الذي أثار غضب الرأي العام المصري، فخرجت الجماهير المصرية الغاضبة في أقوى مظاهرات عرفتها مصر، تندد بهذه الأحكام التي لا تتناسب مع جرمها... تصرخ من أعماقها في هتافها التاريخي: " لا صدقي... ولا الغول... عبد الناصر هو المسئول ".

لذلك نرى استبعاد نقد وتحليل " قضية مذبحة الطيران المصري"، لحين السماح بنشر تفاصيل تلك المحاكمة...

مذبحة الفرقة السابعة مشاة:

الفكرة الفلسفية لخطة تلك المذبحة في وضع الفرقة السابعة مشاه في مكان يتحكم فيه مضيق أو ممر حاكم ؛ تسقط الفرقة بأكملها تبعا لسقوط هذا الممر أو المضيق في يد الأعداء. وبالفعل وضع جنرالات " شلة المشير" خطتهم لمذبحة الفرقة السابعة مشاه باختيار منطقة "رفح" لتمركز الفرقة قبل الحرب بأيام قليلة، وهي منطقة مفتوحة "سداح مداح"، لا يوجد بها أي هيئات طبوغرافية يمكن أن تستند عليها الفرقة في عمل أي مواقع دفاعية، على أن المنطقة يتحكم فيها ممر حاكم هو: نقطة "النصب التذكاري" الذي تم إخلائه من القوات المصرية، كذلك تم فتح ثغرة في " العريش" حتى يتمكن جيش الأعداء من عبور المنطقة لتسهيل وصوله إلى نقطة " النصب التذكاري"، وبالتالي سقطت الفرقة السابعة مشاه بمجرد استيلاء العدو على نقطة النصب التذكاري.

مذبحة المحور الشمالي:

اعتمدت الفكرة الفلسفية لهذه المذبحة، على تحريك بعض القوات النظامية المصرية نهارًا تحت سيطرة العدو الجوية، وكأنك تقدم لطائرات العدو وجبة شهية، أو فريسة سهلة... وهو ما يخالف مبادئ التكتيك وقواعد الحرب، التي لا يسمح بتحريك القوات إلا ليلاً فقط تحت ستر الظلام، وذلك للضرورة مثل اتخاذ مواقع دفاعية أفضل وليس للهجوم.

وبهذه الفكرة قام الفريق صلاح محسن بعمل ثلاث مذابح متتالية... الأولى بدفع اللواء ١٤ مدرع ومعه كتيبة مشاه، والثانية بدفع مجموعة حوالي لواء مدرع من قوة "عثمان نصار"، والثالثة بدفع قوة مكونة من: " كتبة دبابات + كتيبة صاعقة + سرية استطلاع "، وذلك تحت مبرر إيقاف تقدم مجموعة مدرعات العدو الـ ١٨ مدرعة على المحور الشمالي، والمبرر مرفوض شكلاً وموضوعًا، وذلك لإمكانية تحريكه هذه القوات ليلاً – أي ليلة نفس اليوم – مع اعتبار أن توقع تقدم تلك المجموعة المدرعة للعدو هو أمر لا يمكن أن يغيب عن فكره أثناء إدارته للمعركة وفي ظروف خلو المحور الشمالي من القوات المصرية.

المذبحة الكبرى:

هي المذبحة التي نفذت في أغلب وحدات الجيش المصري، وبالتالي فهي المذبحة الأساسية الكبرى والشاملة، التي لها الاعتبار الأول في سلسلة المذابح التي أنهت بالطبع معركة ٦٧.

والفكرة الفلسفية فيها نبعت من لعبــة "نابليون" في "الشطرنج" وهي الاختراق السريع "للوزير" في دفاعات الخصم، حتى يصل إلى نقطة حاكمة في عمق دفاعات الخصم ؛ يمكنه منها غلق كل أبواب ومنافذ الحياة على "الملك"... كش "ملك"... مات "الملك" وانتهى الدور بالهزيمة الساحقة.

إلا أن الهزيمة في الحرب ليست كما في الشطرنج، كنتيجة لموت "الملك"، ولكن بموت الجيش... وكانت النقطة الحاكمة التي منها يمكن غلق أبواب ومنافذ الحياة على الجيش المصري في مضايق - "ممرات" - سيناء... وبالتالى وضع جنرالات "شلة المشير" أساس الفكرة الفلسفية لخطة "المذبحة الكبرى" لإبادة الجيش المصري، وذلك فى إخلاء القوات المصرية النظامية من جميع الخطوط والمواقع الدفاعية، كى يضمنوا لجيش الأعداء الإنطلاق والتحرك للوصول بسرعة فائقة إلى خط الممرات، وهو ما يعنى فى المضمون الأخير: "تخريب وتدمير ثوابت الدفاع الاستراتيجية المقدسة عن أرض "مصر" كما أقرتها الخطة "قاهر" كالآتي:

- خط الدفاع الرئيسي "القاعدة الأستراتيجية الحقيقية للدفاع عن مصر".
- المحور الأوسط "محور الحرب الرئيسي".
- خط المضايق "الممرات"... خط الموت. معقل "سيناء" ومفتاحها الحاكم.

وبذلك مكنوا لجيش الأعداء عبور خطوط الدفاعات المصرية، الخالية من القوات المصرية والتحرك بسرعة فائقة على المحور الأوسط الخالي أيضًا من القوات المصرية، والوصول إلى خط المضايق "الممرات"، الخالي من القوات المصرية... حتى مكنوهم من غلق المضايق "الممرات"، والتي هي أبواب ومنافذ الحياة للجيش المصري... كش ملك "... مات الجيش المصري... ومات معه أيضا زعيم الأمة جمال عبدالناصر... لترحل معه قيم المثل العليا والمعانى الجميلة طالما حلت " الخيانة والغدر والندالة " محل " الوفاء والمروءة والشهامة ".

ويظهر بوضوح وبصورة قاطعة وجازمة تدبير " شلة المشير" لإخلاء "خط الدفاع الرئيسي" وكذلك "خط الممرات".. معًا.. من القوات المصرية النظامية في وقت واحد، في جوهر ومضمون تعليمات "ابن بدران" التي أصدرها إلى "الجنرالات" وقادة الوحدات، لتغيير اتجاه "الانسحاب" إلى القاهرة ؛ بدلاً من تنفيذ قرار الانسحاب الذي أصدره المشير عبد الحكيم عامر، والذي ينص على " الانسحاب إلى شرق وغرب خط الممرات " خلال ثلاث ليال "..

أما تدبير لإخلائهم المحور الأوسط - محور الحرب الرئيسي - من القوات المصرية النظامية فيظهر أيضا بصورة قاطعة جازمة في مضمون التغيرات التي شملت أوضاع كافة القوات المصرية على مسرح العمليات "بسيناء"، والتي أطاحت بالخطوط الرئيسية للخطة " قاهر"، وذلك في المرحلة التحضيرية للحرب وقبل اندلاع الحرب بأيام.

بالغدر والخيانة إذن، أخلى "الجنرالات" مواقع قواتنا الدفاعية الحصينة على خط الدفاع الرئيسي.. كي يعبرها جيش الاعداء بدون أي قتال أو تصادم مع الجيش المصري.

ثم بالغدر والخيانة أيضًا، أخلى "الجنرالات" المحور الأوسط محور الحرب الرئيسي من قواتنا المقاتلة، كي ينطلق جيش الأعداء بأقصى سرعة، ليصل إلى خط الممرات بدون أي قتال أو تصادم مع الجيش المصري.

ثم قمة الخيانة كانت في اخلاء "الجنرالات" خط الممرات، خط الموت، مفتاح سيناء الحاكم من القوات المصرية المقاتلة.. كي يستولى عليه جيش الاعداء، بدون قتال أو تصادم مع الجيش المصري.. بهدف إغلاق فتحات الممرات والتي هي بمثابة أبواب ومنافذ الحياة.. وبالتالي سقط الجيش المصري تحت قبضة جيش الاعداء، في أقذر وأحط وأندل عملية خيانة عرفها التاريخ. حتى وكأن فكرة تلك المذبحة، أقتبست من الموقف الدرامي الأخير لمصرع "أدهم الشرقاوي" في ملحمة التراث الشعبي.. حين نجحت سلطات الأمن المصرية الخاضعة لسلطة الاحتلال البريطاني في الوصول إلى مقر ومكمن " أدهم الشرقاوي" والقضاء عليه، وذلك عن طريق استمالة صديقه الحميم "بدران" الذي كان محل ثقته المطلقة، للغدر به وقتله.. طالما كان يستحيل على أعدائه الوصول إليه في مقره ومكمنه.. وبالمثل نجد أنه كان من المستحيل وصول جيش الأعداء إلى مكمن الجيش المصري في خط الممرات وتدميره، إلا من خلال "الجنرالات" المصريين الذين كانوا محل الثقة المطلقة للجيش المصري، بحكم وظائفهم وهويتهم المصرية.. وهو ما يفسر وجه الغرابة والدهشة التي أصابت الشعب المصري فضلا عن جميع شعوب العالم، في البساطة والسهولة الشديدتين - فضلا عن السرعة الفائقة - في القضاء على الجيش المصري.. ذلك الصرح المهيب، أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط حين سقط في زمن خيالي لا يتعدى ساعات معدودة!.

من أجل ذلك جرمت جميع المجتمعات الإنسانية " الخيانة العظمى" ووضعتها على أعلى قمة الجرائم الإنسانية التي لا تسقط بالتقادم وشرعت لمرتكبيها أقصى وأشد العقوبات.

مذبحة الفرقة الرابعة المدرعة:

كانت الفرقة الرابعة – أقوى تشكيل في الجيش المصري كفاءة وقدرة قتالية – احتياط استراتيجي القيادة العليا في حرب ٦٧، وتأخذ أوامرها مباشرة من القائد العام المشير عبد الحكيم عامر وهيئة العمليات... وكانت مكلفة بالتمركز على خط المضايق "الممرات" للدفاع عنه - مع كونها احتياط عام - إلا أن قائد الفرقة اللواء "الغول" انسحب بفرقته في الساعة ٦ مساء ثاني أيام المعركة يوم ٦٧/٦/٦ إلى القاهرة، بدون أوامر من المشيرعامر أو" هيئة العمليات "... كي يتيح الفرصة لجيش الأعداء للاستيلاء على خط المضايق "الممرات "...

ولما كان تخطيط جنرالات " شلة المشير" يستهدف تدمير وسحق جميع وحدات الجيش المصرى المقاتلة التي يعتد بها، فقد كان ولابد أن يتضمن هذا التخطيط على تدمير الفرقة الرابعة المدرعة والتي هي أكفأ تشكيلات الجيش بلا منازع... حتى تصبح مصر بلا أي قوة عسكرية يعتد بها نهائيًا أمام جيش الأعداء... وبالتالي تتحول هزيمة الجيش المصرى إلى كارثة الكوارث، التي تطيح بالنظام الاشتراكي الناصري، بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر باعتباره فشل في حماية الأمن القومي المصري، وجلب خزى وعار الهزيمة لمصر والمصريين، ووضع "الجنرالات" فكرتهم لتلك المذبحة بالاستفادة من السيطرة الجوية للعدو الإسرائيلي على سماء المعركة... ذلك بعرض مدرعات الفرقة على سيف صواريخ الطيران الإسرائيلي نهارًا، وبالفعل وضعت الخطة بتحريك الفرقة الرابعة مدرعة نهارًا في صباح يوم ١٩٦٧/٦/٨ بعبور قناة السويس إلى خط الممرات... وحيث تم تدمير الفرقة بالكامل الساعة ١١.٤٠ صباح ١٩٦٧/٦/٨... وقد اعترف "الجنرالات" بأنهم كانوا يتوقعون مقدمًا النتيجة، وأن الفرقة ستدمر لا محال!!.

مذبحة الناجين من المذابح:

الفكرة الفلسفية لهذه المذبحة، تكمن في استغلال قناة السويس كمانع صناعي يفصل شبه جزيرة "سيناء" عن باقي أجزاء الوطن المصري... وبالتالي يمكن عزل الجيش المصري داخل "سيناء" عند تدمير جميع الكباري والمعابر المنشأة على قناة السويس.

وكان تحديد توقيت تدمير الكباري والمعابر، هو المحور الأساسي في التخطيط لهذه العملية، حيث لابد وأن يحقق هذا التوقيت الهدف الأساسي من العملية... وهي: " منع عبور جميع أفراد الجيش المصري المنسحبين لقناة السويس بمجرد صدور قرار "الانسحاب" باستثناء جميع "جنرالات" وكذلك القادة من تنظيم " شلة المشير" .

وقد رأت " شلة المشير" أن هذا التوقيت المناسب، يتحدد في اليوم التالي لصدور قرار "الانسحاب"، حيث لا يسمح هذا التوقيت ؛ إلا بإنقاذ جميع "الجنرالات" والقادة من "شلة المشير"، وذلك عند تحركهم بسرعة ـ من مراكز قياداتهم بعمق "سيناء" إلى قناة السويس ـ لعبور القناة بمجرد تلقيهم أمر الانسحاب.... في حين أن الغالبية العظمى من أفراد الجيش المصري لم تزل في حيرة من أمرها، وكيف يمكنها تنفيذ "أمر الانسحاب"... وتبعا لهذا التخطيط الغادر قام "ابن بدران" بإرسال أفراد الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية لتبليغ جميع "الجنرالات" والقادة من تنظيم "شلة المشير" بسرعة عبور قناة السويس.

وفي ظل هذا المخطط القذر والمنحط، لم يعد هناك أي أمل لأفراد الجيش المصرى ؛ حتى لهؤلاء الذين نجحوا في الإفلات من سلسلة المجازر السابقة، من النجاة بحياتهم أو الإفلات من الوقوع في قبضة الأعداء، وهم في تلك الحالة الصحية والنفسية الغاية في السوء والتي تسقطهم أساسًا من عداد المقاتلين.

وعلى كل، تعالى ننظر من زاوية أخرى، ومن رؤية شاملة للقضية، لنجيب على هذا التساؤل الذي يحمل في طياته جوهر ومضمون القضية: كيف ترى وتقيم مسألة تدمير " شلة المشير " لجميع الكباري والمعابر المقامة على قناة السويس في حرب ٦٧ أمام الجيش المصري المنسحب سيرًا على الأقدام من عمق "سيناء" إلى غرب القناة، في أقل من يوم واحد من صدور أمر "الانسحاب"، في حين أنه قد تم نقل هذا الجيش إلى "سيناء" في مدة ٢١ يوم؟.

وفي نفس السياق، لم تـغفل "شلة المشير" عن استثناء معبر "شمال البحيرات" من التدمير، ذلك حتى يتمكنوا من إعادة الفرقة الرابعة مدرعة مرة أخرى إلى "سيناء" حتى يتم تدميرها بواسطة الطيران الإسرائيلي ـ كما أشرنا سابقا ـ هذا مع التخطيط لتدمير هذا المعبر الأخير بمجرد عبور الفرقة الرابعة مدرعة قناة السويس ودخولها "سيناء" وهو ما تم بالفعل في نفس يوم عبور الفرقة إلى "سيناء".

٦- مرحلة تحقيق الغاية السياسية من حرب ٦٧ "تحليل و نقد":

حسب طبائع الأمور، أو طبائع الحروب... وفي سياقها التقليدي، يتم تحيق الهدف أو الغاية السياسية من الحرب، بمجرد إحراز النصر العسكري وتحقيق الهدف العسكري المحدد للحرب، وهو ما تم فعلاً في حرب ٦٧، فمجرد إحراز "الجنرالات الليبراليون" النصر الأسطوري، على جيش الزعيم جمال عبد الناصر الاشتراكي، وتحقيق هدفهم العسكري بتدمير وسحق الجيش المصري وإسقاط سيناء في يد الصهاينة - (وهو الأمر الذي أحدث الكارثة القومية التي أصابت الشعب المصري بالصدمة النفسية الشديدة، والتي هزت بالتالي ثقته المطلقة في كفاءة النظام الاشتراكي الناصري برئاسة الزعيم جمال عبد الناصر) - شرعوا مباشرة في تنفيذ عملية قلب نظام الحكم.

لم يكن فشل "الجنرالات" الليبراليون في عملية قلب نظام الحكم، لتحقيق غايتهم السياسية من الحرب، يعني فشل هزيمة ٦٧ في إحداث ذلك التأثير الفاعل المرجو منها، بمعنى " فشل الفكرة الفلسفية لإشعال حرب وإحراز هزيمة عسكرية مهينه للجيش الوطنى لتفجير كارثة قومية وإلصاقها بالنظام الناصري، بقدر ما أن الفشل جاء بسبب فقد "الجنرالات" السيطرة على الجيش المصري – [حين رفض القادة المصريين الشرفاء التعاون معهم لتنفيذ تلك العملية، طالما أنهم خذلوه سابقًا في الحرب] – وبالتالي لم تجد " شلة المشير" أي أداة أو وسيلة أو آلية تمكنها من تحقيق هدفها – علاوة على التأثير الفاعل القوي للشخصية الكارزمية للزعيم جمال عبد الناصر على مجريات الأحداث الداخلية.

وبالتالي فقد صنعت وفاة "الزعيم" ووصول الرئيس السادات للحكم خلفًا له، المناخ السياسي الملائم، الذي دفع " بالليبراليين" لإعادة الكرة مرة أخرى بإشعال حرب ٦٧ من جديد، وإحراز هزيمة أخرى ل٦٧ ساحقة وأكثر مهانة للشعب المصري من حرب ٦٧ الحقيقية، وذلك من خلال حملة إعلامية "ليبرالية" شرسة، كان تأثيرها الفاعل أقوى عدة مرات من تأثير كل الأسلحة والعتاد والطائرات التي استخدمت في ٥ يونيو "حزيران" ٦٧، طالما أنها نجحت بالفعل في إحراز الهزيمة الساحقة المهينة التي لم تحرزها حرب ٥ يونيو " حزيران " ٦٧... وبالتالى حققت ما لم تحققه الحرب الحقيقية.

ذلك أن الهزيمة في حقيقتها، هي حالة نفسية مؤداها الاقتناع بعدم قدرتنا على تحدي إسرائيل، وأن الجيش المصري لم يكن بالجيش الند أو الكفؤ لذلك الجيش الجبار الذي نجح في تدمير وسحق الجيش المصري في عدة ساعات!!.

استمرت الحملة الإعلامية "الليبرالية" المسعورة لعدة سنوات... حتى نجحت في النهاية من إحراز تلك الهزيمة النفسية داخل الشعب المصري، وبالتالي - كأمر طبيعي - نجحوا في تحقيق الغاية السياسية من تلك الحرب بإعادة النظام "الليبرالي" مرة أخرى بدلاً من النظام الاشتراكي الناصري وإدخال مصر فى حظيرة المعسكر الغربى الامريكى.

أما وأن إلصاق هزيمة ٦٧ المهينة بالنظام الناصري بقيادة الزعيم جمال عبدالناصر هو جوهر فكرة "الليبراليون" الفلسفية من إشعال حرب ٦٧، وذلك لإحداث الكارثة القومية؛ كذريعة مضللة وكاذبة لفرض النظام "الليبرالي" على المصريين بالقهر والقوة، وإرغامهم على التبعية والانقياد للمعسكر الغربى الأمريكى.

أما وأن، "الليبراليون" قد شرعوا بالفعل في إلصاق تلك الهزيمة بالنظام الناصري والزعيم جمال عبد الناصر... حتى أنك لا تجد أي "ليبرالي" يذكر حرب ٦٧ ؛ إلا ويلحقها بالنظام الناصري والزعيم جمال عبد الناصر.

أما وأن "الليبراليون" قد نجحوا في عرض كارثة ٦٧ لتبدو؛ وكأن هناك هزيمة عسكرية قد لحقت بالجيش المصري من جراء حرب فعلية بين جيشنا وجيش الأعداء... ليصنعوا من تلك الصورة المضللة والأكذوبة الفاجرة؛ أسباب موضوعية تبني عليها حجتهم في الانقضاض على النظام الاشتراكي الناصري... حتى يقول (*) د.عبد المنعم سعيد:

"كانت هزيمة ٦٧، هي المطرقة التي نزلت على رأس السياسة الخارجية المصرية، وجعلتها تتحول من المثالية إلى الواقعية، ومن العمل على تحقيق أهداف غير محددة تصعب على القدرات المصرية موافاة مطالبها ؛ إلى أهداف محددة تتوائم معها القدرات المصرية، ويمكن إدراكها".

كيف كانت هزيمة ٦٧ "المطرقة" التي نزلت على رأس الخارجية المصرية...؟!

(*) كتاب حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ٣٠ عامًا للمحرر لطفي الخولي – ص ١٦٧.

ومن الذي صنع تلك "الهزيمة" أو "المطرقة"؟... ومن الذي أدار آليات التأثير السلبي "للهزيمة" لتتحول الى "مطرقة" ؛ ليجعل منها أداة أو وسيلة لتحويل سياسة مصر من المثالية إلى الواقعية... أو من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"؟

أليسوا هم "الليبراليون" و"جنرالاتهم" الذين قادوا الجيش إلى الهزيمة، ليصنعوا تلك الكارثة القومية – التي ينعتها د. عبد المنعم سعيد بالمطرقة – ليحولوا مصر من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"؟

بالقوة والقهر، إذن، فرض "الليبراليون" على الشعب المصري نظامهم الليبرالي... حين يفرض الغالب على المغلوب إرادته، ويرغمه على تنفيذ كل ما يريده.

نعم، أشعل "الليبراليون" حرب ٦٧ النفسيه، وأحرزوا نصرهم الأسطوري... وصنعوا تلك الكارثة القومية، لتكون الأداة والوسيلة – أو المطرقة كما يقول د.عبد المنعم سعيد – ليفرضوا بها إرادتهم على الشعب المصري، ويجبروه على تغيير نظام حياته من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية" أو من المثالية إلى الواقعية.

وفي جميع الأحوال، لسنا مع د.عبد المنعم سعيد، فيما تضمنته عبارته السابقة التي تحمل في طياتها روح الشماته فى نجاح "الليبراليون" فى تدمير الجيش المصرى لتصبح الأداة أو المطرقة لاجبار الشعب المصرى على التحول من "المثالية" إلى "الواقعية"... أو من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية".

أما عما يراه د. عبد المنعم سعيد أيضا في الأهداف التي وضعها الزعيم جمال عبدالناصر من أنها غير محددة وتصعب على القدرات المصرية موافاة مطالبها...

فماذا يقول إذن، عن الزعيم "حسن نصر الله"، الذي تحدى إسرائيل ومعها المعسكر الغربي الأمريكي بأكمله؟!... وظلت ميليشيات "حزب الله" تقاتل ٣٣ يوم في حرب غير متكافئة بكل مقاييس الحرب والقتال، لتحرز في النهاية أعظم انتصار للأمة العربية في العصر الحديث.

ألم يكن الزعيم "حسن نصر الله"، في حربه مع إسرائيل مثاليًا، مثلما كان الزعيم جمال عبد الناصر في حرب ١٩٦٧؟!

أم أن الزعيم "حسن نصرالله" كان يطلب أهدافًا محددة وسهلة المنال وفي استطاعة القدرات "اللبنانية"، حين تحدى الولايات المتحدة، وحطم مشروعها الاستراتيجي الاستعماري لإقامة الشرق الأوسط الجديد، من بوابة "لبنان"... في حين

أن الزعيم جمال عبد الناصر كان يطلب نفس الأهداف حين تحدى الولايات المتحدة، وحطم مشروعاتها الاستعمارية داخل المنطقة العربية؟!

وما هو في تقديرك، العنصر الفاعل والحاسم والفارق في ظروف وأوضاع موقفي كلا الزعيمين: "جمال عبد الناصر" و"حسن نصر الله"، كي ينهزم الأول هزيمة ساحقة ماحقة مهينة، وينتصر الثاني انتصارًا عزيزًا كريمًا رائعًا؟!

أليس العنصر الفاعل والحاسم والفارق، الذي صنع هزيمة ٦٧ الساحقة للزعيم جمال عبد الناصر والنصر العزيز للزعيم "حسن نصر الله" كان في أمر واضح تمام الوضوح، يتجلى في عدم تسليم "حسن نصر الله" قيادة جيشه لجنرالات "ليبراليون" لا ينتمون بالولاء للوطن العربي ولا للثقافة العربية... وحيث سلم زمام ميليشياته العسكرية إلى قادة " لبنانيون" وطنيون، كل غايتهم تحقيق النصر للشعب العربي اللبناني أو الاستشهاد في سبيل الله.

فهل نحتاج إلى مثل آخر... والزعيم الإيراني " الأحمدي نجاد"، الذي ما برح يتحدى الولايات المتحدة ومعها جميع الدول الأوربية، باستمراره في برنامجه النووي لتخصيب اليورانيوم.

هل كان ذلك الزعيم الإيراني مثاليًا أم واقعيًا؟!...

وهل كان يطلب أهداف محددة، وسهلة المنال وفي استطاعة القدرات الإيرانية ؟!.

لماذا نجح الزعيم الأحمدي نجاد في فرض إرادة الأمة الإيرانية على الولايات المتحدة ودول أوربا ؛ لتظل " إيران" دولة لها السيادة الكاملة... غير تابعة بأي لون من ألوان التبعية لأي معسكر؟...

يأتي نفس الجواب، الذي أجابت عليه " لبنان "... ولكن في صياغة مختلفة، حين قامت الثورة الإيرانية، بإعدام جميع "جنرالات" و ضباط الجيش الإيراني "الليبراليون"، الذين يدينون بالولاء والانتماء لنظام الحكم الملكي الليبرالي الفاسد السابق... رميًا بالرصاص... لتتطهر أرض إيران من فسادهم ومن كل الجرائم التي ارتكبوها في عهد "الشاه" رضا بهلوي ملك إيران السابق، ولتضمن الاستقرار السياسي داخل الدولة ولتأمين وحماية الأمن القومي الإيراني.

لم تكن إذن، هزيمة ٦٧ "المطرقة" التي نزلت على رأس الشعب المصري لتحدث له "ارتجاج في المخ" لتؤثر في سلامة تفكيره فيختلط عليه الأمر بين ما هو

صحيح وخطأ، حتى ينقلب من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"، بقدر ما إنها كانت الخنجر المسموم الذي طعن به "الليبراليون" الشعب المصري في ظهره، لإجباره بالقهر والقوة على تغيير ولائه من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"... لتظل هزيمة ٦٧ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وصمة العار والخسة النذالة في جبين "الليبرالية" و"الليبراليون".

الفصل الخامس عشر

كيف نفسر لغز انتحار المشير عبد الحكيم عامر

« من صاحب الأشرار وهو يعلم
بحالهم كان أذاه على نفسه »

من كتاب كليلة ودمنة

١- ملخص قصة حادث وفاة المشير عبد الحكيم عامر:

توفى المشير عبد الحكيم عامر في استراحة بالمريوطية - كان قد وُضع بها تحت الحراسة - في الساعة ٧ مساءً يوم ٦٧/٩/١٤ في ظروف غامضة، أثر تناوله عصير جوافة، وقد ظل يتقيئ لعدة ساعات قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث أعلن عن انتحاره، وبالرغم من أن التحقيقات الرسمية أثبتت أمر الانتحار ؛ إلا أن الشكوك دارت حول احتمال أن يكون قُتل مسمومًا، ذلك أن أي تحقيق يجري في أي قضية يعتمد على الأدلة والبراهين التي توفرت لها، والتي تفرض أحكامها على المحققين، حتى تظهر أدلة وبراهين أخرى لم تكن معروفة، قد تدعو لإعادة النظر في التحقيق في القضية مرة أخرى.

هذا مع الاعتبار بأن مسألة "الانتحار" من المسائل الغير شائعة في المجتمع المصري أو العربي، ذلك أن الثقافة العربية الإسلامية ترفض هذا الأمر، مهما كانت الضغوط النفسية والعصبية وتعتبرها من أقبح الجرائم في حق البشرية.

كتب د.عبد العظيم رمضان [١٥] في كتابه "تحطيم الآلهة" إلى ما يثير لشبهة تورط المخابرات العامة ومديرها "صلاح نصر" في هذا الحادث... حيث ذكر أن تقرير المعاينة الرسمي لفحص جثة المشير عامر، ذكر وجود شريط لاصق أسفل جدار البطن، أسفله وجدت عبوة تحتوي على ١٥٠ جرام من المادة السامة "الأكونيثين" والتي استخلص التقرير الشرعي بأنها سبب الوفاة... وأنه يكفي جرام واحد فقط منها لقتل الإنسان.

وذكر أن تقرير النيابة العامة أثبت أن مصدر هذه الكمية هي المخابرات العامة بناءً على تحقيق أجراه "أمين هويدي" المشرف على إدارة المخابرات بعد خروج "صلاح نصر"... وأثبت فيه أن "صلاح نصر" استلم ٦٠٠ جرام من هذه المادة مقسمة على ٦ عبوات بالتساوي بكل منها ١٥٠ جرام يوم ١٠ أبريل ٦٧ وأن أحد هذه العبوات الستة وجدت على جثمان المشيرعامر... وقد اعترف "صلاح نصر" أمام النيابة العامة

باستلامه المادة السامة وأنه وضعها في مكتبه وظلت بحالتها إلى أن مرض في ١٣ يوليو ٦٧ وأعفي من منصبه ٣١ أغسطس ٦٧.

ولما قد ثبت أن الوفاة قد حدثت نتيجة للتسمم، فإنه سواء جاء هذا السم فى محتويات عصير الجوافة الذى قد تناوله،أو بتأثير عبوة مادة"الأكونيثين" السامة التى قد وجدت أسفل شريط لاصق على جدار بطن المشير، ......

فإن الأمر فى الحالتين يؤكد أنها جريمة قتل وليست انتحار،ذلك باعتبار أن المشير عامر كان تحت الحراسة المشددة،والتى لم تكن تسمح له بحرية الحصول على أى شئ سواء كان مسموم أوغير ذلك .... فضلًا عن أنه يؤكد مسئولية الجهة المنوطة بحراسة المشير ـ وهى القوات المسلحة ـ على هذه الجريمة،وذلك طبقًا للقاعدة: "بأن من يقيِّد حرية إنسان يعتبر مسئولا عن الحفاظ على حياته"

وطالما أن هذه الجريمة قد نُفذت تحت مسئولية وسيطرة وأعين قيادات الجيش المصرى التي كانت تتحفظ على القائد العام المستقيل المشير عبد الحكيم عامر ..... فإنه ولابد أن نضع هذه الجريمة داخل منهج البحث للخطة "ثعبان" لنرى فيما إذا ما كانت تتوافق مع تلك الخطة أم لا؟ ..... على أن يوضع هذا الحدث أو هذه الجريمة ضمن آخر مرحلة من مراحل الخطة "ثعبان" وهى: مرحلة تحقيق الغاية السياسية "محاولة قلب نظام الحكم"

- كتب الدكتور ثروت عكاشة في مذكراته [١٦]:

« في ساعة متأخرة من ليلة الخميس ٨ يونيو "حزيران" - رابع أيام الحرب – اتصل بي المرحوم "صلاح نصر" مدير المخابرات العامة تليفونيا ليبلغني أن "عبد الحكيم عامر" قد عقد العزم على الانتحار، ورجاني لما يعرفه عما كان بيني وبين "عبد الحكيم" من ود قديم أن أسرع إليه عسى أن أثنيه عما اعتزمه، وسرعان ما غادرت بيتي قاصدًا القيادة العامة للقوات المسلحة حيث كان "عبد الحكيم عامر"، وفي الطريق إليه أخذت أقلّب الرأي، كيف لي أن أقنع رجلا يدفعه شعوره بالمسئولية أن يضع مثل هذا الحد لحياته إثر تلك الهزيمة، ورحت أراود نفسي.. هل أثنيه عما سيفعل استجابة لعاطفة الود؟... أم أدعه يمضي فيما هم به استجابة لما يمليه عليه ضميره؟... ولكن جانب العاطفة كان الأغلب، فمضيت إليه وحين بلغت مقر القيادة العامة – وكنا عندئذ في منتصف الليل – لقيت "صلاح نصر" هناك ، فلفني وإياه صمت الذهول، وبقينا كذلك لحظات تثقل علينا فيها خطى الدقائق وكأنها أقدام سنوات هرمة، وفيما نحن كذلك

إذا الباب يُفتح فجأة، وإذا وزير الحربية "شمس بدران" يواجهنا، ثم يباغتنا بقوله ونحن في هذا الوجوم الحزين – وأحب هنا أن أسجّل عبارته كما وردت على لسانه حتى لا أحملّها غير مدلولها – " أما أتخمينا حتة خمة! " . لم تُحرّك تلك العبارة منا ساكنًا، فلقد كانت النكبة تغمرنا وتلجم ألسنتنا. وحين لم يجد منا من يرد عليه مضى فأضاف – وهنا أحب أن أسجل أيضًا عبارته التي جاءت على لسانه – قائلاً: " لم أنتم هكذا حزانى، هل أنتم في مأتم؟... أأطلب لكم قهوة سادة!". وإني أترك للقارئ الحكم على هذا المنطق».

- **ويقول شمس بدران [١٨]:**

« بعد أن أصدر المشير عامر قرارًا أن يتم الانسحاب، استنتجت أنه يريد أن ينتحر، بعد أن رأى الموقف العسكري بهذه الصورة مثل قادة التاريخ... هانيبال وغيرهم. واتصلت بالرئيس عبد الناصر في منزله، ولم أشأ أن أخبره بأن المشير يريد أن ينتحر، وطلبت منه أن يحضر إلى القيادة لأن الموقف يتطلب ذلك، وقال أنا آجي ليه؟ ... العملية عملية "عبد الحكيم" وهو واخد المسألة كلها. لكن الرئيس عبد الناصر حضر عندما أبلغته خوفي من انتحار المشير».

لم يوضح "صلاح نصر" ولا "ابن بدران" كيف استنتجا نيّة المشير عامر للانتحار؟... وما هي الأدلة والبراهين التى استندا عليها، أما ما ذكره "ابن بدران" من أن انتحار المشير عامر كان أسوة بالقائد التاريخي "هانيبال" وهو من قادة التاريخ في عصور ما قبل الميلاد، وما قبل الإمبراطورية الرومانية، أمر يثير الشك، طالما لم يذكر الدوافع أو الأسباب أو الظروف المشتركة بينهما، حتى تكون نهاية المشير عامر هي نفس نهاية "هانيبال"، ذلك أن حالات انتحار القادة العسكريين في تاريخ البشرية جمعاء حالات نادرة لها صفة الخصوصية، علاوة على أنها ترجع إلى الثقافة أو الديانة التي يعتنقها هذا القائد.

فعلى سبيل المثال:

محاربي الساموراي في اليابان، ومنهم طائفة ساتوري Satori شرعت الانتحار كسلوك مشرف للخلاص من العار، وينبع هذا السلوك من الشخص نفسه، وبطريقة القطع المستعرض، وهي طريقة فائقة في المهارة يتم فيها القطع عبر البطن ثم إلى أعلى نحو السرّة، بهدف الموت المؤكّد مع ضمان سلامة الأعضاء الحيوية، على عكس ثقافة المشير عامر الإسلامية التي ترفض فكرة الانتحار. ومن ناحية

أخرى: فإن تأكيد " ابن بدران" على انتحار المشير عامر، وهو ما يتضمن الدعوة إلى غلق ملف التحريات والبحث في هذه القضية، أمر يثير الاستغراب، وذلك باعتبار علاقة الصداقة الحميمة – التي كانت تبدو مع المشير عامر، والتي تلزمه بعكس هذا التصرف، وذلك بالدعوة إلى زيادة التحري والبحث عن أسباب وفاته، حتى يكون في هذا التصرف ما يضاعف من الشكوك حوله.

أما النقطة التي تسترعي كل الاهتمام فهي ارتباط الأحداث ببعضها ارتباطًا وثيقًا لتنسج مع بعضها منظومة متكاملة، لا نستطيع أن نفهم حقيقة أي حدث إلا من خلال فهم محور المنظومة، وهدفها ككل وليس كل حدث بمفرده، كذلك لا يمكننا إسقاط أي حدث أو تغيير مكانه في التسلسل الزمني للأحداث.

فمثلا ارتباط مسألة التخطيط لقتل المشير عامر مع عملية قلب نظام الحكم – [باعتباره مستهدف للعملية لكونه الرجل الثاني في الدولة]- وأنها تأتي قبل عملية قلب نظام الحكم مباشرة، وذلك في اليوم الرابع للمعركة مباشرة.

ثم لاحظ أن المبادرة المفاجئة التى قام بها عبد الناصر ؛ بعرضه أن يتنازل هو ومعه المشير عامر عن حكم مصر " لابن بدران"، كيف قلبت كل ترتيبات عملية قلب نظام الحكم، حيث حولتها إلى عملية سلمية استوجبت تبعا لها المحافظة على حياة المشيرعامر بدلاً من التخلص منه – [كما كان محددًا في الخطة رابع أيام المعركة يوم ٦٧/٦/٨، كما يُفهم من قصة الدكتور ثروت عكاشة وكذلك من أقوال "ابن بدران" التى أشرنا إليها] – ذلك لحين إتمام إجراءات وصول "ابن بدران" للحكم حتى لا تسبب وفاة المشيرعامر المفاجئة عرقلة هذه الإجراءات.

٢- هل هناك دوافع للتخلص من المشير عبد الحكيم عامر؟

أما وأننا قد أقررنا بحكم المنطق وقواعد التفكير السليم ،باسقاط نتائج التحقيقات الرسمية، والتى تثبت أمر "الانتحار" .... وذلك باعتبار أن هذه التحقيقات أجريت تحت تأثير نفوذ وسلطان "الجنرالات" ـ "شلة المشير" ـ الذين كانوا من المفترض أن يكونوا فى موضع الأتهام، بمعنى: أنه لم يتم التحقيق معهم باعتبارهم المسئولين عن ارتكابهم هذه الجريمة ....

أما وأنه، قد كان من الصعوبة ــ بل إستحالة ــ إجراء التحقيق معهم باعتبارهم متهمون بقتل المشير .... أو حتى إجراء أى تحقيق يتصف بالنزاهة، وذلك

سواء: بسبب أنهم مازالوا فى عز قوتهم ونفوذهم وجبروتهم، أو بسبب ظروف "الكارثة" والتى كانت تفرض أحكامها على الدولة وأهمها:

"أن قادة الجيش فى هذه الظروف لهم كل الأهمية والأعتبار أكثر من أى وقت آخر ..... لما يهدد الأمن القومى بوصول جيش الأعداء على قناة السويس، والخوف من استمرار تقدمه إلى الدلتا والقاهرة.

أما وأن، "الجنرالات" قد نجحوا فى إخفاء حقيقة حرب ٦٧ وهزيمتها الساحقة ..... وكيف أنهم تمكنوا من تدمير الجيش المصرى برمته،دون أن يشار إليهم بأى اتهام، بل وأصبحوا فى وقت لاحق ضحايا لتلك الحرب!! فكيف إذن، يتعذر عليهم قتل قائد ذلك الجيش وإخفاء كل الأدلة والخيوط التى توصل إلى معرفة الحقيقة!!

وكما أن "البيراليون" قد نجحوا ـ بالإيحاء والكذب ـ إلصاق هزيمة ٦٧ بكل تبعاتها العسكرية والسياسية فى الزعيم جمال عبد الناصر .... فكيف إذن، يتعذر عليهم الصاق تلك الجريمة أيضًا به .... واعتبارهم إياه الصديق الغادر، الذى تآمر على صديقة وقتله كى يستأثر وينفرد بالسلطة وحكم البلاد .

والأمر بذلك، يفرض إلحاق حادث مصرع المشير عامر ضمن أحداث الحرب ..... وهو بالفعل ما حدا بجميع المؤرخين بسرد هذا الحادث فى أعقاب أحداث حرب ٦٧ مباشرة .

أما إذا، وصفنا هذا الحادث فى الإطار الأشمل والأعم، باعتباره جريمة سياسية ،ذلك أن الحرب هى جزء من السياسة، ولكن بوسائلها المختلفة ... فإنه عند البحث والتحليل في مثل هذه الجرائم السياسية، يجب بحث الدوافع السياسية التي تدعوا للتخلص منه، والتي تجرنا بالتالي إلى تحليل الظروف والأوضاع السياسية السائدة في ذلك الوقت، فإنه باختصار شديد نستطيع أن نضع احتمالين، كل احتمال منها يضع أحد طرف المعادلة السياسية التي كانت تحكم مصر في موضع الاتهام.

٣- دوافع الرئيس عبد الناصر للتخلص من المشير عامر:

أن يقتل أبرز رموز السياسة في أي دولة، فالبديهي والمنطقي أن يوجه الشك والاتهام نحو خصومه السياسيين، الذين لهم مصلحة في التخلص منه وإقصائه عن الساحة السياسية.

وبالتالي فإن أول من يتهم بقتل المشير عامر. هو الزعيم جمال عبد الناصر... طالما أن الصراع بينهما كان السمة الرئيسية لنظام حكم ثورة ١٩٥٢، والذي انتهى قبيل وفاة المشير عامر.

وعلى عكس ما كان يبدو في الظاهر - [من أن طبيعة الصراع بينهما، لا تتعدى التنافس الشخصي على الاستئثار والانفراد بالسلطة] - كانت طبيعة الصراع أخطر وأبعد من ذلك، طالما كان الشكل الظاهري الذي يبدوا للصراع ؛ تتستر وتتخفى وراءه القوة السياسية " الليبرالية " صاحبة النفوذ والتأثير والفاعلية الأقوى سواء في إدارة هذا الصراع أو في إدارة جميع الأحداث السياسية داخل المجتمع المصري.

ونستطيع أن نستخلص بعض النقاط الحاكمة في تفنيد هذا الاتهام كالأتى:

- نجح الزعيم جمال عبد الناصر في القبض على المشير عبد الحكيم عامر، ووضعه تحت الحراسة تمهيداً لمحاكمته. وبالتالي لم يعد في حاجة إلى قتله، طالما لم يعد للمشير عامر أي نفوذ أو تأثير أو فاعلية سياسية أو عسكرية في الدولة.

- واجه الزعيم جمال عبد الناصر عملية قلب نظام الحكم التي تزعمها المشير عبد الحكيم عامر من خلال أجهزة الدولة الشرعية، حيث كلف الفريق أ. محمد فوزي - القائد العام ووزير الحربية، الذي عين خلفاً للمشير عامر - بإنهاء موقف المجموعة المنشقة على نظام الدولة، ومنذ ذلك الحين أصبح المشير عامر تحت تحفظ وحراسة القوات المسلحة وحتى وفاته. وكل الإجراءات التي قام بها الزعيم جمال عبد الناصر تجاه المشير عامر لم تتعدى أو تتجاوز سلطاته كرئيس دولة.

- وطالما أن الزعيم جمال عبد الناصر لم يكن يملك أي نفوذ أو سيطرة على القوات المسلحة - [التي كانت لا تزال تحت سيطرة باقي "الجنرالات" من شلة المشير] - فإنه بالتالي لم يكن يستطيع اختراق أمن القوات المسلحة ليتمكن من قتل المشير عامر الذي كان تحت قبضة وسيطرة جنرالات "شلة المشير".

- كان الزعيم جمال عبد الناصر وأجهزة الدولة التنفيذية، في أشد الحاجة إلى المعلومات التي يعرفها المشيرعامر، سواء عن قضية هزيمة ٦٧، بكل أحداثها وملابساتها وأسبابها والمسئولين عنها، أو عن التنظيم السري " لشلة المشير " في داخل الجيش وخارجه بكل خلاياه المتشعبة في نسيج الدولة، واسماء أخطر أعضائه وعلاقات التنظيم الخارجية، وبالتالي فإن حياة المشيرعامر كانت مرهونة بخطورة المعلومات التي كان يحملها عن تنظيم "شلة المشير" ـ كما يقول المثل: "كان يعرف أكثر مما يجب" ـ والتي كان يخشى أن يحصل عليها الزعيم جمال عبد الناصر فيما لو أن المشيرعامر خرج من تحت قبضتهم وسيطرتهم.
- عندما أبلغ الزعيم جمال عبد الناصر بخبر انتحار المشير عامر، أمر باتخاذ كل الإجراءات القضائية، وأن يتم التحقيق بمعرفة وزير العدل، والنائب العام، والنيابة العامة، ومجموعة كبيرة من الأخصائيين الشرعيين، وهو ما يكشف عن شكوك الزعيم جمال عبد الناصر في أنها جريمة قتل مدبرة بعلم ومسئولية القوات المسلحة، طالما أنه تخطى كل أجهزة التحقيق والقضاء للقوات المسلحة – [المباحث الجنائية العسكرية – النيابة العسكرية – القضاء العسكري]... لعدم اقتناعه بحيادها، وكان من الواجب والمفترض أن تنوط بالقيام بهذه المهمة.

فإذا كان قرار النائب العام الذي صدر قد أثبت "انتحار المشير عامر" فإن علينا ألا ننسى أن هذا القرار مبني على أدلة وبراهين وشهود كانوا تحت السيطرة المطلقة "لشلة المشير"، كل ذلك قبل أن تظهر أدلة وبراهين جديدة قد تؤكد عكس هذه النتيجة.

- شخصية الزعيم جمال عبد الناصر وما يؤمن به من مبادئ وقيم المثل العليا وثقافته العربية والإسلامية، تلزمه بسلوكيات محددة نحو الواجب والصداقة والوطن، ثم كقدوة وزعيم لمصر والأمة العربية. وقد ظهر الجانب الإنساني للزعيم بوضوح في كل سلوكياته منذ اللحظة الأولى لقيادة الثورة، حين أعلنها " ثورة بيضاء " – رومانسية خلافًا لكل ثورات العالم، فلم يقوم بإعدام زعماء ورموز النظام السابق الفاسد، حتى يستتب الاستقرار لنظامه الثوري الجديد، وعلى العكس تسامح مع كل ما كان قبل الثورة، ليبدأ كل مصري صفحة جديدة من حياته، حتى دخل في العفو كل من عرف بالولاء والتبعية الكاملة للاستعمار، وقام بأفعال أضرت ضررًا شديدًا وأفسدت فسادًا شديدًا بالحياة المصرية والمجتمع المصري لصالح المستعمرين.

[أما عن قضايا "الإخوان المسلمين" فهي قضايا لم يكشف النقاب عنها بعد، وحتى هذه اللحظة تعتبر من أسرار الدولة العليا، التي لا يحق لأحد كشفها أو معرفة ما دار فيها من تحقيقات وكيف دارت المحاكمات، وبالتالي فإن كل ما ذكر عنها مجرد وجهات نظر تعبر عن رؤية أصحابها ووجهات نظرهم السياسية وفقًا لأيديولوجياتهم.

وقد اعتمدت رؤية "الإخوان المسلمين" على وضع كل من كانوا يلبسون الزي العسكري لضباط الجيش في صف واحد - أو في سلة واحدة - ليكون كل من: "الزعيم جمال عبد الناصر" و"المشير عامر" و"ابن بدران" و"صلاح نصر" و"حمزة البسيوني" في صف واحد، باعتبارهم جميعًا من تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بالثورة. وأنهم جميعًا من العناصر الرئيسية في نظام الحكم الناصري، لهم مصلحة واحدة وهدف واحد، الأمر بهذا التصور لا أساس له من الصحة، ذلك - كما أسلفنا - إن حقيقة القوى الفاعلة والمؤثرة التي كانت تحكم مصر، هي خلاف لما بدأ أمام أعين زعماء "الإخوان المسلمين" والذين خفيت عنهم حقيقة وأسرار تلك المعادلة السياسية التي كانت تحكم مصر، والتي تتمثل في: "حكومةالزعيم جمال عبد الناصر وحكومة "شلة المشير الليبرالية"، وكانت أهم خصائصها أن ما تقوم به إحدى السلطتين، لابد وأن تناقض أو لا تتفق مع الأخرى، في حين أن أي منهما لا تستطيع أن تفرض إرادتها على الأخرى... وطالما أن كل ما تعرض له "الإخوان المسلمين" من انتهاكات لحقوقهم وتعذيب ومحاكمات وسجن وإعدام لم يخرج بصورة مطلقة عن حدود سطلة وسلطان " شلة المشير" الليبرالية، فإن ذلك دليل إثبات وحجة دامغة على براءة الزعيم جمال عبد الناصر والتيار الناصري من كل ما نسب إليهم في هذا الشأن، واقترفه يقينًا التيار" الليبرالي" الفاسد.

وقد نرى أن أبلغ تشبيه للقوى التي كانت تحكم مصر في عصر عبد الناصر، تلك القوى التي تحكم " لبنان" اليوم – وذلك حين تحزبت جميع الطوائف والتيارات السياسية اللبنانية مع اغتيال "رفيق الحريري" رئيس وزراء لبنان، في حزبين أو تيارين سياسيين أحدهما: تيار وطني عربي الانتماء، أطلق أصحابه عليه اسم: "المعارضة"، بزعامة الجنرال "ميشيل عون" و"حسن نصرالله"، والآخر: " ليبرالي" تابع للقوى الاستعمارية الأوربية والأمريكية، أطلق أصحابه عليه اسم "مجموعة ١٤ آزار"، وبالتالي فإن أي محاولة لتفسير الأحداث السياسية متخطية القوى السياسية الفاعلة للأحداث في ذلك الوقت، والتي تتمثل في المعادلة السياسية للقوتين " الناصرية

والليبرالية "، هي مجرد تفسير ذاتي غير موضوعي، لأنه غير مبني على حقائق ولأن ما بني على باطل فهو باطل.

والذي تابع برنامج الجريمة السياسية، "بقناة الجزيرة"، الحلقة الخاصة بقضية "محاولة اغتيال الزعيم جمال عبد الناصر بميدان المنشية بالإسكندرية. والمنسوبة لجماعة الإخوان المسلمين، يستنتج من أقوالهم التي تتركز في نفي التهمة بصورة مطلقة عنهم، وأن محاولة الاغتيال تلك، والتي قام بها أحد أعضاء الجماعة، كان بدون تخطيط أو علم مسبق من قيادات الجماعة، بما يؤكد أنها مؤامرة على "جماعة الإخوان المسلمين"، لتصفيتهم وإزاحتهم من الساحة السياسية.

وطالما أن "جماعة الإخوان المسلمين" على قناعة ويقين من هذا الأمر؛ فإن ذلك يعني أن هناك طرف ثالث قام بهذه العملية بهدف: "الوقيعة بين "جماعة الإخوان المسلمين والزعيم جمال عبد الناصر" من خلال استقطاب أحد أفراد الجماعة والتغرير به وإقناعه بالقيام بعملية الاغتيال، بدون علم قيادات الجماعة، وطالما أنه لا يوجد طرف ثالث له مصلحة في تصفية "جماعة الإخوان المسلمين" سوى " الليبراليون" – (لاعتبارات عدة أهمها: "أنها تصفية حسابات قديمة بينهما، ممتدة من عهد الاستعمار، منها اغتيال بعض الزعماء السياسيين مثل: "النقراشى" و"حسن البنا"، وكذلك لطبيعة العداء الايديولوجى بين "الليبرالية" و"الفكر الإسلامى"، لاحظ موجات الهجوم الشرسة من المرجعيات "الليبرالية" في أوربا وأمريكا ضد الإسلام والمسلمين واتهامهم الإسلام بالإرهاب) – فإن التوصل إلى صاحب المصلحة في الوقيعة بين "جماعة الإخوان المسلمين" والزعيم جمال عبد الناصر، لم يكن بعيداً عن ذكاء وألمعية زعماء جماعة الإخوان... ومن جهة أخرى، فإن ارتباط زعماء "الإخوان المسلمين" الموجودين بالمملكة السعودية وقيام المملكة السعودية بكافة أنواع الحماية والرعاية لأعضاء الجماعة الهاربين من اضطهاد سلطة "شلة المشير" الليبرالية فرض على زعماء جماعة الإخوان الالتزام بتأييد سياسة المملكة السعودية، منها إدانة سياسة الزعيم جمال عبد الناصر ونظامه الاشتراكي، واستتبع ذلك تحميليهم كافة الجرائم التي ارتكبتها "شلة المشير" فى حقهم للزعيم جمال عبد الناصر، مجاملة لنظام المملكة السعودية. ومع ذلك فبعد وفاة "الزعيم"... وبعد انقضاء ما يقرب من نصف قرن على هذه الأحداث المؤسفة، التي لحقت "بجماعة الاخوان"، وظهور كل الأسرار والحقائق عن نظام الحكم في عصر الثورة، فإن الأمر يحتم على زعماء "جماعة الاخوان"، أن تعيد تقييمها لتلك الأمور وحكمها على تلك الأحداث، ومن موقفها من الزعيم "جمال عبد الناصر"، وفق كل المستجدات

والحقائق التي ظهرت... والآمل معقود في د. "يوسف القرضاوي" منظّر جماعة الأخوان وإمام علماء المسلمين من أهل السنة، وأ. " أحمد عاكف" المرشد العام للجماعة " وكذلك باقي قيادات الجماعة في جميع أنحاء الوطن العربي والإسلامي، ذلك أن الاسترسال والتمادي في عدائهم مع التيار الناصري بما يتضمن إلصاق أشنع التهم والصفات "بالزعيم"، ليس له ما يبرره، خاصة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى وحدة الصف والفكر لكل التيارات والقوى السياسية الوطنية.

٤- دوافع "شلة المشير" كتنظيم سياسي "ليبرالي" للتخلص من المشير عامر:

والعنوان نفسه يبدو متناقض... كيف يمكن أن تتخلص "شلة المشير" من زعيمها الذي اكتسبت وجودها وكيانها من وجوده؟... ومن هذه الزاوية كانت النظرة الخاطئة إلى القضية، باعتبار ما كان يحظى به المشير عامر من مظاهر الولاء و الصداقة والوفاء والإخلاص بصورة مبالغ فيها من "جنرالات" الجيش وذلك حسب الفلسفة و المبادئ التي اتفق عليها أعضاء تنظيم " شلة المشير" الليبرالية... لكن هذه الصورة الكاذبة – الصداقة والإخلاص – كانت تخفي داخلها أمرًا يمثل قمة الديكالتيكية وتناقض الفكر، ذلك أن " شلة المشير" الليبرالية في حقيقتها ليست شلة أصدقاء، ولكنها تنظيم سياسي ليبرالي يحمل فكر وأيديولوجية تعادي فكر وأيديولوجية المشير عامر الرجل الثاني في ثورة ١٩٥٢... ومع اعتبار فلسفة و مبادئ التنظيم في: " السرية وإعلان خلاف ما يضمرونه وما عقدوا عليه العزم... حتى أنك بدون هذا الفهم لتتحير في معرفة ما إذا كان المشير عامر في موقفه الأخير في منزله بالجيزة- وحيث حوله الضباط المقالين من الخدمة مع سريتين شرطة عسكرية – هل كان رهينة في أيديهم؟... أم كانوا يحرسونه؟...

حتى إذا ما تم تصفية هذا الموقف كان انتحاره أو قتله كرد فعل له علاقة وارتباط مباشر بتنظيم "شلة المشير"، ويكشف ما كتبه "صلاح نصر"فى مذكراته كيف أنه كان يقوم بمراقبة المشيرعامر أثناء صراعه على السلطة في الموقف الأخير[١٨] :

> « في تلك الأثناء وقع حادث صغير ترك أثرًا كبيرًا في نفس المشيرعامر فقد كانت إحدى سيارات المخابرات العامة تراقب جاسوسًا أجنبيًا في منزل يقع في المنطقة التي يقيم فيها المشير، وكان السيارة تقف على مقربة من بيت المشير عامر!!... حتى تبقى بعيدة عن منزل الشخص المراقب!!.. وهو أمر طبيعي!!.. فما

كان من أحد الضباط المقيمين مع المشير ؛ إلا أن اعتقل طاقم المراقبة وأدخله إلى المنزل.. وأوهم المشير عامر بأنهم يراقبونه فاتصل بي المشيرعامر تليفونيا.. ووجدته لأول مرة منذ عرفته زميلا في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ غاضبًا متأثرًا.. وهو يقول لي " إنت بتراقبني؟".. فوجهت لومًا إلى المشير عامر لأنه تصوّر إنني أراقبه.. وأنا أقول ذلك الآن فقط، ففي محكمة الثورة سألني رئيس المحكمة: " إنت قلت في التحقيق إنهم لو كانوا طلبوا مني مراقبة عبد الحكيم لرفضت ". فأجبت رئيس المحكمة قائلا: " لم أقل هذا بل قلت لو كانوا طلبوا مني مراقبة المشير عامر لاستقلت!!.. وهناك فرق بين الرفض والاستقالة ففي حالة الاستقالة هناك غيري ممن يمكن أن يقوموا بهذه المهمة، من أجل ذلك أحزنني جدًا أن يشك عبد الحكيم عامر في صديق عمره».

كذلك من خلال نفس هذه الزاوية، يمكنك فهم موقف اللواء أحمد صادق مدير المخابرات الحربية، حينما كلف بالقبض على العقيد متقاعد جلال هريدي باعتبار أنهما الاثنين من كبار أعضاء التنظيم السياسي الليبرالي " شلة المشير" وذكر هذا الموقف "صلاح نصر" في مذكراته [١٩] حيث كتب:

« كلّف سامي شرف اللواء "محمد صادق" مدير المخابرات الحربية بالقبض على "جلال هريدي" قائد قوات الصاعقة، الذي كان يقيم بعد النكسة في منزل المشير بصفة دائمة، ونصبوا له كمينًا بالقرب من منزل عبد الحكيم عامر، وحاولوا القبض عليه، ولكنه نادى بأعلى صوته على زميل له في الداخل هو الضابط المتقاعد مختار حسين، الذي أسرع إليه مسلحًا لينجده وحينما أحست سيارة المخابرات الحربية بذلك أسرعت بالفرار تطاردها طلقات نارية سمعها كل سكان المنطقة التي تطل على النيل، وظن المشير أن هناك هجومًا على منزله فخرج، وقد تسلّح بعدة قنابل يدوية».

أشار "صلاح نصر" إلى أن تكليف اللواء صادق بهذه المهمة كان من الرئيس جمال عبد الناصر شخصيًا، ذلك بالإشارة إلى "سامي شرف" سكرتير المعلومات للرئيس عبد الناصر، الأمر الذي فرض قيآم اللواء " صادق" مدير المخابرات الحربية بهذه المهمة بنفسه، ومعه كافة إمكانات المخابرات الحربية للقبض على العقيد المتقاعد "جلال هريدي"، إلا أن مدير المخابرات الحربية ومعه كل الإمكانات فشل في تحقيق المهمة، والسبب أن "جلال هريدي" نادى بأعلى صوته " يا علي، يا عويس، يا أم نعيمه، يا سوسن ... "!!!

هل تصدق هذا الهراء؟!... اللواء "صادق" مدير المخابرات الحربية – بجلالة قدره – وبكل جبروته ومعه كل أجهزة المخابرات العاتية، يفشل في القبض على فرد أعزل من السلاح، داخل كمين أعده له مسبقًا، والسبب أنه نادى بأعلى صوته مستغيثًا: " يا سوسن، يا أم نعيمة "!!.

أم أن، المسألة تخضع للأحكام والقوانين التي كانت تحكم المنظومة في المعادلة السياسية بين الزعيم " وشلة المشير"، وأن اللواء "صادق" والعقيد "جلال هريدي" كعضوين في التنظيم السياسي " لشلة المشير" كانا يعملان سويًا لتحقيق هدف مشترك.

نستطيع فى النهاية أن نستخلص من كل هذه المواقف التي ذكرها جنرالات " شلة المشير" بأنهم كانوا يحاصرون المشير عامر في منزله، ويحيطونه بحراسة مشددة، ومراقبة مستمرة، منعًا من سقوطه في يد " الزعيم " ليس خوفًا على حياته، ولكن خوفًا من تأثير "الزعيم" عليه باستقطابه وضمه في صفه لمصلحة الوطن، طالما أقنعه سابقًا بالاستقالة لمصلحة الوطن، الأمر الذي يشكل خطورة عليهم، سواء في كشفهم وفضح صورتهم أمام الرأي العام المصري، طالما كانوا يعملون دائمًا مستترين خلف المشير عامر، وتحت اسمه، أو فى حصول الزعيم منه على كل المعلومات والأسرار الخاصة بهم طالما أنه كان يعلم أكثر مما يجب.

وطالما أن المشير عبد الحكيم عامر لم يخرج عن حراسة " شلة المشير"، وأنه كان يستحيل على أي فرد أن يخترق هذه الحراسة، فإن أمر مقتل المشير عامر لم يخرج بصورة مطلقة عن " شلة المشير ".

إلا أن قضية وفاة " المشير عبد الحكيم عامر " لم تكن إلا فاتحة لسلسلة قضايا وفاة مجموعة من رموز النظام الناصري تحت مسمى " الانتحار"، طالما اكتنف الغموض أسباب الوفاة... مع تشابه أسلوب وطريقة حدوثها، حيث لقوا مصرعهم جميعًا إثر سقوطهم من شرفة من محل إقامتهم في مدينة " لندن" عاصمة المملكة البريطانية المتحدة... وهو الأمر الذي يثير – منطقيًا – الشكوك، بما في ذلك الشك في شرطة " سكوتلانديارد" نفسها التي تولت التحقيق في تلك الحوادث.

وتتضمن أسباب الشك حدوث جميع هذه الجرائم في مدينة " لندن " بالذات عن دون مدن العالم، باعتبار علاقتها الوثيقة بالنظام المصري، بالرغم من محاولة الزعيم جمال عبد الناصر إنهاء هذه العلاقة باتفاقية الجلاء وتحقيق الاستقلال السياسي لمصر، كذلك تشابه أسلوب ارتكاب جميع الجرائم، وذلك بسقوطهم

جميعًا من شرفات منازلهم بالأدوار العليا وهو ما يؤكد أن الفاعل لجميع هذه الجرائم واحد، طبقا للنظرية التي تنص على أن أسلوب ارتكاب الجريمة يشير إلى شخصية الفاعل.والأهم كيف عجزت شرطة " سكوتلانديارد " زائعة الصيت في المهارة والذكاء في الكشف عن الجرائم الجنائية المعقدة في التوصل إلى الجناة؟!..

- كتب(*) أ. خيري رمضان:

« لن أشغل نفسي بسؤال سيظل بلا إجابة إلى الأبد: من قتل أشرف مروان؟.. فلو كنا عرفنا من قتل " الليثي ناصف" و"على شفيق " و"سعاد حسنى"، لأملنا فى معرفة قاتل " أشرف مروان" وإذا كنا قد فشلنا في معرفة مصير الزميل "رضا هلال" الذي اختفى في لحظة وهو يعيش بيننا، فهل يمكن لنا – ونحن نعيش في مصر – أن نعرف ما تعجز عنه " سكوتلانديارد" ؟.

ولن أفكر كثيرًا في تلك " البلكونة " اللعينة في قلب لندن، التي لا يقف فيها إلا "المصريون" خاصة الشخصيات التي يدور حولها جدل، ويطيرون فيها كأنهم " زوج شراب" لم يحكم وضع المشبك حوله؟».

- وكتب(*) أ. عاطف حزين:

«... عندما قالت مذيعة التلفزيون المصري المتألقة "رشا مجدي" أن بوليس "سكوتلانديارد" سوف يكشف اللغز، أمنت على كلامها قائلةً: طبعًا... طبعًا... كما كشف عن لغز "سعاد حسني" و"الليثي ناصف" و"علي شفيق"، وكل المصريين الذين لقوا حتفهم في عاصمة الضباب».

وبدون الدخول في تفاصيل تلك الحوادث، فإن التحليل الأولي لها يكشف عن بعض الحقائق:

- أسباب مصرع جميع هؤلاء الضحايا واحدة. فلم يكن هناك أمراً مشتركًا يجمع بين: د. أشرف مروان والفنانة سعاد حسني، وكذلك الآخران " الليثي ناصف" و " علي شفيق "وقبل الجميع المشير عبد الحكيم عامر سوى معرفتهم الكثير من أسرار الدولة للنظام الناصري، بما يعني أن إفشاء هذه الأسرار يضر بمصالح هؤلاء الذين أصبحوا يملكون القدرة على قتل كل من يجرؤ على التلويح بإفشاء

(*) جريدة " المصري اليوم " العدد ١١١٣ يوم الأحد ٢٠٠٧/٧/١ – الصفحة الرابعة.
(*) جريدة " المصري اليوم" العدد ١١١٣ يوم الأحد ٢٠٠٧/٧/١ – ص ٢.

هذه الأسرار أو جزء منها، وهو ما ظهر بوضوح في قضية مصرع الفنانة " سعاد حسني " سندريلا الشاشة العربية، لارتباط توقيت مصرعها بإعلانها قرار كتابة مذكراتها الشخصية والتي تمس أسرار النظام الذي نحن في صدده والذي تعرض لهزيمة ٦٧ العسكرية.

- في جميع الجرائم السياسية تقوم سلطات الدولة المسئولة عن التحقيق في الجرائم السياسية، بتقديم نتائج لهذه التحقيقات، بما يخدم مصالح الدولة الاستراتيجية، دون اعتبار للحقيقة أو لمبادئ الأخلاق... ذلك أن كل ما يتصل بالسياسة يخضع لمصالح الدولة الاستراتيجية، الأمر الذي يؤدي بنا إلى استنتاج دور شرطة "سكوتلانديارد" وأسباب قيامها بالتغطية وعدم الكشف عن مرتكبي هذه الجرائم، أو عن ملابسات هذه القضايا، وهو ما يثبت – منطقيًا – أن تلك الجرائم نفذت في إطار السياق العام لصالح "الليبرالية" والعالم الغربي الأمريكي، حتى يكون حماية عملاء المعسكر الغربي الأمريكي وعدم كشف سترهم وأسرارهم، وذلك بمنع أو قتل كل من يحاول كشف سترهم وأسرارهم – يدخل أيضًا ضمن حماية الأمن القومي الأوربي والأمريكي... وإلا فما الذي يجعل شرطة "سكوتلانديارد" تقدم على مثل هذا العمل القذر المشبوه.

فشل محاولات عائلة المشير عامر لإعادة التحقيق في قضية انتحاره:

- ذلك لارتباط القضية ـ كما ذكرنا ـ "بمنظومة أحداث الكارثة" كجزء لا يتجزأ منها، وكشف جزء قد يؤدي إلى كشف باقي أجزائها، وبالتالي يفضح كل العناصر المشتركة فيها، الأمر الذي يفرض تكاتف جميع العناصر الفاعلة، والتي صنعت المنظومة يدًا واحدة لمنع فتح هذا التحقيق أو الخوض في تفاصيله، باعتباره أمرًا يمس مصيرهم المشترك، علاوة على عدم اهتمام الرأي العام المصري بالقضية بعد أن تسيّد رأي "الليبراليون" على الرأي العام المصرى في اعتباره رمزًا للكارثة العسكرية والمتسبب الوحيد فيها.

- كذلك بالمثل باءت كل المحاولات المستميتة التي قامت بها أسرة الفنانة سعاد حسني لإعادة التحقيق حول ظروف وملابسات حادث مصرعها بالفشل، حيث لاقت نفس مصير محاولات أسرة المشير عبد الحكيم عامر. علما بأن هذا الأمر

لم يكن خافيًا على إدراك عائلة المشير عامر، وهو ما تضمنته رسالة شقيقه أ.حسن عامر إلى د. عبد العظيم رمضان[1] حيث كتب :

« ... ولاشك أن مأساة مصرع المشير عبد الحكيم عامر هى الفصل الأخير فى قضية حرب يونيو ٦٧ ، فقد كان رحمه الله، أهم شهودها بحكم منصبه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة ونائب أول رئيس الجمهورية،وأنه لمن الواضح الارتباط الوثيق بين مصرع المشير عامر والمؤامرة التى دبرت للقضاء على القوات المسلحة وتحطيمها قبل أن تدخل المعركة وتحارب»

- وكما تم تشويه صورة المشير عبدالحكيم عامر من خلال تشويه صورة حياته الشخصية، حتى تسقط من أعين الرأي العام المصري... كذلك كان هناك من يحاول تشويه صورة الفنانة الراحلة "سعاد حسنى"، من خلال عرض قصة حياتها مشوّهة، حتى تسقط بالتالي من نظر الرأي العام المصري، والأمر الذي لا يجعل من قضيتها قضية رأي عام... حتى يكون من الأجدى لأسرتها هي الأخرى طلب فتح ملف حرب ٦٧ قبل طلب البحث في لغز مصرعها.
- الأمر الذي يدفعنا في النهاية، إلى إضافة قضية انتحار المشيرعبدالحكيم عامر وكذلك جميع القضايا التى تحت مسمى "الانتحار" إلى المنظومة المتكاملة لأحداث الكارثة ومنها يمكن التوصل إلي الحقيقة.

(1) جزء من رسالة بعثها شقيق المشير عبدالحكيم عامر إلى د. عبدالعظيم رمضان، ص٤٧٢، تحطيم الآلهة

الفصل السادس عشر

الطريق إلى رؤية صحيحة لحرب ٦٧

« ولئن تعش أسدًا "يومًا"، مرفوع الرأس منيع الجانب... خيرًا من تعيش "دهرًا" كخراف القطيع »

من التراث العربي

١- متى كانت "الديكتاتورية" سببًا في أي هزيمة عسكرية!!

مسألة "الديمقراطية" التي أثارها "الليبراليون" - وإن كنت قد ترددت في ذكرها - والتي طرحوها في صيغة دعوى كاذبة بأن: "النظام الاشتراكي الناصري كان نظام حكم فردي مطلق، وأن الزعيم جمال عبدالناصر كان الحاكم الديكتاتور المستبد، وهو الأمر الذي تسبب - من وجهة نظرهم - في هزيمة ٦٧ الساحقة!! ".

أما سبب ترددي في الكتابة عنها، فلأن "الديمقراطية" ليست من عناصر البحث في أسباب الهزيمة العسكرية لأي جيش... وبالتالي فإن مجرد الكلام فيها، هو خروج عن الموضوعية في منهج البحث.

والأمر لا يحتاج للشرح، حيث لا يغيب عن إدراك القارئ بأن أغلب الانتصارات التاريخية والتي كان لها التأثير الفاعل في تاريخ البشرية، حققها زعماء يمتلكون شخصيات كارزمية، وأصحاب سلطة مطلقة في شعوبهم، منذ عصر الإغريق. "الإسكندر الأكبر"... "هانيبال"... إلى العصر الحديث "محمد علي باشا"، "نابليون بونابرت" و"هتلر"، حتى تكون الحجة التي بنيت عليها هذه الدعوى، هي حجة معكوسة، أي أنها تضحض الدعوى وتثبت كذبها، ذلك أن الشخصيات الكارزمية الوطنية أصحاب السلطة المطلقة في شعوبهم، يستطيعون تعبئة الروح الوطنية وكافة إمكانات هذه الشعوب المادية والروحية لتحقيق انتصارات عسكرية رائعة... وليس العكس كما يدعي "الليبراليون".

وإذا اخترنا مثال من هؤلاء الزعماء أصحاب الشخصيات الكارزمية والسلطة المطلقة، نرى أن يكون "هتلر"، باعتباره ما زال حاضرًا في ذاكرتنا، وأنه "الرمز" للزعيم الديكتاتور في العالم، سنجد أنه استطاع أن ينهض بأمته ويخرجها من حضيض ومهانة الهزيمة في الحرب العالمية الأولى. ليعيد بناءها "اقتصاديًا وصناعيًا وعسكريًا" ويصنع منها أقوى دولة في العالم. تحت شعاره العنصري: "ألمانيا فوق

الجميع"، حتى فرضت "ألمانيا" نفوذها وإرادتها على كل من حولها، حين اجتاحت جيوشه أوربا، وسحقت أقوى جيوش العالم، ومع هذه الانتصارات حققت أيضًا هزائم حين تكالبت عليها جيوش العالم.

فكيف إذن انتصرت "ألمانيا النازية" بزعامة "هتلر" تلك الانتصارات الرائعة في ظل نظام الحكم الفردي "الديكتاتوري" حتى نقول أنها هزمت بسبب هذا النظام؟!!.

كلا... فلم تنتصر جيوش "هتلر" حين انتصرت، بسبب ديكتاتورية "هتلر"... ولا انهزمت جيوشه حين انهزمت بسبب هذه الديكتاتورية... ذلك لأن مسألة "الديكتاتورية" أو "الديمقراطية" ليست من المسائل العسكرية التي تؤثر على نتيجة الحرب "بالنصر أو بالهزيمة"، وإنما القواعد والمقاييس العسكرية هما فقط اللذان يضبطان سير المعركة ونتيجة الحرب.

فحين حققت جيوش الزعيم "هتلر" أسباب ومقومات النصر انتصرت، وحين فقدتها هزمت.. حتى يكون حشر "الليبراليون" مسألة "الديمقراطية" هو بداعي خلط الحقائق، والإيحاء بأسباب كاذبة لتضليل وخداع الرأي العام باعتبارها أسباب حقيقية أدت إلى الهزيمة.

أما إذا جاز لنا أن نقول كلمة صغيرة في هذه المسألة - مع ما فيها من خروج عن منهج البحث - فإننا نرى أنه لا يمكن بحث تلك المسألة بالوصول إلى تفسير موضوعي صحيح، لكل الأعمال والممارسات السياسية وكل ما يخص مسألة "الديمقراطية" والحريات في عصر[1] الثورة؛ إلا من خلال معادلة القوى السياسية التي كانت تحكم مصر: "حكومة الزعيم جمال عبد الناصر، وحكومة "شلة المشير" الليبرالية، والتى تثبت فى نفس الوقت بصورة قاطعة جازمة، بأن الزعيم جمال عبد الناصر لم يكن الحاكم الديكتاتور صاحب الحكم الفردى المطلق".

تقييم أداء وأعمال حكومة " الزعيم " فيما يخص الديمقراطية والحريات:

نرى أن التقييم نهائي لكل الأعمال التي صدرت من حكومة الزعيم جمال عبد الناصر، أنها في المضمون الأخير كل ما يخدم مصالح الفقراء والمعدمين - غالبية الشعب المصري - حيث وضعت حكومة "الزعيم" الأسس والقواعد التى تصنع الأسباب والمقومات الأساسية التي تضمن اشتراك غالبة الشعب في الممارسات

(1)

السياسية وصنع القرار، وذلك بهدف إنهاء احتكارها في يد الطبقة الإقطاعية الرأسمالية ونخبة صغيرة من المثقفين.

حيث برزت فلسفة حكومة "الزعيم" في رفع شعارها القومي: "مكافحة الجهل والفقر" والذى يتضمن دعامتي "الديمقراطية" وذلك من خلال برنامج الحكومة الذى يهدف إلى: "نشر التعليم وزيادة الوعي الثقافي لجماهير الشعب ـ ورفع مستوى المعيشة وتوفير أساسيات الحياة الكريمة لكافة أفراد الشعب".

أما الجهل، فلأنه أكبر عدو للديمقراطية، حتى أن بعض الدول الليبرالية إسقطت حقوق الجهلاء من الممارسات السياسية، أسوة بالمجانين والمعتوهين، وذلك لعدم قدرة الجاهل على تفهم طبيعة المشاكل السياسية التي تواجه المجتمع، ومن ثم عدم قدرته على التمييز بين الاختيارات المقدمة إليه، كذلك الفقير المعدم المنشغل عقله وقلبه بالبحث عما يقيم حياته، فإن عقله المشتت المضطرب لا يمكنه من التركيز في تحليل أو بحث أي قضية خلاف البحث عما يقيم أوده.

ومن جهة أخرى فقد قام "الزعيم" بحل جميع الأحزاب السياسية، وحرمان رجال السياسة "الليبراليون" من ممارسة حقوقهم السياسية ـ [تحت نفس الفلسفة التي تدعو إلى تحقيق مصالح الفقراء والمعدمين غالبية الشعب المصري] ـ ذلك حين أدرك يقينًا ؛ أن هذه الأحزاب السياسية وكذلك رجال السياسة "الليبراليون" يمثلان أكبر عقبة في سبيل تحقيق أي إصلاح حقيقي جوهري لصالح الفقراء والمعدمين.

وقد ظهر ذلك للزعيم جمال عبد الناصر منذ الأيام الأولى في بداية الثورة مع أول احتكاك مباشر بينه وبين زعماء السياسة، حين عرض عليهم تبني مشروع: "قانون للإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الفردية للأراضي الزراعية"، وقد رفضوا جميعًا بدءًا من "مصطفى النحاس" رئيس حزب الوفد و"فؤاد سراج الدين" و"علي ماهر" وغيرهم، حيث ظهر "للزعيم" حقيقة تلك الأحزاب السياسية ورجالها الذين كانوا يتظاهرون بالوطنية والعمل على مصالح الشعب وهم لا يمثلون إلا مصالح الطبقة الإقطاعية الرأسمالية التي أنشأتها سلطة الاحتلال البريطاني لتقود المجتمع المصري إلى ما يحقق مصالحها الاستعمارية على حساب الوطن والغالبية العظمى من الشعب المصري، وبالتالي لم يعد أمام "الزعيم" إلا حل هذه الأحزاب السياسية، وإبعاد رجالها الفاسدين عن ممارسة السياسة.

أما عن ادعاء "الليبراليون" بأنه لا وجود "للديمقراطية" بدون أحزاب سياسية، وهي الحجة التي استندوا عليها ليجعلوا من الزعيم جمال عبد الناصر زعيمًا

ديكتاتوريًا حطم أسس ومقومات الديمقراطية، فهو ادعاء باطل لاستناده على حجة باطلة، لأن العبرة دائمًا فى تحقيق المضمون، وليس في تحقيق الشكل والإطار الخارجي؛ فإذا كان الشكل والإطار الخارجي "للديمقراطية الغربية" لا يحقق مضمون الديمقراطية والتي هي اشتراك غالبية الشعب في صنع قراره، بهدف تحقيق مصالح كافة أفراد الشعب، فإن الأمر يوجب علينا أن نبحث عن إطار آخر يحقق هذا المضمون، لا أن نحافظ على هذا الإطار - والذي لا يصلح في هذا الظرف - باعتباره إطار ليبرالي مقدس يجب عدم المساس به بأي حال حتى لو ضاعت بسببه مصالح الأمة، لنستمر في ذلك الطريق الذي رسمه لنا الاستعمار البريطاني... طريق الفساد والتخلف والضياع.

وإلا كيف نرى إذن الولايات المتحدة الأمريكية حين كانت حديثة الاستقلال من الاستعمار البريطاني - وهي على نفس حالة مصر في عصر عبدالناصر - وقد وضعت نظامها السياسي على أساس حزب واحد هو الحزب الفيدرالي؟!.. حتى أنه لم يتم تأسيس حزب آخر إلا بعد سنوات عديدة، حيث كان زعماء الولايات المتحدة في ذلك الوقت يرون أن نظام تعدد الأحزاب لا يلائمهم، ومع ذلك لم يتهم أحد "الولايات المتحدة" بالديكتاتورية... أو تلك الدول "الليبرالية" التي تأخذ بتعدد الأحزاب، ثم تلجأ في بعض الظروف إلى تعطيل نظام الأحزاب وتأليف حكومة قومية يقف ورائها الشعب صفًا واحدًا، مثلما حدث في فرنسا في الحرب العالمية الأولى وبريطانيا في الحرب العالمية الثانية، عندما اتجه كل من: "كلمنصو" و"تشرشل" إلى تعبئة كل الجهود لكسب الحرب، ذلك أن لكل مجتمع ظروفه وأوضاعه وحاجاته التي تدفعه إلى إنشاء النظام الخاص به، وليس هناك نظام عالمي هو نمط مقدس صالح لجميع المجتمعات، في جميع أنحاء العالم، وفي جميع العصور، ومهما اختلفت الظروف والأوضاع.

حتى تتكشف الأبعاد الحقيقية لحكومة "الزعيم" في كونها الحكومة القومية المصرية أو جبهة إنقاذ الوطن، باعتبارها خرجت من تنظيم الضباط الاحرار، والذي يضم جميع الأطياف السياسية للأمة المصرية، لإنقاذ مصر من أسوء ظروف "سياسية واقتصادية واجتماعية" كانت تمر بالمجتمع المصري، حتى أن حكومة "الزعيم" كانت ضمن تشكيلها وزراء من "الإخوان المسلمون"... وهو الأمر الذي يبعدها تمامًا عن إطار "الديكتاتورية" إلى إطار "الديمقراطية" بمفهومها الحقيقي، أشبه بحكومتي:" تشرشل" و" كليمنصو" المشار إليهما .

ومن زاوية أخرى، فإنه إذا كانت أهم مظاهر "الديمقراطية" في المضمون الأخير يكمن في توخي صدور أي قرار فردي، يمس مستقبل ومصير الأمة، لما يشوب القرار الفردي من أخطاء... فإن "الزعيم" لم يكن يصدر قرارته ؛ إلا من خلال الأجهزة المختصة للدولة، وباستشارة أكفأ علماء ومفكري مصر، حتى ظهرت النتيجة الطبيعية في إقامته للأسس الصحيحة للدولة المصرية الحديثة.

تقييم أعمال وأداء حكومة " شلة المشير" الليبرالية فيما يخص الديمقراطية والحريات:

السلطة الثانية التى كانت تحكم مصرفي عصر الثورة: حكومة "شلة المشير"، وقد ظهرت سلطة "الجنرالات" بصورة مستترة، خلف اسم المشير عبد الحكيم عامر منذ نهاية حرب ١٩٥٦، وبصورة علنية فاجرة منذ منتصف عام ١٩٦٤، أما قبل ذلك فقد كان تنظيم "شلة المشير" في طور العمل السري، وقد كان إخفاء الزعيم جمال عبد الناصر حقيقة انقسام السلطة في الدولة؛ بغية عدم انسياق الدولة إلى صراع دموي، وأملاً منه في رتق الصدع وتوحيد صف رجال الثورة.

وقد تدخلت سلطة "شلة المشير" في جميع مناحي الحياة: "السياسية والاقتصادية والاجتماعية" للمجتمع المصري، في صورة مباشرة من خلال مكتب المشير عبد الحكيم عامر، الذي كان بمثابة رئاسة مجلس الوزراء، حيث كانت "شلة المشير" تقوم بإصدار كافة القرارات والأعمال التي كانت تتداخل وتتعارض مع مهام واختصاص الحكومة الشرعية للزعيم جمال عبد الناصر، وكانت في مضمونها تخريب وتدمير لأعمال ومشاريع حكومة "الزعيم".

أما قرارات وأعمال "شلة المشير" فيما يختص بالحريات والممارسات السياسية للمواطنين فقد صدرت تحت ستار فلسفة "الأمن" بدعوى حماية وتأمين الثورة. حيث وكلت "شلة المشير" لنفسها مهمة تأمين وحماية الثورة، وذلك بادعاءها الوطنية الجارفة والمزايدة عليها، والغيرة على مصلحة الوطن... وفي ظل هذه الشعارات الكاذبة ارتكبت كل أنواع الفساد وجميع التجاوزت والانتهاكات لحريات وحقوق الإنسان، من اعتقال وسجن وتعذيب ومحاكمات تصل إلى الإعدام، وكانت أخطر هذه المحاكمات: "محاكمات جماعة الإخوان المسلمين وإعدام سيد قطب"، والتي كانت بمثابة تصفية حسابات منذ عهد الاستعمار. وكان العداء بين التيارين – "الليبرالى" و "الإخوان المسلمون" - ناتج من طبيعة الفكر السياسي الذي يعادي كلاً منهما الآخر، وقد قاد الحرب على "جماعة الإخوان المسلمين" زعيمي الليبرالية: "شمس بدران" و" صلاح نصر" مدير المخابرات العامة.

وقد نجحت "شلة المشير" في فرض نفوذها وسيطرتها على المجتمع المصري، وذلك بنجاحها في استكمال أدوات ووسائل السيطرة والقمع، حيث أصبحت دولة داخل الدولة، فكانت تملك كل العناصر والأدوات التي تمتلكها حكومة عبدالناصر الشرعية.

- الشرطة العسكرية، مقابل الشرطة المدنية
- المباحث الجنائية، مقابل المباحث الجنائية المدنية
- النيابة العسكرية، تقابل النيابة المدنية.
- المحاكم العسكرية، تقابل المحاكم المدنية.
- السجن الحربي، يقابل السجون المدنية.

ولم يكن للزعيم أن يتجرأ للتدخل في أحكام القضاء العسكري والتي كانت تصدر أحكامها بالإعدام، ليس عن عدم شكه في نزاهتها أو أنها تتحرى العدل، ولكن لاستنادها على معادلة القوى السياسية التي تحكم جميع الأمور، حيث لم يكن في استطاعته الاعتراض عليها.

وقد نجح "الليبراليون" في إسقاط كل ما ارتكبوه من جرائم في حق الشعب المصري على الزعيم جمال عبد الناصر، من خلال إخفائهم الكامل لحقيقة طبيعة نظام الحكم الثنائي في عهد الثورة، ومعادلة القوى الثنائية التي كانت تحكمه.

وبالرغم من السرية الشديدة التى ضربها رجال الثورة حول كل ما يخص "نظام الحكم" ومعادلة القوى السياسية التى كانت تضبط إيقاعه؛ فإن أسرار هذا النظام قد أفشيت، بعد إنهياره فى عصر "السادات"... وقد نجد فى لقطة صغيرة ما يغنينا عن كثرة الكلام... واللقطة من داخل المطبخ السياسى... يلقى الضوء على صاحب السلطة الحقيقية الفاعلة لكل أحداث الفساد وقمع الحريات التى أصابت المجتمع المصرى... تلك السلطة هى سلطة الجيش - " شلة المشير" - والتى يمثلها المشير عبد الحكيم عامر... وذلك فى صورة رسالة[*]، هى وثيقة تاريخية غاية فى الأهمية، تمثل دليل إثبات وحجة دامغة على ما ذكرناه آنفا، والرسالة هذه من أ.كمال الدين حسين من أبرز أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى المشير عبدالحكيم عامر، ومضمون الرسالة "عتاب.. واستعطاف" من أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى أصابه ظلم

(*) ملحق (ج) رسالة من أ. كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، إلى المشير عبد الحكيم عامر ؟.

وغبن على أيدى رجال المشير عامر... الذين قاموا بمهاجمة منزله وتفتيشه واعتقال كل الضيوف الذين تصادف وجودهم وقت التفتيش، وقد ذكر اسم قائد المجموعة التى قامت بهذا العمل بأنه: "الفريق أ. هلال عبدالله هلال" مساعد القائد العام المشير عامر.

و"الخطاب" يؤكد على استقلال سلطة "الجيش" بقيادة المشير عامر عن سلطة الدولة برئاسة الزعيم جمال عبدالناصر... وإلا: كيف يتوجه صاحب الشكوى: "كمال الدين حسين" إلى من ظلمه وغبنه؛ ليستعطفه ويطلب منه الرحمة والشفقة؟!.. أليس من المنطق والبديهى، أن توجه هذه الشكوى إلى الزعيم جمال عبد الناصر، ليتدخل لإنصاف صاحب الحق... طالما أنه الحاكم الديكتاتور صاحب السلطة المطلقة.. الذى يملك السلطة والسلطان على كل من يقيم على أرض المحروسة.

الأمر الذى يكشف بصورة قاطعة وجازمة عن خروج واستقلال سلطة "الجيش" - ("شلة المشير" الليبرالية المعتنقين لفكر سياسي مخالف للفكر السياسي لنظام الدولة) - عن سلطان الدولة وحاكمها الزعيم جمال عبد الناصر.

وتشير الرسالة كذلك إلى أن جميع أعمال الفساد من انتهاكات لحقوق الإنسان وقهر للحريات صدرت من: سلطة الجيش " شلة المشير" الليبرالية وأن الشعب أدرك هذه الحقيقة واعتبر أن هؤلاء "الجنرالات" هم جلاديه... فى حين أن الجهاز المسئول والمنوط بإقرار الأمن داخل البلاد وهو وزارة الداخلية، أحد عناصر حكومة الزعيم ؛ لم يرتكب مثل هذا الفساد... والصورة فى النهاية توضح معادلة القوى السياسية الثنائية التى كانت تحكم مصر: "حكومة "الزعيم" وحكومة "شلة المشير" الليبرالية "... حكومة تدعو للحرية والمساواة والعدل... وحكومة أخرى ترتكب أفظع جرائم الفساد وانتهاك لحقوق الإنسان وقهر للحريات... تلك هى طبيعة مرحلة الثورة... مرحلة تغيير المجتمع المصرى من: "حالة "الإستعمار" وسيطرة "الليبراليين" ونشرهم الفساد فى كل مناحى الحياة فى المجتمع المصرى... إلى حالة "الحرية" وإيقاظ المصريين الشرفاء ليتولوا مقاليد حكم بلادهم.

حتى إذا ما نجح الزعيم جمال عبد الناصر في إسقاط سلطة "شلة المشير" [وذلك حين دُمِّر الجيش في حرب ٦٧، وأصبحوا بلا قوة يستندون عليها، علاوة على تحول ولاء القادة والضباط إلى الزعيم جمال عبد الناصر"، واستطاع إلقاء القبض على زعيمي الليبرالية "ابن بدران" و"صلاح نصر" وكذلك بعض رموز الفساد الأخرى، وقدمهم للمحاكمة التي أدانتهم وأصدرت حكمها على الأول والثاني

بالسجن المؤبد].... قام الرئيس "السادات"بمجرد أن تولى حكم مصر خلفًا للزعيم الراحل جمال عبد الناصر بإعادة النظام الليبرالى مرة أخرى... وبالتالى قام "الليبراليون" بأكبر حملة دعائية لتشويه حقيقة أحداث حرب ٦٧، اشترك فيها جميع مفكري وأدباء ومثقفي "الليبرالية" - والتي نوهنا عنها سابقا - ليس فقط لتبرئة جنرالات الجيش "الليبراليون" من مسئولية اندلاع الحرب والهزيمة، ولكن أيضًا لتجعل منهم ضحايا حرب ورطهم فيها ذلك الزعيم الديكتاتور الطاغية جمال عبد الناصر، وهو الأمر الذي صنع المناخ النفسي الملائم للرأي العام المصري؛ لاستصدار الرئيس "السادات" قرار بالعفو الشامل عنهم، ليطلق سراح زعيمي الجناح العسكري لليبرالية: "ابن بدران" و"صلاح نصر" وكذلك أيضًا جميع رموز الفساد وكارثة ٦٧، بما فيهم "صدقي محمود" قائد الطيران و"الغول" قائد الفرقة الرابعة المدرعة.

- **كتب(*) أ. وائل عبد الفتاح:**

> « الطريقة التي غادر بها " شمس بدران" مصر غامضة جدًا.
> أفرج عنه الرئيس "السادات" في أول عيد نصر بعد حرب أكتوبر.
> اسم " شمس بدران" كان غريبًا جدًا في قائمة المفرج عنهم. هو "وصلاح نصر".
> لكن " شمس بدران" منحه السادات ميزة. تركه يغادر مصر بجواز مصر دبلوماسي. لماذا...؟
> هل كانت صفقة...؟
> قرأت كثيرًا في تعليقات الصحافة بعد رحيل " السادات"
> عن لغز هروب " شمس بدران" إلى لندن.
> " شمس بدران" لم يتحدث...
> لم تخرج عنه رواية عن أيامه الذهبية التي انتهت نهاية سوداء عليه وعلى مصر.
> انتهت بهزيمة جيش مصر في يونيو ٦٧».

- **ويواصل أ. وائل عبد الفتاح مقالته:**

> «... كتب معلق في الصحيفة الاميركية " يو إس نيوز أند وولد ريبورت": "... لم يحدث من قبل في التاريخ أن جلب كل هذا العار على أمة واستطاع حكامها أخفاء حقيقة ما حدث على أمتهم مثل هذه المرة، التي ظل طوالها الشعب المصري يعيش في ظلام دامس، لا يدري عما حدث شيئًا.. وحتى اليوم لم يعرف الشعب

(*) جريدة " الفجر "، ص ١٣، العدد رقم ١١٠ – الاثنين ١٦ – ٧ – ٢٠٠٧.

المصري من المسئول.. ولم يحاكم قادة الهزيمة!.. عبد الناصر وعامر الآن في ذمة التاريخ، ولم يبقى سوى شمس بدران، الهارب في لندن أكثر من ربع قرن.. ولكنه قبل أن يهرب ونحن هنا نصف خروجه من القاهرة إلى لندن بالهروب، رغم أنه كان بعلم رئيس الجمهورية وقتها - "السادات" - وبجواز سفر دبلوماسي!.. وبأموال قيل أنه هربها أثناء السلطة.. ومرات أنها هدايا من "السادات".. حكايات لم يهتم "شمس بدران" بكشف حقيقتها.. حتى دفاعًا عن نفسه.. الحقيقة الكاملة، وليس مجرد الإنكار الذي تم على فترات متباعدة في لقاءات صحفية غير مكتملة، بدأ فيها كما لو تحول إلى زاهد حتى في التحدث عن دوره في ليلة الثورة في ١٩٥٢.

لماذا يصمت..؟ ولماذا لم يصر أحد في مصر على محاكمته، ليس فقط على مؤامرة الانقلاب على عبد الناصر، كما حدث في الستينات، أو على جرائم تعذيب الإخوان المسلمين، كما حدث في السبعينات، ولكن عن دوره في كارثة ١٩٦٧.. الذي لم يهتم أحد بفتح ملفاتها».

فإذا كان "الليبراليون" هم دعاة الحرية والديمقراطية - كما يدعون - فلماذا إذن يتحدون كبرياء الشعب المصري وكرامته، بإستصدار قرار بالعفو عن "رمزا" الكارثة والفساد والظلم وقمع الحريات: "ابن بدران"، و"صلاح نصر" حتى أنهما لم يقضيا في السجن مدة تعادل عقوبة جنائية في قضية مرور؟!

وإذا كان الزعيم جمال عبد الناصر زعيمًا ديكتاتورًا - كما يدعي الليبراليون - فلماذا قدم رمزا القهر وقمع الحريات : "ابن بدران" و"صلاح نصر" للمحاكمة بمجرد أن تمكن منهما، ليصدر عليهما حكمًا بالسجن المؤبد؟!... ولماذا لم يأتي بآخران ليقومان بنفس أعمال الفساد اللتان كانا يقومان بهما، طالما أن هذه المهام كانت بأوامر منه؟!.

وكيف ترى في رحيل "ابن بدران" إلى لندن ؟... ولماذا " لندن" بالذات؟!

وبأي منطق يقيم " ابن بدران" في " لندن" وقد كان القائد العام الحقيقي للجيش المصري في حرب ٦٧، حين كانت بريطانيا في جانب الأعداء؟!... وكيف يأتمن " ابن بدران" الأعداء على نفسه وحياته ؛ ولا يأتمن أبناء وطنه؟!.

كيف ترى في سقوط هؤلاء الضحايا، اعتبارًا من: "سعاد حسني" وحتى "أشرف مروان" من شرفات الدور الخامس في " لندن" بالذات؟!.

إذن، تعالى نعيد تصحيح رؤيتنا للأحداث التي احتار العقل في تفسيرها، في ظل هذه الحقيقة... ذلك أن الحقيقة بمفردها هي التي تستطيع أن تفسر كل الأحداث.. الكبير منها والصغير.

نعم..الحقيقة.... ولا غير الحقيقة...

٢- أكذوبة تعيين المشير عامر قائدا للجيش بقرار من "الزعيم":

الادعاء بأن "تعيين المشير عبد الحكيم عامر قائدًا عامًا للجيش المصري كان بقرار من الزعيم جمال عبد الناصر"، هو أكبر أكذوبة روجها "الليبراليون"، وذلك لتكون مدخل لربط مسئولية هزيمة ٦٧ بالزعيم جمال عبد الناصر، باعتبار أن المسئول عن تعيين القائد العام المتسبب في الهزيمة هو بالتالي المسئول عن الهزيمة، ذلك بعد أن ظهر لنا جليا، أن مسألة: "تعيين قائد عام للجيش المصرى، لم يكن بالأمر الذى كان يملكه "الزعيم"، في ظل مناخ عدم الاستقرار السياسي للدولة والذي خلقته "الثورة" نفسها، طالما خلقت جو من الإحساس العام لدى رجال الثورة بالخوف من احتمال حدوث انقلابات عسكرية لاحقة داخل الجيش؛ تطيح بحياتهم، بالإضافة إلى أن طبيعة تنظيم "الضباط الأحرار"، في كونه يجمع بين صفوفه كافة الأطياف السياسية المختلفة والمتناقضة بالمجتمع المصري اعتبارًا من: "أقصى اليمين الليبرالي" والإخوان المسلمين... إلى اليسار وأقصى اليسار الماركسي"،قد خلق - كأمر طبيعي منطقي - ما يحتم انقسام أعضاء التنظيم ومجلس قيادة الثورة فيما بينهم، بمجرد نجاحهم في الاستيلاء على السلطة وطرد الملك خارج البلاد... وطالما أنه لم يكن من المنطق والمعقول أن يقوم أي نظام حكم ثوري على فكر فلسفي عقائدي يتزاوج فيه هذا الخليط الهائل من الأيديولوجيات السياسية المتناقضية ؛ فإن النتيجة الطبيعية والمنطقية لهذا التزاوج الغير طبيعي والغير منطقي، هو الانقسام والتكتل في تيارين متصارعين، كانا الأساس في تكوين معادلة القوى السياسية الثنائية التي حكمت مصر في عهد الثورة: "حكومة الزعيم جمال عبد الناصر وحكومة جنرالات "شلة المشير" الليبرالية ".

وقد انعكس بالطبع، هذا الاختلاف الشديد للفكر السياسي العقائدي لرجال الثورة، على زيادة إدراكهم بخطورة اختيارهم لقائد الجيش المصري المنتظر لهذه الفترة الحرجة في تاريخ مصر... ذلك أن مصيرهم وحياتهم تتوقف على كل ما يؤمن به هذا الرجل من فكر سياسي ومبادئ وقيم ومثل عليا.. طالما أنه سيصبح فى مقدوره إنهاء الصراع لصالح أحد التيارين... وبالتالي كانت عملية الإتفاق على

اختيار قائد عام للجيش، هى أخطر موقف اجتازه مجلس قيادة الثورة في تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

ونشير هنا إلى ما هو موثق بالأسانيد وأجمع عليه المؤرخون من قصة اختيار وتعيين الرئيس محمد نجيب أول رئيس للجمهورية المصرية اللواء عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش المصري في ١٩٥٣/٦/١٨: "أن الرئيس محمد نجيب حاول فى بادىء الأمر تعيين الفريق " حيدر" باشا قائداً للجيش، الأمر الذي استهجنه ورفضه مجلس قيادة الثورة، باعتباره رمزاً من رموز النظام الملكي الاستعماري السابق، وأحد رجال الملك، وأن هذا التعيين هو ما يعني القضاء على الثورة نفسها، ولم يستسلم الرئيس محمد نجيب - [وكان صاحب فكر ليبرالي "وله نشاط سياسي ضمن الأحزاب الليبرالية السابقة] - للفشل في محاولاته المستميتة؛ إلا بعد أن اقتنع بأن المسألة أكبر من قدراته؛ وأن عليه التسليم بأن هذه المسألة من المستحيل أن تتم إلا باتفاق جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة، بجميع طوائفهم السياسية، باعتبار حساسية هذا المنصب، وأنها مسألة: "حياة أو موت " بالنسبة لهم.

[ومن هذه الزاوية، نشير إلى أن مبدأ: "أهل الثقة قبل أهل الخبرة"، أن هذا المبدأ ليس بالخطأ بالصورة المطلقة - كما يبدو لنا اليوم - وذلك لوجود ظروف استثنائية تفرض ضرورة تطبيقه لمصلحة الوطن... فإذا نظرنا إلى مسألة تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر بعد ترقيته إلى رتبة اللواء قائداً عاماً للجيش المصري، في ظل ظروف وأوضاع المجتمع المصري تحت حكم الاحتلال البريطاني، نجد أن الأمر كان غاية في الحكمة، باعتبار الضرر الشديد الذي سينتج عند تولي أحد هؤلاء "الجنرالات" قيادة الجيش بدلاً من الصاغ عبد الحكيم عامر، هذا رغم الخبرة الفائقة والكفاءة العالية لهؤلاء "الجنرالات"... فإذا كان صلاحية أحدهم لقيادة الجيش من ناحية الكفائة الفنية أفضل مليون مرة من عبد الحكيم عامر، فإن الامر يختلف عند حساب شدة خطورة انتماء وولاء هؤلاء "الجنرالات" لسلطة الاحتلال على الأمن القومي المصري، وهو الأمر الذي ظهر جلياً مع استمرار هؤلاء "الجنرالات" - أهل الخبرة والكفاءة - في مناصبهم القيادية مثل: "صدقي محمود قائد الطيران.. وباقي "الجنرالات" الآخرين"... فماذا فعلت هذه الخبرة الفائقة والكفاءة العالية في الأمة المصرية؟!... لقد سخروا كل كفاءاتهم وخبراتهم في تدمير وسحق الجيش المصري، بدون اشتباك مع جيش الأعداء، سواء في حربي ٥٦ أو٦٧... حتى أنك لتشهد لهم بقمة الكفاءة الفنية والتفوق والإبداع سواء في التخطيط أوالتنفيذ - لكن مع الأسف - لغير صالح الوطن.

أما عن نجاح "الليبراليون" في اقناعنا – في هذه الأيام – بخطأ هذا الأمر من خلال تلك الحملة الاعلامية الشرسة، حين ملؤا الدنيا صراخًا وعويلاً... كيف يتم تعيين قائدًا عامًا للجيش برتبة صاغ؟!.. فقد جاء ذلك نتيجة لعرضهم القضية من خلال فرض ظروف وأوضاع للمجتمع المصري مضللة ؛ على اعتبار أنها سليمة ومستقرة سياسيًا واجتماعيًا... فطالما أن جميع "الجنرالات" مصريون وطنيون ولا يشك في اخلاصهم وانتمائهم للوطن، فكيف إذن نستبعدهم لنأتي بضابط حديث برتبة صاغ ليتولى قيادة الجيش؟!.

في حين أن الرأي العام المصري - في ذلك العصر - لم يرى أي مشكلة في هذا الأمر، حتى أنه لم يعتبرها قضية بالمرة؛ ذلك لأنه كان يعيش تلك الظروف التى دعت إلى هذا الأمر... على أن مأساة مبدأ "أهل الثقة قبل أهل الخبرة"، جاءت حين قامت "شلة المشير" بتطبيقه في جميع أنشطة ومناحي الحياة للمجتمع المصري: "السياسية والاقتصادية والاجتماعية"، وذلك بتعيينها ضباط من الجيش في مناصب أو مراكز قيادية دون أن يملكوا أي كفاءة أو صلاحيات لهذه المناصب أو المراكز، مثل تعيين ضباط لإدارة مؤسسات أو شركات أو مصالح حكومية أو.... إلخ" مع استبعاد الافراد الأكفاء المتخصصين لهذه الأعمال.. ليس بإعتبار أن أهل الثقة هم المخلصين للوطن.. كما هو المفهوم الطبيعي والبديهي للمبدأ، لكن مع الأسف المخلصون لـ "شلة المشير" أعداء الوطن.. ليكون أهل الثقة هم: "أعداء الوطن"!.

إذن على أي أساس، تم إتفاق جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة على تعيين اللواء عبد الحكيم عامر قائدًا للجيش؟...

ببساطة شديدة، لأنه الوحيد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذي كان يتمتع بثقة كلا التيارين السياسيين المتصارعين معًا.

فقد كان ابن عم الفريق "حيدر" باشا، وكان تربطه أواصر الصداقة القوية لأغلب القادة "الليبراليون" داخل الجيش، كواحد منهم، حتى أنه كان من المستحيل عليه "عاطفيًا ووجدانيًا" أن يوافق على أي عمل يضر بهؤلاء القادة "الليبراليون"، في الوقت الذي كان يؤمن بمبادئ الثورة وفكر ونهج الزعيم جمال عبد الناصر، وهو الأمر الذي دفع الزعيم جمال عبد الناصر وباقي أفراد التيار الاشتراكي إلى الموافقة عليه، أي أن المشير عبد الحكيم عامر كان "ليبرالي" العاطفة والوجدان، "اشتراكي" الفكر والعقل... قمة التناقض، أو صورة شاذة تعكس طبيعة الظروف

والأوضاع الشاذة داخل المجتمع المصري وجيشه على وجه الخصوص. تلك الظروف والأوضاع اللتان كانتا نتيجة الاحتلال الأوربي لمصر أكثر من ٧٠ عام.

لم يكن إذن للزعيم جمال عبد الناصر والتيار الاشتراكي "فضلاً" على المشير عبد الحكيم عامر في تعيينه قائدًا عامًا للجيش، أكثر من فضل "التيار الليبرالي" ولا للتيار الليبرالي فضلاً أكثر من التيار الناصري، حتى ينحاز المشير عامر إلى أحد التيارين ليقضي على الآخر، وهو الأمر الذي فرض عليه، عرفانًا لجميل كلا التيارين، أو كنوع من أمانة تقدير مسئولية استحواذه على ثقة كلا التيارين، أن يكون الحكم العدل بينهما، ولا يسمح لأحد التيارين بالقضاء على الآخر.

حتى أن فكرة تشكيله لتنظيم "شلة المشير" وخلايا أهل الثقة والولاء، وذلك لتحويل "ولاء" جميع قادة وضباط الجيش المصري من: "الولاء" لحكومة عبد الناصر الشرعية إلى الولاء لكبار قادة الجيش "الليبراليين" بصفتهم الشخصية، (ذلك الأمر الذي أدى - مع الأسف - إلى تحويل الجيش المصري إلى جيش طائفي لا يخضع لسيطرة الحكومة الشرعية أشبه بالميليشيات الطائفية التي تتبع زعماء الطوائف الدينية أو العرقية في بعض الدول مثل "لبنان" أو "العراق") - كان يهدف بها - من وجهة نظره الفاسدة - ضمان تأمين وحماية جميع القادة والضباط "الليبراليين" من بطش الزعيم جمال عبد الناصر والتيار الاشتراكي، كذلك مشاركة التيار "الليبرالي" في حكم مصر باعتباره شارك في الثورة وله الحق أيضًا في المشاركة في الحكم مع عبد الناصر، وهو الأمر الذي صنع معادلة القوى السياسية التي حكمت مصر حين "انقسمت" السلطة إلى سلطتان: "حكومة عبدالناصر وحكومة "شلة المشير"، فكان انقسام الدولة في وحدة الصف ووحدة الفكر ووحدة الهدف...

وظل المشير عبد الحكيم عامر يمثل ضابط الاتزان للتيارين السياسيين داخل الجيش المصري، حتى لا ينحاز الجيش لصالح أحد التيارين، مانفككت له السيطرة على مقاليد الأمور داخل الجيش... وهو أيضا ما صنع الاستقرارالنفسي والمناخ الملائم، كي تعمل كلتا السلطتين معًا، في صراع هادئ منضبط، لتبدو الصورة من الظاهر أمام الرأى العام وكأنهما كيان واحد وسلطة واحدة، وتستمر سيمفونية الثورة في لحنها الصاخب الحزين... والذى فى حقيقته لحنين متداخلين من آليتين مختلفتين: "آلية حكومة الزعيم للبناء والتعمير"، وآلية " شلة المشير" للهدم والتخريب"... يد تبني ويد تهدم... يد تعمر وأخرى تخرب...

حتى إذا ما انشغل المشير عامر بالأعباء السياسية... رويدًا، رويدًا... وبدأت تسقط من يده خيوط السيطرة على الجيش شيئًا فشيئًا... حتى سقط الجيش في النهاية تحت السيطرة المطلقة لـ " شلة المشير " وزعيمها " شمس بدران"... ليقود الجيش إلى نهايته الحزينة والمفجعة، كي يُحسم هذا الصراع في ٦٧.

٣- دعوى مسئولية "الزعيم" عن فساد و جرائم "الجنرالات":

الادعاء بمسئولية الزعيم جمال عبد الناصر عن كل أعمال الفساد والجرائم التي ارتكبها جنرالات " شلة المشير" وفرضهم سلطانهم وحكمهم على الدولة، حتى كان ما كان منهم في ٦٧، ذلك باعتباره رئيس الدولة والحاكم المسئول الذي يملك جميع الصلاحيات والسلطات بمقتضى الدستور والقانون في محاسبتهم على جميع المخالفات والجرائم الصغير منها والكبير.

والادعاء هو قمة في التضليل والخداع... لأنه ينزع القضية من سياقها التاريخي وإطارها السياسي والاجتماعي، طالما أن الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية المحيطة بالقضية، هي الأسباب التي تحكم القضية وتفرض عليها نتائجها.

والظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية التي خلقها الاستعمار البريطاني، من خلال نظام حكمه الاستعماري الليبرالي الذي فرضه على المجتمع المصري بحلقاته الثلاثة " السياسية والاقتصادية والاجتماعية " لما يقرب من ٧٢ عام هي التي حكمت كل مجريات الأمور والأحداث في ذلك العصر، حتى يكون المناخ الفكري والثقافي والنفسي والروحي، الذي صنعه الاستعمار هو الذى تحكم في خيال الزعيم جمال عبد الناصر ووضع له حدود وإطار ما يمكن أن " يحلم" به عن صورة نظام الحكم والدولة المصرية المأمولة ... فما بالك بالجيش المصري الذي صنعته سلطة الاحتلال البريطاني على عينيها، ليكون لها ليس فقط سندًا وعونًا ضد مصالح الشعب المصري الفاقد لسيادته... ولكن أيضًا ليكون جزء من جيش الاحتلال نفسه، هذا الجيش المصري ؛ في ظل ظروفه وأوضاعه هذه... لم يكن منطقيًا ليسمح داخله " بتنظيم سري" له أهداف سياسية وطنية بعيدة الغور، إلا أن تكون في حدود ضيقة جدًا، تتناسب مع حدود ظروف وأوضاع هذا الجيش. المنوه عنها، والتي أهمها : "أن أغلب القادة والضباط من المعتنقين للفكر السياسي " الليبرالي" والمؤمنين "بالولاء" لسلطة الاحتلال البريطاني "... وهو الأمر الذي فرض على الزعيم جمال عبد الناصر، البحث عن جميع العناصر الوطنية، من جميع الأطياف السياسية المختلفة، دون التقيد بفكر سياسي محدد، وأن يكون هدف "الثورة" هو الإصلاح السياسي

والاجتماعي دون المساس بهيكل نظام الدولة "الليبرالي"... وهو ما جذب أعداد كبيرة من الضباط "الليبراليين" للانضمام إلى خلايا تنظيم الضباط الأحرار، والذين كان هدفهم الإصلاح السياسي والإطاحة "بالملك" وأعوانه الفاسدين دون المساس بالهيكل "الليبرالي" لنظام الحكم.. وكان وجود هؤلاء الضباط "الليبراليين" في "التنظيم" من أهم أسباب نجاح الثورة واستيلائها على الحكم.

ولسخرية القدر أن يكون السبب في نجاح "الثورة" هو نفسه السبب في القضاء عليها!!... طالما أنه كان السبب في انقسام السلطة إلى سلطتين: "حكومة عبد الناصر وحكومة "شلة المشير" الليبرالية... تلك المعادلة السياسية التي حكمت مصر طوال فترة حكم الزعيم جمال عبد الناصر... حتى إذا مات وخلفه في حكم مصر الرئيس " السادات " قام باعادة "الليبرالية" مرة أخرى والقضاء على ثورة ٢٣ يوليو... ليضع نهاية حزينة لثورة رجال أحرار.

لقد كان أقصى ما أتيح من إمكانات للزعيم جمال عبدالناصر في ظل الاستعمار البريطاني "ثورة" تحمل بداخلها تلك السلبيات الجسيمة في أسباب انقسامها وهلاكها، سلبيات لا مفر منها.. كان من المستحيل قيام الثورة أساسًا بدونها.

وكان انقسام "السلطة" نتيجة طبيعية حتمتها تلك الأسباب... رغمًا عن أنف عبد الناصر، حين لم يكن في استطاعته، ولا في استطاعة أي زعيم آخر، فضلاً عن أي إنسان، أن يخرج من حكم تلك الظروف والأوضاع التي فرضتها السماء في ذلك الوقت... تلك هي سنن الحياة، ثورة اشترك فيها تيارين سياسيين متعارضين معًا.. نجاحًا معا... وتقاسما الحكم معًا... ليكونا حكومتان متصارعتان: " حكومة عبد الناصر وحكومة " شلة المشير".

أو أنها نصف ثورة، لم يكن من حق زعيمها، إلا أن يكون نصف حاكم، أو حاكم ناقص السلطات... ولم يكن داخل استطاعة أو قدرة الزعيم جمال عبد الناصر – باعتباره نصف حاكم أو حاكم ناقص السلطات – إقالة المشير عبد الحكيم من قيادة الجيش المصري أو محاسبته أو المساس به أو بأي قائد أو ضابط آخر... حقيقة مطلقة، لا جدال فيها... هي من أخص خصائص معادلة القوى التي كانت تحكم مصر... في حين، العكس هو الصحيح، أن: المشير عبد الحكيم عامر هو الذي كان قادرًا على الإطاحة بالزعيم جمال عبد الناصر، ولم يكن

يمنعه من ذلك إلا اقتناعه الكامل بمبادئه وافكاره بأنه الشخص الوحيد الذي كان يملك كافة الصلاحيات والقدرات لحكم مصر.

٤- انقسام المجتمع فى ظل الاحتلال الأجنبى كظاهرة اجتماعية:

ظاهرة انقسام المجتمع المصري في ظل الاحتلال الأوربي إلى تيارين متعادين أحدهما: مؤمن عقائديًا بالإيديولوجية الأوربية " الليبرالية "، وانتماءه للثقافة الأوربية ومرجعيته وولاؤه لأوربا وأمريكا، يتظاهر بالوطنية الجارفة ويزايد عليها ويرفع شعار المطالبة بالاستقلال، في حين أنه كان الركيزة الأساسية التي استندت عليها سلطة الاحتلال في سيطرتها وحكمها للبلاد، والتيار الآخر: تيار وطني يؤمن بالأيديولوجية النابعة من ثقافته وتراثه الوطني، انتماءه لثقافته العربية ومرجعيته من داخل تراثه الوطني، وقد كون أتباع هذا التيار من المثقفين الوطنيين ضمير الأمة ووعيها بالمطالبة والسعي الحقيقي نحو استقلال الوطن ! – هو ظاهرة اجتماعية عامة لم يختص بها المجتمع المصري بمفردة عن دون المجتمعات الأخرى، التي أصيبت بنفس الداء، حين سقطت تحت حكم الاستعمار الأوربي.

ويمكننا أن نلقي نظرة سريعة على بعض الدول التي سقطت حديثًا تحت نير الاستعمار الأمريكي، مثل: " العراق وأفغانستان " لنرى كيف أن سلطة الاحتلال الأمريكي تعتمد في سيطرتها وحكمها على البلاد المحتلة أساسًا على: " مجموعة من " الليبراليين" داخل كل دولة، والذين يتعاونون معها، حيث يعتبرون أنفسهم جزء من الكيان الأوربي الأمريكي باعتبار انتمائهم لنفس الثقافة والأيديولوجية الأوربية... في نفس الوقت الذي يتألق فيه التيار الوطني الذي يمثل ضمير هذه الشعوب ووعيها الوطني، يسعى جاهدًا لاستقلال بلاده، بالمقاومة المسلحة والأعمال الفدائية الإيجابية.

وتستمر هذه المعادلة في الفترة التي تلي الاستقلال مباشرة... ذلك أن ولاءات وانتماءات الإنسان، لا تتغير أو تتوافق بسرعة تبعًا للأحداث السياسية، حتى تكون فترة " الاستقلال الحديث " لأي دولة هي أخطر فترة حرجة تمر بها الدولة القومية... أشبه بفترة " النقاهة " التي تلي الشفاء من المرض، والتي يحتمل فيها أن تنتكس حالة: " من عوفي من المرض " ليعود له المرض مرة أخرى.

وقد كانت هذه الفترة هي بالضبط مشكلة عصر الزعيم جمال عبد الناصر حيث قاد الثورة واستولى على الحكم في ظل الاحتلال البريطاني.. ثم نجح في طرد

المستعمرين ليستمر باقي فترة حكمه، في تلك الفترة الحرجة، فترة الانتقال من الاستعمار إلى الاستقلال أو فترة عدم الاتزان والاستقرار السياسي.

كذلك ظاهرة انقسام السلطة في تلك الفترة بين: "حكومة عبد الناصر وحكومة "شلة المشير" هي ظاهرة إن لم تكن عامة، فإنها أيضًا ليست خاصة بمصر، أنظر مثلا إلى نفس الصورة، وإن تغير الشكل الخارجي والأسماء والآليات... في فلسطين... حيث يتقاسم حكم فلسطين: "رئيس الدولة "محمود عباس" من منظمة "فتح" والحكومة - السلطة التنفيذية - برئاسة "إسماعيل هنية" من منظمة "حماس". نفس الصورة... منظمتان متصارعتان مختلفتان أيديولوجيًا — ! أحدهما ليبرالية، وضعت منهجها على أساس التفاوض والتعاون مع سلطة الاحتلال، والأخرى من "الإخوان المسلمين" منهجها المقاومة وعدم التفاوض ! ألا ترى أن: "سماح سلطة الاحتلال بدخول منظمة "حماس" الانتخابات من الأساس، بالرغم من عـدم اعترافها بمؤتمر"واسلو" مع توقع فوزهم ووصولهم للحكم؛ كان يهدف إلى صناعة تلك المعادلة السياسية: "فتح ضد حماس".

ولما كانت أي ظاهرة، هي نتيجة لأسباب تحتم حدوثها.. وطالما أن ظاهرة انقسام السلطة في فلسطين، هي من صنع سلطة الاحتلال الإسرائيلي، فإن انقسام السلطة في مصر أيضًا، لابد وأن يكون من صنع سلطة الاحتلال البريطاني... حتى يكون جلاء جيش الاحتلال البريطاني عن أرض مصر، كان مرهونا بنجاح بريطانيا في صنع معادلة القوى داخل الجيش المصري بين التيارين المتعاديين: "الاشتراكي لعبد الناصر و"الليبرالي" لجنرالات "شلة المشير"... وإلا كيف تفسر جلاء جيش الاحتلال البريطاني في نهاية عام ١٩٥٥ ليعود بعد عدة شهور مع العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦، لينجح في تدمير الجيش المصري تدميرًا شاملا!!... صورة طبق الأصل من حرب ٦٧...

- **كتب الفريق(*) الحديدي عن حرب ٥٦:**

> « وهكذا ضاعت الحقيقة، واختفت معها الأسباب الحقيقية للهزيمة، التي وقعت بالقوات المسلحة المصرية، سواء بضرب القواعد الجوية وتدمير سلاح الطيران عن آخره تقريبًا قبل أن يشترك في القتال، أو بالسرعة التي تم بها الانسحاب من "سيناء"، وما صاحب هذا من هرج ومرج وفقد السيطرة على

(*) شاهد على حرب ٦٧ الفريق صلاح الدين الحديدي ص ٤٥.

القوات، أو بنجاح القوات الإنجليزية في احتلال مطار الجميل ببورسعيد، رغم توقع محاولة الاستيلاء عليه، بل التأكد من ذلك مسبقًا».

لاحظ أن قائد القوات الجوية المصرية في حرب ٥٦ الذي نجح في تدمير القوات الجوية المصرية تدميرًا شاملاً بدون أن تدخل في أي معركة جوية هو الفريق "صدقي محمود"، هو نفسه قائد القوات الجوية في حرب ٦٧ الذي قام بنفس المهمة ونجح في تدمير القوات الجوية المصرية، بنفس الأسلوب!!.. كذلك جميع القادة الآخرين الذين نجحوا في تدمير الجيش المصري في حرب ٥٦، بدون معركة عسكرية مع جيوش الأعداء، هم أنفسهم بالاسم، الذين قادوا الجيش المصري في حرب ٦٧ ونجحوا في تدميره بدون معركة عسكرية أيضًا، وبنفس الأسلوب!!.

وحينما أيقن الزعيم جمال عبد الناصر بوجود تواطؤ بين جنرالات الجيش المصري وجيوش الغزو الأوربي، فشل في مجرد إجراء تحقيق معهم... لقد فرضت معادلة القوى السياسية – والتي لم تكن معلنة – حكمها في تلك القضية.

وقد يتعجب ويندهش أي إنسان ـ بعد معرفته بأبعاد الصورة المفجعة لحرب ٥٦ ـ كيف تولى "جنرالات" هزيمة حرب ١٩٥٦، الذين تسببوا في تدمير الجيش المصريَ، قيادة الجيش مرة أخرى في حرب ١٩٦٧؟!!

بالطبع، لا يمكن لأي مصري أن يتخيل مثل هذا الأمر، وبالتالي لا يستطيع أن يصدر حكم موضوعي صحيح في هذه القضية... إلا من خلال معرفة الظروف والأوضاع داخل الجيش والتي هي الأسباب التي حكمت تلك القضية ... وقد ظهر ذلك جليًا في صورة غاية في الدراما، ذلك في تباين ردود فعل أعضاء مجلس قيادة الثورة، عند مواجهة العدوان وبدء الحرب والغارات الجوية البريطانية على المطارات المصرية... حتى أن أحدهم ـ "صلاح سالم" ـ طلب من الزعيم جمال عبد الناصر أن يسلم نفسه للسفارة البريطانية تلبية لأوامر "ايدين" رئيس وزراء بريطانيا!!... كذلك نزع رجال الاحزاب السياسية أقنعة الوطنية الخادعة عن وجوههم، حيث طلبوا من الزعيم جمال عبد الناصر أن يتنحى من منصبه كرئيس للدولة ويترك لهم حكم البلاد، ذلك أن العدوان يستهدفه شخصيًا ولا يستهدف مصر، وأنهم يستطيعون التعايش والتعامل مع هؤلاء الغزاء المستعمرين!!

حتى جسد هذا التباين الشديد في المواقف، ملامح الصورة النهائية لحرب ١٩٥٦، في لقطتين غاية في الميلودراما.. يوضحان حقيقة انقسام المجتمع المصري إلى

تيارين مختلفين تمام الاختلاف.. أما اللقطة الأولى: فتكشف عن حقيقة التيار الأول الليبرالي في تقاعص الجنرالات في الحرب، حين رأى الزعيم جمال عبد الناصر دبابات الجيش المصري المدمرة وعرباته المصفحة المحطمة ومعداته المحترقة، أثر ضربات الطيران البريطاني وهو في طريقه إلى الإسماعيلية أثناء الحرب، أما اللقطة الأخرى وهي التي أبكت الزعيم والتي تكشف عن حقيقة التيار الثاني حين مرت أمام عينيه استعراض قوات الحرس الوطني بالاسماعيلية.. شباب مصر: كلهم فتوة وحماس وغيرة على الوطن.. يتطلعون شوقًا للقاء الأعداء، حبًا في التضحية والشهادة في سبيل الله والوطن.

وهكذا كانت سطوة وسيطرة آليات قوى المعادلة السياسية التي كانت تحكم مصر. وهو ما يكشف لنا كيف نجح مفكرو وأدباء التيار "الليبرالي" تضليلنا وخداعنا من خلال إضفاء الغموض الكامل وعدم كشف الأبعاد الحقيقية لصورة المجتمع المصرى وكذلك أسرار نظام الحكم في ذلك الوقت، حتى يتمكنوا من تفسير وتأويل كل الأحداث "بالإيحاء" بأن مصر وقتها كانت تعيش في ظل نظام حكم فردي، وأن الزعيم جمال عبد الناصر كان حاكمًا ديكتاتوريًا يملك السلطة المطلقة في البلاد... ليصدروا حكمهم بمسئولية الزعيم جمال عبد الناصر عن كل كبيرة وصغيرة حدثت في عصر الثورة بما فيها ـ بالطبع ـ هزيمة ٦٧.

بمعنى: "أن نجاح التيار "الليبرالي" في "الايحاء" لنا بتلك الصورة المضللة والكاذبة، كان نتيجة لاستبدالهم الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية الحقيقية ـ والتي هي الأسباب التي حتمت هذه النتيجة ـ بأخرى كاذبة ليصلوا بنا إلى هذا الاستنتاج المضلل والغير صحيح.

٥- أسباب معلنة لتفسير أي حدث لمصلحة النظام دون اعتبار للحقيقة:

هناك دائمًا أسباب معلنة لتفسير أي حدث سياسي مؤثر، غالبًا ما تختلف عن أسبابه الحقيقية، ذلك أنه حسب ما هو متبع في أسلوب سياسة الشعوب في الدولة الليبرالية الحديثة: "أن تقوم أجهزة الدولة المعنية بذلك الحدث، بتفسيره وتأويله للرأي العام وانتقاء أسباب ودواعي لحدوث هذا الحدث بما يتلاءم ويتوافق مع ثقافة شعبها وبما يخدم مصالح وأهداف النظام، دون أي اعتبار للحقيقة، بمعنى: " أن الحقيقة إذا ما توافقت مع مصالح وأهداف النظام، خير وبركة، أما إذا تعارضت، فإن على النظام الحاكم أن يبحث عن أسباب أخرى تتلاءم وتتوافق مع مصالحه وأهدافه، ولتذهب الحقيقة إلى الجحيم.

ويساهم في ترسيخ وجهة نظر السلطة، جلة مفكري وأدباء وكتاب السلطة الحاكمة، ومن خلال جميع وسائل وأجهزة الإعلام التي تحت سيطرة الدولة.

ولا نرى ضرورة لضرب أمثلة، طالما أن هذا الأمر أصبح من الأمور المعلومة بالضرورة لدى كافة المثقفين، ومع ذلك، تعالى ننظر إلى السبب الذي أعلنته الولايات المتحدة لغزوها " العراق " وذلك بامتلاك " صدام حسين" أسلحة تدمير شامل!!.

سنجد أن هذا السبب يتلاءم مع ثقافة الشعب الأمريكي - الذي لا يعرف أي شيء عن "العراق" أو "صدام حسين" - في نفس الوقت يخدم الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بتخويف جميع دول المنطقة، من مغبة السعي وراء امتلاك أسلحة تدمير شامل، وإلا لاقت نفس مصير "العراق"، حتى وكأنها كانت تخص "إيران" التي كانت في بداية مشروعها النووي.

فإذا عدنا إلى موضوعنا عن حرب ٦٧، فإنه باعتبارعلاقة طرفي الصراع بالمعسكرين "السوفيتي والأمريكي"، فقد اختلفت الأسباب المعلنة من كلا الطرفين، تبعًا لاختلاف مصالح كلا المعسكرين، ففي حين أعلن النظام الاشتراكي الناصري عن أسباب للحرب تتوافق مع مصالح " المعسكر السوفيتي "، كان هناك أسباب أخرى معلنة من المعسكر الأمريكي " الليبرالي" تتوافق مع مصالحه... حتى إذا ما ارتدت السياسة المصرية من المعسكر السوفيتي إلى المعسكر الأمريكي، جاء النظام " الساداتي" ليعلن عن أسباب جديدة لحرب ٦٧، هي نفس الأسباب التي ترددها الولايات المتحدة وإسرائيل، والتي تخدم مصالح وأهداف "الليبرالية" وهي(*): "إغلاق الزعيم جمال عبد الناصر خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، وكذلك كرد فعل لاستمرار سياسته العدوانية في المنطقة " وهو ما يعني: تحميل "الزعيم" مسئولية اندلاع الحرب وبالتالي الهزيمة المهينة، وذلك بهدف: "تحطيم صورة الزعيم جمال عبد الناصر الذي رفع راية العصيان على "الليبرالية"، ودعى إلى تحرير جميع شعوب العالم، وأن الحياة الحرة الكريمة هي حق لكل شعوب الأرض"، حتى أصبح رمزًا من رموز "الحرية والتحدي والصمود والعزة والكرامة"، وقدوة لجميع المناضلين لتحرير شعوبهم في العالم اجمع.

أما الليبراليين في مصر، فلم يكن يعنيهم من تحطيم صورة الزعيم جمال عبد الناصر، إلا أنه "رمزًا" للنظام الاشتراكي الناصري، الذي رفع شعار "مصالح

(*) تم سرد أسباب اندلاع حرب ٦٧ بالتفصيل في الفصل الثامن من الجزء الأول بالكتاب.

الفقراء فوق مصالح الأغنياء"، حتى أصبحت حكومته هي "حكومة الفقراء التي لا تعمل إلا ما يحقق مصالح الفقراء"، وبالتالي لم يكن هناك أي خيار أمام الرئيس "السادات" كي يمكنه فرض شعاره الجديد "شعار الليبرالية": "مصالح الأغنياء وفقط"، إلا بتحطيم صورة زعيم الفقراء جمال عبد الناصر، ذلك الزعيم الذي تحدى الأغنياء، وأذلهم، واستولى على أموالهم ليوزعها على المعدمين، وأقام لهم المشروعات الاقتصادية، ليتيح لهم فرص العمل، والتي توفر لهم أسباب الحياة الكريمة، حتى لم يعد هناك عاطلاً في المجتمع المصري....

٦ – الخلاصة... هزيمة الجيش المصري في ٦٧ في نقاط:

الحقيقة.. ولا غير الحقيقة تستطيع أن تفسر تلك الهزيمة الساحقة، التي لحقت بأقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط... كيف انكسر هؤلاء الجبابرة المصريون، الذين بعث فيهم زعيمهم العملاق المهيب جمال عبد الناصر، روح التحدي والنضال، حين فجَّر أقوى ثورة في العصر الحديث، لتحرير جميع شعوب العالم المستضعفة؟... حتى صار اسم الزعيم جمال عبد الناصر " رمزًا من رموز القيم الإنسانية " الحرية والعزة، والكرامة"، وتحدي قوى البغي العدوان ؛ لكل المناضلين في سبيل تحرير شعوبهم، وزعيمًا أسطوريًا من أعظم زعماء العالم في تاريخ الإنسانية جمعاء.

لم يكن سوى الحقيقة إذن، ولا غير الحقيقة... طالما فشلت كل التبريرات والادعاءات الكاذبة، لتفسير ذلك الحدث الرهيب، الذي أذهل العالم أجمع، كيف أحيط بذلك الجيش العظيم ؛ ليسقط مقاتليه المصريين الشرفاء... أقوى وأعظم أجناد الأرض، صرعى وأسرى بهذه البساطة والسهولة وفى ساعات معدودة؟!.

لم يكن سوى الحقيقة إذن، طالما لم يستطع أحد خلال الأربعين عامًا منذ حدوث ذلك الحدث العجيب والغريب، إن يكشف عن أسراره، ليزيل تلك الحيرة التي انتابت جميع حكماء مصر والعالم العربي، كيف سقط ذلك الجيش المهيب بهذه السرعة الفائقة؟!...

... حتى جاءت "الحقيقة" تمشي على استحياء...

هل استجابت السماء لدعاء الحكماء والأبرار في جميع بقاع الأرض؟!...

أم أن الحقيقة كانت على موعد مع القدر؟!... لها ساعة ميلاد محددة باللوح المحفوظ... لا تتقدم أو تتأخر عن موعد ميلادها لحظة.

تعالى نوجز ما استخلصناه فى هذا البحث من حقيقة هزيمة ٦٧ من وجهة النظر السوفيتية في هذه النقاط التالية:

- هزيمة الجيش في ٦٧ كانت نتيجة تنفيذه خطة غاية في الدقة والإحكام، قام بإعدادها وإدارة كل مراحلها بمهارة وإتقان "جنرالات" الجيش المصري أنفسهم عن قصد ونية، لتدمير الجيش المصري وإسقاط سيناء في يد الصهاينة، وذلك بهدف إحداث كارثة قومية رهيبة، تلصق بالنظام الاشتراكي الناصري، لتصيب الشعب المصري بصدمة نفسية شديدة، تفقده ثقته المطلقة في كفاءة وصلاحية النظام الناصري وزعامة الرئيس جمال عبد الناصر، باعتباره فشل في حماية الأمن القومي المصري... وذلك لتهيئة المناخ النفسي الملائم والضروري، كشرط لازم حتى يقبل الشعب المصري إعادة النظام " الليبرالي" الفاسد مرة أخرى لحكم مصر، ودخوله حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي.
- القائد العام للجيش المصري الفعلي والحقيقي في حرب ٦٧ هو: العقيد "شمس بدران"، الذي كان يملك السلطة المطلقة داخل الجيش المصري من الناحية الفعلية الواقعية، وقد أدار كل أحداث الحرب والمعارك العسكرية في الخفاء، ودون أن يظهر بصورة مباشرة - [في الوقت الذي كان فيه المشير عبد الحكيم عامر هو القائد العام من الناحية الرسمية والشرعية، والذي لم يكن يملك أي صلاحيات أو سلطات حقيقية فعلية على الجيش المصري، وذلك بسبب انشغاله واستغراقه التام في مهامه السياسية كنائب لرئيس الجمهورية وكذلك المهام السياسية الأخرى التي أبعدته تمامًا عن عمله كقائد عام للجيش، حتى أفقدته بالتالي كل خيوط السيطرة عليه) - حتى يكون في المعنى والمضمون الأخير لفكرة "التخلص المبكر من المشير عبد الحكيم عامر مع تحميله كافة مسئوليات الحرب والهزيمة، هو إمكانية الإيحاء ببراءة العقيد "شمس بدران" من كل تبعات الحرب والهزيمة، في حين أن في استمرار وجوده على قيد الحياة، ما يفرض عليه الدفاع عن نفسه، ليكشف ليس فقط عن: "كل تفاصيل أسرار حرب ٦٧ والمسئولين عن اندلاعها وهزيمتها النكراء "... ولكن أيضًا عن: أسرار تنظيم "شلة المشير" وأسماء أعضاء وزعماء التنظيم وكيف كانوا يحكمون مصر "كسلطة" وجميع المسئولين عن تخريب مصر من الداخل سواء من "الجنرالات" أو "الليبراليين" خارج الجيش.

- الثقة الكاملة التي أقدم بها "الجنرالات" الليبراليون على تنفيذ مخططهم لتدمير الجيش المصري وأسقاط سيناء في يد الصهاينة كشفت لنا عن أمرين الأمر الأول: نجاح سلطة الاحتلال البريطاني في اختيارها لقادة الجيش المصري – الذي كان يخضع لسيطرتها – تتوفر فيهم كل الشروط والصلاحيات التي تضمن إخلاصهم وانتمائهم وولائهم لها والعداء للمجتمع المصري، وحيث استمر هؤلاء القادة في مناصبهم القيادية، لما بعد الاستقلال وحتى نهاية حرب ٦٧، وقد غرست فيهم سلطة الاحتلال الإيمان الشديد بالأيدلوجية " الليبرالية" لتكون عن عقيدة راسخة، يبذلون في سبيلها كل غال ونفيس، حتى يكون تدميرهم وسحقهم للجيش المصري ليس إلا أقل واجب أو أصغر أضحية يقدموها قربانًا لها، وتأديبًا للشعب المصري الذي رفع راية العصيان والتمرد عليها،حين انساق في شرك ومعصية "الاشتراكية"، وحتى يثوب إلى رشده وصوابه، ويتوب توبة نصوح على ألا ينحرف يومًا عن التبعية والانقياد وراء أوربا وأمريكا. – أما الأمر الثاني: السيطرة المطلقة "لليبراليون" على عناصر القوة والسلطة في مصر منذ منتصف الستينات، مع الضعف الشديد الذي وصلت إليه سلطة الزعيم جمال عبد الناصر والتيار الاشتراكي في تلك الفترة، وهو الأمر الذي دفع "الليبراليون" إلى العمل بكل حرية في مخططهم القذر الدنيء، دون أن يعملوا أي حساب للقوى الوطنية في مصر... وقد كان "الليبراليون" في تقديرهم هذا على صواب حيث لم يمسهم أحد بسوء، ولو حتى بكلمة واحدة، حتى يومنا هذا!!.
- سقوط الادعاء الكاذب بأن: " تدمير الطيران المصري في الساعات الأولى من المعركة تسبب في الهزيمة بهذه السرعة الرهيبة "... وقد ظهر كذب هذا الادعاء جليًا للرأي العام المصري، في صورة غاية في الدراما، وذلك في إنتصار ميليشيات "حزب الله" اللبنانية على جحافل الجيوش الاسرائيلية، مع السيطرة المطلقة الجوية للطيران الاسرائيلي على سماء المعركة في حرب ٢٠٠٦/٦/١٢، في حين أن أرض " سيناء" الجبلية كانت أشد مناعة في الدفاع من أرض جنوب لبنان الجبلية.
- سقوط الادعاء الكاذب بأن: "كارثة ٦٧ كانت بسبب قرار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام بالانسحاب إلى خط الممرات "... طالما أن هذه الدعوى ـ للغرابة والعجب ـ مبنية على حجة معكوسة، أي أنه:"في مضمون الدعوى ما يثبت كذبها ويضحضها"... ذلك أن ضياع الجيش و"سيناء"، جاء بسبب عدم تنفيذ "الجنرالات" لهذا القرار.

أما وأن، مضمون قرار المشير عبد الحكيم عامر يتركز في تكثيف الدفاع على خط الممرات، حتى أنه كلف الجيش المصري برمته للدفاع عنه... فكيف إذن، وبأي منطق، يقوم هؤلاء "الجنرالات" بإطلاق صيحة الانسحاب لقواتهم ؛ لينطلقوا يسابقون الريح فارين من ميدان القتال ليعبروا قناة السويس إلى الاسماعيلية، بدلاً من الدفاع عن "خط الممرات" كما نص قرار "الانسحاب" للقائد العام؟!.

وحسب ما هو معلوم بالضرورة لجميع العسكريين، أن "خط الممرات" هو "خط الممرات"... وما أدراك ما خط الممرات... هو معقل سيناء ومفتاحها الحاكم... خط الموت... مجرد التفكير في التخلي عنه يعني صراحة وبلا مواربة: "الخيانة العظمى"... "الخيانة العظمى" بامتياز...

- نجاح "الليبراليون" في تسييس قضية ٦٧ لصالح الأيدلوجية "الليبرالية"، كنتيجة لنجاحهم في صناعة قصة كاذبة لحرب ٦٧، ذلك بفبركة أحداث ووقائع للحرب تصل نتائجها بنا إلى تحميل مسئولية اندلاع الحرب والهزيمة على النظام الاشتراكي الناصري والزعيم جمال عبدالناصر، ليجعلوا من هزيمة ٦٧ "رمز" ودليل على فشل النظام الاشتراكي الناصري، ولصق عار الهزيمة باسم الزعيم الأسطوري جمال عبدالناصر.

ويعتمد استمرار نجاح "الليبراليون" في ترويج هذه الأكاذيب ما برحوا يضربون بسياج السرية الكاملة على الأحداث والوقائع الحقيقة لحرب ٦٧، والأمر بهذه الصورة لا يعدوا إلا أن يكون ؛ صورة من صور الإسقاط في علم النفس، طالما أن هزيمة ٦٧ هي بالفعل رمز لفساد "الليبرالية" و"الليبراليون"، حين جلبوا عار الهزيمة على مصر، بهدف فرض النظام "الليبرالي" على الشعب المصري مرة أخرى وإعادة مصر إلى حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي أو أنها من زاوية أخرى، "رمزًا" لفساد الفكر "الليبرالي" حين شارك " الليبراليون" الزعيم جمال عبدالناصر في حكم مصر، في النظام الناصري ثنائي السلطة.

- الخطورة الشديدة لمسألة الفكر السياسي والأيديولوجية التي يعتنقها كبار قادة الجيش " الجنرالات" على الأمن القومى المصري... ذلك أن انتماء الإنسان وولاءه غالبًا ما يتبع فكره السياسي، وهو المبدأ الذي سارت عليه سلطة الاحتلال كأساس لاختيارها لقادة الجيش المصري، وقتما كانت مصر تخضع تحت سيادتها، حيث اشترطت في اختيارهم أن يكونوا من الضباط الذين يثبت شدة ولاءهم لها وانتمائهم للثقافة الأوروبية، بل وعداءهم أيضًا للمجتمع المصري، حتى

يضمنوا سلامة وأمن جيش الاحتلال وكذلك الاستقرار السياسي داخل الأراضي المحتلة، هذا بالإضافة إلى تغلغل أفراد المخابرات داخل صفوف الجيش لمعرفة ما يدور داخله ؛ حتى يمكن سرعة التخلص من أي عناصر يشتبه في ميولها الوطنية أو عداءها لسلطة الاحتلال.

حتى أن الجيش المصري - كأمر طبيعي ومنطقي - كان آخر معقل يتهم بالوطنية، أما تنظيم الضباط الأحرار الذي أسسه الزعيم جمال عبد الناصر، فهو الاستثناء أو الشذوذ عن القاعدة... أو أنه صورة من صور طلاقة القدرة للعزيز القهار، حين يخرج من ظهر الفاسد عالم!!

(ويمكننا أن نرى في صورة غاية في الدراما، التأثير الفاعل القوى لطبيعة الولاء على الجيش المصري، وقتما قاد الزعيم جمال عبد الناصر ثورة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو " تموز " ١٩٥٢، من خلال صورة مماثلة، وهي صورة الجيش العراقي، الذي أنشأته سلطة الاحتلال الأمريكي بعد غزوها للعراق، صورة طبق الأصل، باعتبار أن الجيش المصري قد أنشأته سلطة الاحتلال البريطاني لنفس المهام والأغراض) - وبالتالي كأمر طبيعي، انقسم "ولاء" قادة وضباط الجيش المصري إلى مؤيد للتيار الثوري بزعامة جمال عبدالناصر، وآخر استمر على ولائه لنظام الحكم الليبرالي الاستعماري البائد وفكره "الليبرالي".

وحيث انبثق منه ذلك التنظيم السري باسم " شلة المشير"، هذا على الرغم من إعلان جميع القادة والضباط بدون استثناء تأييدهم المطلق للثورة وزعيمها جمال عبد الناصر.. نفاقًا ورياء " أو خوفًا وطمعًا.

حتى يظهر لنا أن هذا الانقسام الخطير في وحدة الصف والهدف والفكر، كان أمرًا حتميًا لا مفر منه، حتمتة الظروف والأوضاع التي فرضها الاستعمار البريطاني على المجتمع المصري، لتكون تلك الفترة التي تولى فيها الزعيم جمال عبد الناصر حكم مصر هي الفترة الحرجة أو الفترة الانتقالية من الاستعمار إلى الاستقلال.

وهي الفترة التي كان يستحيل فيها أن نعرف الوطني من غير الوطني.. والمخلص من الخائن... ومن معك ممن ضدك... حتى يوارى الثرى تلك القيادات والزعامات الفاسدة، لتأتي بدلاً منها قيادات وزعامات جديدة من أجيال تولد في نور الحرية والاستقلال، لم تطأطئ رأسها أبدًا في ذل وانكسار لسلطة الاحتلال الأجنبي أو تتعاون معه بأي صورة من صور التعاون.

- لم يكن سقوط النظام الاشتراكي الناصري هو كل ما أحدثته هزيمة ٦٧، بقدر ما أن سقوط مفهوم هذا النظام من نفوس المثقفين المصريين ؛ كنظرية سياسية واقتصادية قادرة على قيادة المجتمع المصري ـ على الطريق الصحيح نحو التقدم والرقي في عصر ما بعد الحداثة ـ حتى أزيحت التجربة الاشتراكية برمتها، كتجربة إنسانية عاشها المجتمع المصري بكل ايجابياتها، طالما رهنت هذه التجربة بتلك الهزيمة المهينة.

ولم يحدث في تاريخ البشرية أن أدينت تجربة اجتماعية ناجحة مشرقة ورائعة بهذه البساطة والخفة، وعلى مثل هذا النحو الشامل.. مثلما أدينت التجربة الاشتراكية الناصرية حينما الصقت بها هزيمة ٦٧.. رغم أن الهزيمة لم تكن لها أي علاقة بالفكرة الفلسفية للنظام الناصري.. ولكن لأسباب رواسب وتراكمات ثقافية واجتماعية خاصة بالحقبة الزمنية السابقة لثورة الضباط الأحرار والنظام الناصري، والتي خضعت فيها مصر للإستعمار البريطاني، من خلال سيطرة "الليبراليون" على المجتمع المصري في دوائره الثلاثة: "السياسية والاقتصادية والاجتماعية".

لقد صنعت هزيمة ٦٧ ذلك المناخ النفسي أو المزاج المعتم والحزين في نفوس المصريين، حين شوهت الرؤية الاشتراكية، لتتدنى بها إلى الشك في صلاحيتها كنظرية سياسية واجتماعية سليمة.. حتى تحول غالبية المثقفين إلى "ليبراليين" طوعًا أو كرهًا، عدا قلة من المتمسكين بعنادهم والمحبوسين داخل أسوار مبادئهم وقيمهم العليا.. ليأتي من بعدهم جيل جديد تخلو ذاكرته من تجارب وعبر الماضي القريب، لا يعرف شيئًا عن تاريخ "الليبرالية" الأسود الملوث بعار التواطؤ مع الاستعمار البريطاني.. حيث ملئت عقولهم الفارغة بحكم وثقافة: "الدجالين والافاقين والمنحطين".. لتطغى وتتسيد حكمة وثقافة "الدجالين والافاقين والمنحطين" على فكر وثقافة هذا الجيل.. ولم يكن العنصر الفاعل الرئيسي الذي دفع بطغيان وتسيد ذلك الابتزال الثقافي ؛ إلا هزيمة ٦٧.. لقد صنعت تلك الثقافة المنحطة من هزيمة ٦٧؛ الزعيم جمال عبد الناصر رمز الحرية والعزة والكرامة، زعيمًا ديكتاتورًا طاغيًا جلب على مصر عار وخزي الهزيمة.

- لم تكن هزيمة ٦٧ المدخل لثقافة المنحطين، لتحطيم مضمون الفكر الاشتراكي الناصري بإقامة مجتمع على أسس العدالة الاجتماعية، يؤمن بأن المستقبل سيتجاوز الحاضر فقط... ولكنها أيضًا المدخل للشك في الحقيقة

اليقينية بعظمة ومجد الحضارة الناصرية، حين كان المصريون يمسكون مصائرهم بأيديهم.. يرفعون رؤوسهم وهاماتهم عاليًا في عزة وكرامة بين شعوب العالم، ويصنعون بأيديهم في سنوات قليلة أسطورة ومجد تستحيل على أعظم الأمم والشعوب الأخرى.. حتى تحولت تلك الاسطورة الناصرية من حقيقة يقينية إلى هراء.. وأن ما صنعناه بأيدينا فعلاً، لم يكن سوى: "خيال ووهم وحلم مستحيل "!.

- وكانت هزيمة ٦٧ هي الخط الزمني الفاصل والقاطع بين عصر المثالية وقيم المثل العليا والثقافة العربية الأصلية في بصمتها المصرية الراقية (ذلك الزمن الجميل الذي أشاع فيه الزعيم جمال عبد الناصر مناخ الاستقرار السياسي والسلام الاجتماعي بين طبقات المجتمع.. لتطلق أكبر ثورة ثقافية عرفها المجتمع المصري، ظهر فيها أكبر حجم من إبداعات العقل البشري المصري في جميع مجالات الأدب والفنون من: "آداب وقصص وشعر وغناء ومسرح وسينما ومسلسلات تليفزيونية بالاضافة إلى جميع أنواع الفنون الأخرى.. حتى أصبحت مصر رائدة الثقافة العربية بلا منافس.. تنشر أرقى قيم ومعاني الإنسانية فى جميع أرجاء وطننا العربى، ليتوج تلك الصورة الراقية الرائعة صوت كوكب الشرق "أم كلثوم" تتغنى بأجمل ما نظمه فحول الشعراء العرب.. ومعها كوكبة من الفنانين المبدعين في فنون الغناء والموسيقى العربية.. حتى أصبحت "أم كلثوم" رمزًا لتألق الثقافة العربية في بصمتها المصرية الرائعة في عصر زعيم الأمة العربية "جمال عبد الناصر"... وبين عصر عودة "الليبرالية" وثقافتها الفاسدة حيث فقدت "مصر" صدارتها ومكانتها الثقافية، تبعًا لفقدها تمسكها بثقافتها العربية وهويتها العربية، ذلك حين عجلت هزيمة ٦٧ برحيل الزعيم جمال عبد الناصر ونظامه الاشتراكي الناصري ذات الهوية العربية الأصيلة..

- كان وصول "الجنرالات " الليبراليون إلى الاسماعلية، في مساء ثانى أيام المعركة وبعد عدة ساعات فقط من تلقيهم قرار القائد العام المشير عبد الحكيم عامر:"بالانسحاب إلى خط الممرات" والتمسك به والدفاع عنه،مع إدراكهم بأهمية وخطورة هذا الخط الاستراتيجى هو: بمثابة الدليل القاطع والحجة الدامغة على إرتكاب هؤلاء "الجنرالات"جريمة "الخيانة العظمى" .... ذلك أنه بصرف النظر عن أن فرار "الجنرالات" من ميدان القتال وعدم تنفيذهم أوامر القائد العام بالتمسك والدفاع عن خط الممرات هو جريمة "خيانة عظمى" فى حد ذاتها،.... إلا أن الأمر يتجاوز هذه الجريمة إلى ماوراءها من تبعات ..... ذلك أن

تخلى "الجنرالات" اللاإيراليون عن التمسك والدفاع عن خط الممرات " والذى فتحاته هى أبواب الحياة للجيش المصرى ...... كان يعنى بصورة قاطعة جازمة: " إسقاط الجيش المصرى .... برمته أسيرًا فى يد جيش الأعداء الأسرائيلى لتدمره وتسليم سيناء" للعدو الأسرائيلى بدون قتال، وإنهاء الحرب فى زمن قياسى لا يصدقه عقل ..... وفقًا للمبادئ الأساسية وبديهيات العلم العسكرى والجغرافيا والتاريخ،وطبقًا لما هو معلوم بالضرورة لكل محترفى العمل العسكرى والحروب..... هذا هو حكم التاريخ طال الزمن أم قصر

نعم، لقد كانت هزيمة ٦٧ هي: أقذر.. وأندل.. وأحط.. جريمة خيانة في تاريخ البشرية منذ وضع آدم قدمه على كوكب الأرض.

الهوامش

الباب الثالث:

١- الانفجار – أ. محمد حسنين هيكل – ص ٧٨٤.

٢- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ٢١.

٣- الانفجار – أ. محمد حسنين هيك ل – ص ٤٥٨ - ٤٥٩

٤- اعترافات قادة حرب ٦٧ – أ. سليمان مظهر – ص ١٥٨.

٥- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص ٥٧ & اعترافات قادة ٦٧ – أ. سليمان مظهر – ص ١٨٣.

٦- إعترافات قادة حرب ٦٧ – أ. سليمان مظهر – ص ٣٣٠.

٧- نفس المرجع – ص ٢٣١ – ٢٣٣.

٨- نفس المرجع – ص ٢٢٢ & الانفجار – أ. هيكل – ص ٤٥٨.

٩- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٩٢.

١٠- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٥٩ - ١٦٠.

١١- نفس المرجع – ص ١٥٦ – ١٥٧.

١٢- نفس المرجع – ص ١٤ – ١٥.

١٣- نفس المرجع – ص ٣١.

١٤- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٦٦.

١٥- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ٣٢ – السطر ١٠.

١٦- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٦٦.

١٧- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ٦٠.

١٨- نفس المرجع – ص ٣٤ السطر ٦ + ص ٣١.

١٩- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٦٧.

٢٠- نفس المرجع – ص ٦٦.

٢١- ناصر وعامر – أ. عبد الله إمام – ص ١٦٩.

٢٢- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٦٧.

٢٣- نفس المرجع – ص ٨٦.

٢٤- نفس المرجع – ص ٦٤ السطر ٣ + شاهد على حرب ٦٧ – الفريق الحديدي – ص ١١٢ السطر ٩.

٢٥- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٥٤ - ١٥٥.

٢٦- نفس المرجع – ص ١٥٥.

٢٧- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص٩٠.

٢٨- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٧٧.

٢٩- نفس المرجع – ص ١٥٥.

٣٠- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٠١ السطر ١٩.

٣١- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٦٠ - ١٦١.

٣٢- اعترافات قادة حرب ٦٧ – أ. سليمان مظهر – ص ٢١١ – ٢١٢.

٣٣- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٢٢.

٣٤- نفس المرجع – ص ١١١.

٣٥- نفس المرجع – ص ١٠٣.

٣٦- حروب مصر المعاصرة – اللواء عبد المنعم خليل – ص ٧٩ – ٨١.

٣٧- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١١٣.

٣٨- نفس المرجع – ص ١١٠ السطر ١٩.

٣٩- برنامج شاهد على العصر – تقديم أ. أحمد منصور – قناة الجزيرة – الحلقة (٤).

٤٠- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٠٥.

٤١- نفس المرجع – ص ١٠٥.

٤٢- نفس المرجع – ص ١٣١ – ١٣٢.

٤٣- نفس المرجع – ص ١٣٢ – ١٣٣.

٤٤- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٨٥.

٤٥- اعترافات قادة حرب يونيو – أ. سليمان مظهر ٤١.

٤٦- شاهد على حرب ٦٧ - الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٨٤
+ مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٢٨.

٤٧- ناصر وعامر – أ. عبد الله إمام – ص ١٥١.

٤٨- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٢٨ – السطر ٤.

٤٩- شاهد على حرب ٦٧ - الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٨٤ – ١٨٥.

٥٠- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٣٤ – السطر ٢٢.

٥١- الانفجار – أ. محمد حسنين هيكل – ص ١٠٦٨.

٥٢- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٣٠.

٥٣- مذبحة الأبرياء – أ. وجيه أبو ذكري – ص ٤٣٤.

٥٤- اعترافات قادة حرب يونيو – أ. سليمان مظهر – ص ١٩١.

٥٥- نفس المرجع – ص ١٩١.

٥٦- شخصية مصر – جـ ٢ – د. جمال حمدان – ص ٧٥٦.

٥٧- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٥٩.

٥٨- حروب مصر المعاصرة – لواء عبد المنعم خليل – ص ٩١.

٥٩- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٦٠.

٦٠- نفس المرجع ١٣٩.

٦١- الانفجار – أ. محمد حسنين هيكل – ص ٧٣٨.

٦٢- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٤٠.

٦٣- نفس المرجع – ص ٥٤ – ٥٦.

٦٤- اعترافات قادة حرب يونيو – أ. سليمان مظهر – ص ١٨٧ – ١٨٨.

الباب الرابع:

١- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٥٩ - ١٦٠.

٢- نفس المرجع – ص ١٥٣ السطر ٢٤.

٣- اعترافات قادة حرب يونيو ٦٧ – أ. سليمان مظهر – ص ٨٢.

٤- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ٢٠٠.

٥- الانفجار – أ. محمد حسنين هيكل – ص ٢٠.

٦- نجيب محفوظ – وطني مصر – حوارات مع محمد سلماوي – ص ٥٦ – ٥٧.

٧- ناصر وعامر – أ. عبد الله إمام – ص ١٧٣.

٨- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٩٢.

٩- ناصر وعامر – عبد الله إمام – ص ١٩٨.

١٠- الانفجار – أ. هيكل – ص ٨٣٦.

١١- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي – ص ١٩٥.

١٢- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – جـ ١ – ص١٦٦.

١٣- ناصر وعامر – عبد الله إمام – ص ١٩٢.

١٤- نفس المرجع – ص ١٨٩.

١٥- تحطيم الآلهة – د. عبد العظيم رمضان – ص ٣٥٣ -- ٣٦٥.

١٦- ناصر وعامر – عبد الله إمام – ص ١٩٨ – ١٩٩.

١٧- نفس المرجع – ص ١٩٨.

١٨- نفس المرجع – ص ١٨٢.

المراجـــع

١- مذكرات الفريق أ. محمد فوزي – حرب الثلاث سنوات ٦٧ – ٧٠ – الجزء الأول.

٢- شاهد على حرب ٦٧ – الفريق صلاح الدين الحديدي.

٣- حروب مصر المعاصرة – لواء عبد المنعم خليل.

٤- اعترافات قادة حرب يونيو ٦٧ – سليمان مظهر.

٥- أمن مصر القومي – العميد محمد حافظ اسماعيل.

٦- الفريق سعد الدين الشاذلي في برنامج شاهد على العصر لقناة الجزيرة – تقديم أ. أحمد منصور.

٧- الانفجار – أ. محمد حسنين هيكل.

٨- حرب من نوع جديد – أ. محمد حسنين هيكل.

٩- صراحة عن عبد الناصر – حوار مع محمد حسنين هيكل – فؤاد مطر.

١٠- شخصية مصر جـ ١، جـ ٢، جـ ٣، جـ ٤ – د. جمال حمدان.

١١- استراتيجية الاستعمار والتحرير – د. جمال حمدان.

١٢- يونيو بعد ٣٠ سنة – أ. لطفي الخولي.

١٣- تحطّيم الآلهة – د. عبد العظيم رمضان.

١٤- السياسة والجيش المصري – د. عبد العظيم رمضان.

١٥- مذبحة الأبرياء – أ. وجيه أبو ذكري.

١٦- النكسة.. من المسؤول؟ - محمد عودة و عبد الله إمام.

١٧- ناصر وعامر – عبد الله إمام.

١٨- عبد الناصر كيف يحكم مصر – عبد الله إمام.

١٩- هزيمة حزيران والغزو الفكري (بيروت).

٢٠- اغتيال مشير – قصة الصعود والهبوط – للكاتب إبراهيم سطوحي.

٢١- الصناعات العسكرية العربية – د. يزيد صايغ.

٢٢- صناعة الأسلحة في إسرائيل – أمين هويدي.

٢٣- لماذا تنشب الحروب؟ جرج كاشمان – ترجمة د. أحمد حمدي (جـ ١، جـ ٢).

٢٤- مفهوم التوازن الاستراتيجي من منظور عسكري – اللواء الركن أمين النفوري.

٢٥- مستلزمات الردع ومفاتيح التحكم في سلوك الخصم – د. ديفيد جارنم – ترجمة: مركز الإمارات والبحوث الاستراتيجية.

٢٦- حرب العدوان الثلاثي على مصر – هيئة البحوث العسكرية.

٢٧- الاستراتيجية وتاريخها في العالم، تأليف ح. ل. ليدل هارت – ترجمة الهيثم الأيوبي.
٢٨- الوجيز في الحرب – كارل فون كلاوز فيتر – ترجمة كرم ديري، والهيثم الأيوبي.
٢٩- دراسة في الاستراتيجية المصرية – يحيى الزيات.
٣٠- الحرية وتعدد الأحزاب في فكر الاشتراكية الديمقراطية – هالة أبو بكر + وحيد محمد عبد المجيد.
٣١- الشخصية الوطنية المصرية – د. طاهر عبد الحكيم.
٣٢- علم النفس الحربي – د. عبد الرحمن محمد عيسوي.
٣٣- علم النفس العسكري – د. عبد الرحمن محمد عيسوي.
٣٤- فلسفة العلم في القرن العشرين – د. يمنى طريف الخولي.
٣٥- شخصية مصر – د. نعمات أحمد فؤاد.
٣٦- وثائق في طريق عودة الوعي – توفيق الحكيم.
٣٧- نجيب محفوظ – وطني مصر: حوارات مع محمد سلماوي.
٣٨- قلت ذات يوم – توفيق الحكيم.
٣٩- النظم السياسية " الدولة والحكومة " – د. محمد كامل ليلة.
٤٠- مبادىء العلوم السياسية – د. بطرس بطرس غالي و د. محمود خيري عيسى.
٤١- مصر والدولة العثمانية – د. فطين أحمد فريد.
٤٢- اليابان – رؤية جديدة – تأليف باتريك سميث – ترجمة محمد زهران.
٤٣- تاريخ آسيا د. خيرى طلعت و د. محمد أبو الإسعاد.
٤٤- مذكرات مصطفى النحاس – دراسة وتحقيق أحمد عز الدين.
٤٥- شاهد على العصر – عمر بطيشة.
٤٦- ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الأول – أحمد حمروش
٤٧- مذكرات اللواء "عبد الفتاح أبو الفضل" كنت مديرا للمخابرات العامة
٤٨- الصامتون.. يتكلمون ـ سامى جوهر.
٤٩- عبدالناصر المفترى عليه... والمفترى علينا ـ أنيس منصور.
٥٠- ضباط يونيو يتكلمون ـ عصام دراز .
٥١- مصير الأسرار التى يحملها "شمس بدران" ـ وائل عبدالفتاح جريدة "الفجر" ـ العدد ١١٠- بتاريخ ١- ٧- ٢٠٠٧.
٥٢- خيرى رمضان – جريدة "المصرى اليوم" العدد ٢١١١ -بتاريخ ١- ٧- ٢٠٠٧.
٥٣- برنامج شاهد على العصر ـ قناة الجزيرة ـ تقديم أ. أحمد منصور – مع الفريق سعد الدين الشاذلى.
٥٤- برنامج الجريمة السياسية ـ قناة الجزيرة ـ مقتل "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان المسلمون.

ملاحق الكتاب

ملحق (أ) قرارات نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة*

أصدر المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في الساعة ١٢ ظهر يوم ١٩٦٧/٥/١٤ القرارات الآتية: -

أ- ترفع درجات استعداد القوات المسلحة إلى درجة الاستعداد الكاملة.

ب- يتم حشد القوات المسلحة فورًا على جبهة " سيناء " وتنفيذ الخطة الدفاعية " قاهر".

ج - إيقاف الدراسة بالمعاهد والمنشآت التعليمية.

د - قطاع غزة: تحتل قوات عين جالوت مواقعها، كما جاء في الخطة "قاهر" معتمدة على مواردها الذاتية، وتدعم بالوحدات الثقيلة المجهزة لها في العريش.

هـ - تجهيز عناصر فدائية لتنفيذ الخطة " فهد ٢ " بالنسبة للفدائيين داخل إسرائيل إغارات تدميرية.

و - ينسق العمل العسكري مع " سوريا ".

ز - القوات البحرية والجوية والدفاع الجوي، تبدأ تنفيذ الفتح الإستراتيجي للقوات كما هو وارد بالخطة "قاهر".

(*) نقلاً عن مذكرات فريق أ. محمد فوزي ج١ ص ١٠٢، ١٠٣.

ملحق (ب)

نص الأحكام في قضية "محاولة قلب نظام الحكم"

أصدرت محكمة الثورة أحكامها في المؤامرة في ٢٦ أغسطس ١٩٦٨ كالتالي:

١- شمس الدين علي بدران – الأشغال الشاقة المؤبدة.

٢- عباس عبد الوهاب رضوان – الأشغال الشاقة المؤبدة وإلزامه مع المتهم صلاح نصر متضامنين برد مبلغ عشرة آلاف وأربعمائة جنيه إلى خزانة الدولة.

٣- صلاح محمد نصر – الأشغال الشاقة المؤبدة وإلزامه برد مبلغ عشرة آلاف وأربعمائة جنيه للخزانة والأشغال الشاقة ١٥ سنة في التهمة الثانية وتغريمه ٢٥٠٠٠ جنيه.

٤- مقدم متقاعد جلال محمود هريدي – الأشغال الشاقة المؤبدة.

٥- لواء متقاعد عثمان محمود نصار – الأشغال الشاقة المؤبدة.

٦- مقدم أحمد عبد الله علي إسماعيل – الأشغال الشاقة ١٥ سنة.

٧- عقيد طيار محمد تحسين عبد العليم زكي – الأشغال الشاقة ١٥ سنة.

٨- رائد متقاعد حسين عبد الله مختار – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.

٩- عقيد محمد حلمي عبد الخالق – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.

١٠- رائد طيار محمد منيب الحسامي – الأشغال الشاقة ٧ سنوات.

١١- رائد محلي سعيد عثمان مصطفى – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.

١٢- نقيب محمود مدحت فتحي الريس – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.

١٣- لواء متقاعد أحمد فؤاد عبد اللطيف علوي – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.

١٤- عميد طيار متقاعد محمد أيوب – انقضاء الدعوى لوفاته.

١٥- عميد متقاعد أمين عبد العال يوسف – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.

١٦- عقيد متقاعد جمال الدين قاووق – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.

١٧- لواء سعد محمد عثمان – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.

١٨- مقدم أحمد حلمي ابراهيم – السجن ٣ سنوات.

١٩- مقدم مسعد محمد جاب الله الجنيدي – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.

٢٠- مقدم كمال الدين محمد جعفر – براءة.

٢١- نقيب إسماعيل محمود حمدي – السجن ٣ سنوات.
٢٢- عقيد طيار علوي عبد العظيم الغمري – الأشغال الشاقة ٧ سنوات.
٢٣- رائد طيار عبد الكافي صبحي أحمد حسن – السجن ٣ سنوات.
٢٤- رائد طيار حشمت فريد صدقي – براءة.
٢٥- رائد طيار أحمد عبد الرحمن نصر – الحبس مع الشغل سنة واحدة.
٢٦- رائد عبد السلام فهمي محمود – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.
٢٧- نقيب فاروق إبراهيم يحيى – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.
٢٨- رائد أحمد محمد أبو نار – الأشغال الشاقة ١٠ سنوات.
٢٩- رائد أحمد محمد جاب الله الجنيدي – السجن ٣ سنوات.
٣٠- نقيب محمد فتح الله سيد أحمد – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.
٣١- نقيب مختار حسين أحمد الفار – الأشغال الشاقة ٧ سنوات.
٣٢- رائد محمد عبد اللطيف البسيوني – السجن ٣ سنوات.
٣٣- رائد سمير حسين علي يوسف – براءة.
٣٤- نقيب محلي إسماعيل حسين مبارز – براءة غيابيًا لعدم حضوره لمرضه.
٣٥- رائد فاروق شكري عبد السلام – السجن ٣ سنوات.
٣٦- رائد محمد سمير محمود فهمي – السجن ٣ سنوات.
٣٧- نقيب علي عثمان سليمان – براءة.
٣٨- ملازم أول شرف إمام حسين – السجن ٣ سنوات.
٣٩- نقيب عبد الله محمد شرقاوي – براءة.
٤٠- نقيب علي محمد شوقي علي شحاته – السجن ٣ سنوات.
٤١- نقيب فاروق محمد عبد الحميد علي – الأشغال الشاقة ٥ سنوات.
٤٢- ملازم السيد محمود بدر محمد عباس – الحبس مع الشغل سنة.
٤٣- عقيد محمود أحمد طنطاوي – براءة.
٤٤- رائد طيار عمر حلمي علي – براءة.
٤٥- رائد طيار نبيل فريد شكري – براءة.
٤٦- نقيب مصطفى إبراهيم شحاته – الحبس مع الشغل سنة.
٤٧- رائد محمد محمد شحاته غراب – براءة.
٤٨- نقيب حسن محمد عزت السرجاني – براءة.

٤٩- رائد شرف حسن ابراهيم محفوظ – براءة.

٥٠- مساعد سيد مطاوع أحمد – الحبس مع الشغل سنة.

٥١- عميد متقاعد يحيى محمد زكي صالح – براءة.

٥٢- نقيب محمود ابراهيم النشوقاتي – الطرد من الخدمة في القوات المسلحة.

٥٣- ملازم أول محمود محمد الاسكندراني – الطرد من الخدمة في القوات المسلحة.

٥٤- رائد محمود حسن ربيع – الطرد من الخدمة في القوات المسلحة.

٥٥- رقيب أول حسن يوسف حسن – براءة.

وتصدّق من الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٦٨/٨/٢٢.

ملحق (ح)

رسالة * من كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة إلى المشير عبد الحكيم عامر

يا عبد الحكيم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ، ،

كلمة صريحة... وأخيرة لن تتزعج بعدها...

يا عبد الحكيم... لم أجد بُدًا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث، وإن كنت قد ترددت كثيرًا في الكتابة لك ؛ فإني حين نويت لم أتردد قط في أن أكون صريحاً.

اليوم أصبحت يا عبد الحكيم... أعتقد أنه لا حياة لي في بلدي الذي أصبحت أرى فيه جزاء لكلمة: "إتق الله" هو ما أنا فيه... وما أهلي فيه...

عندما قلت لكم "إتقوا الله".. قصدت أن تتقوا الله في هذا الشعب، الذي قمنا لخلاصه واسترداد حريته.

قلت لكم "إتقوا الله".. بعد أن ألجمتم جميع الأفواه ؛ إلا أفواه المنافقين.. والمتزلفين.. والطبالين.. والزمارين..

قلت لكم "إتقوا الله" في الحرية التي قضيتم على كل ما كان باقيًا من آثارها... وكنا نأمل أن تتفتح لها براعم نامية.. نطمئن حين نمضي من هذه الدنيا، أننا قد أدينا أمانتنا ، فنترك بعدنا هذه البراعم ؛ وقد نضجت وأصبحت قوية قادرة على الصمود...

قلت لكم "إتقوا الله".. لأنكم أردتم استعاج هذا الشعب.. وأنا لم أكن أرضى ذلك ؛ ولذلك أصبحت لا أطيق الحياة في هذا الجو الخانق، وأرجو أن يتيسّر لك معرفة درجة الاختناق في هذا الجو ، وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم، فإذا كانت قد بقيت لكم بقية من أخوة

(*) الصامتون يتكلمون – سامي جوهر – المكتب المصري الحديث ص ٧٨ – ٧٩ – ٨٠ – ٨١.

كانت بيننا يومًا من الأيام... فأني لا أطلب سوى أن أخرج أنا ومن يُريد من أسرتي التي نالها أيضًا نصيب وافر من إجراءاتكم... إلى السعودية لأبقى إلى جوار رسول الله ؛ حيث أقضي ما بقى من حياتي مخلصًا لها ، حيًا لنفسي وديني لله... فاليوم يُمكنني أن أرى صورة المستقبل لهذا الوطن... بعدما كان جزائي أنا : "الندم" على كلمة الحق " إتق الله " ما أنا فيه.

وأنت تعلم يا عبدالحكيم... أنكم لن يمكنكم أن تكبلوا روحى... وإن اعتقلتم جسمى... أنت تعلم يا عبد الحكيم... أنكم لا تملكون أى حق شرعى فيما قمتم به نحوى ؛ إلا حق الديكتاتورية والطغيان... إذا جاز أن يكون لها حق...

أنت تعلم يا عبد الحكيم... أنكم إذا لم تتقيدو بشرع تجاهى ؛ فالناس يعلمون.. ومن زمن.. أنكم غير مقيدون بشرع تجاههم... وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤؛ فإنهم سيعرفون معناه جيدا الآن.

أنا آسف أن تتحول ثورة الحرية إلى ثورة إرهاب... لا يعلم فيها كل إنسان مصيره ؛ لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه... فإذا قيل لى إو للناس: " أن هناك مفهوما آخر للحرية "؛ فهذا هو التضليل... وحكم الهوى الذى يضل به الشيطان أولياءه ؛ لينسوا شرع الله وشرع الإسلام، الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العبد... إلى عبادة رب العباد...

حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء... امام الله... وأمام الشرع والحكم الإلهى، الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران.

يا عبد الحكيم... مهما كانت التفاسير والشعارات... فالحرية هى الحرية التى عبر عنها عمر ابن الخطاب حين قال: " متى استعبتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "... وحين قيل له: " اتق الله "... قال: " لاخير فيهم إذا لم يقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها ".

ياعبد الحكيم.. إننى لن أستعطف أحدا... ولن أخاف إلا الله...

وأنا حين أكتب إليك الآن، فإننى لاأطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الأرض، التى يئست أنتقال فيها كلمة حق... فضلا عن أن يقام فيها ميزان عدل... وإن أبيتم على ذلك ؛ فإن ولى هو الله... عليه أتوكل وإليه أنيب... وإنا لله وإنا إليه راجعون...

أنت تعلم يا عبدالحكيم... حينما جئتنى فى مارس ١٩٦٥ وقلت لك: "إننى مستعد للإعتقال أوالقتل... أو أى شىء آخر "... قلت لى: " إعتقال إيه يا شيخ... والله أنا اللى بيجى يعتقلنى أضربه بالرصاص "... أنا فكرت فى هذا... ولكنى لم أستصوبه لأن هذا ينافى إيمانى..

وجاء يحدثنى "هلال" * كرجل وعلى لسان رجل أو رجال ... ومع ذلك كانت النتيجة: " أنفتش بيتى وحجرة مكتبى... وقة ورقة... وحجرة نومى.. وعائلتى... وحتى ملابسى ومتعلقات السيدات... واعتقل أهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ... وأنا لاأعرف مصيرهم حتى الآن... تمام كما لايعلم أحد من أفراد الشعب سبب.. أومكان.. أومصيرأى شخص يعتقل منهم... وإذا مات أحدهم لأى سبب... يكتفى بأن يخطر أهله بأنه قد هرب.. أوأنه قد دفن فى مكان كذا وتحت رقم كذا .. مجرد رقم .. كان إنسانا حيا فأصبح رقما مدفونا...

يا عبد الحكيم... إن ما قمتم به نحوى جريمة... تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين... طبعا مع تغيير فى الشكل...

وكانت الرجولة يا عبد الحكيم... تقتضى أن يواجهنى واحد منكم... لأعلم منه ماذا جرى ... لماذا انطبقت السماء على الأرض من كلمة حق..تصيح فيكم : " أن إتقوا الله ".

ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة... واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا... ولايكبل ضميرا حيا... ولا يئد

(*) "هلال": هو الفريق أ. هلال عبد الله هلال مساعد القائد العام المشير عبد الحكيم عامر ومن أهم أعضاء "شلة المشير".

إيمانا وتقوى... ولكن يورث النفس مرارة وأسف... فإذا لم يواجهنى أحد منكم ؛ فلماذا لا أواجهه بمحكمة شرعية... على الأقل لأعرف ماهى التهمة الموجهة لى؛ مادام قد أصبح أمرا طبيعيا.. فى زمن الحرية.. أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم... دون أن توجه لهم تهمة...

أنا أتحدى أى إتهام... وأنا أتحدى أن يواجهنى أحد بأى اتهام يبرر ما حدث... طبعا إننى أخرج من حسابى عمليات التلفيق ؛ لأننى مازلت أنكر عليكم اللجوء مع مثلى لمثل ذلك. يا عبد الحكيم... ألم أقل لك فى مارس الماضى: " ما هى ضمانات الحرية؟ "... قلت لى: " نحن ضمانات الحرية "... وقلت لك: " أنى لا أثق فى ذلك "... وهذه الأيام تأتينى بالبرهان...

ألم أقل لك يومئذ إذا لم تتنازل عن تألهك... وفرديتك... فلا فائدة للعمل معك... فهل يا ترى هذا الذى جرى عند مواجهتك بكلمة: " إتق الله " هى دليل هذا التنازل ؟...

كلمة صريحة أقولها لك يا عبد الحكيم أنا أرثى لهذا الحال... ومع ذلك أتمنى أن يهديكم الله... لاتغضب... وراجع نفسك... ولايغلبك الهوى والغرض... راجع ضميرك... قبل ثورة ٢٣ يوليو... وعلى مدى سنين من هذه الثورة... ثم أنظر أين ينتهى بكم الطريق... طريق الحرية... أقدس ما منح الله للأنسان...

يجب أن تعلم يا عبدالحكيم... رأى الناس فيكم.. وما يحسونه نحوكم.. لقد أصبحتم ويا للأسف فى نظر الشعب جلاديه... نتيجة تدعو للرثاء.. وحصاد مر لثورة ٢٣ التحررية الكبرى.. تتجرعه الملايين المستزلة، بعدما وضعت فى تلك الثورة وقياداتها آمالها وأعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير... على الحرية.. ولكن أين الأمانة الأن؟.. " والله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ".. " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "... لقد بددت الأمانة.. ووئدت الحرية.. ونعيش هذه الأيام وكأنها فى ليل لا يبدد له فجر.

يا عبد الحكيم لاتتصور إنى مبتئس لما جرى... ولكننى حقيقة أشعر بالأسف وأقول: " يا حسرة على الرجال... ويا خسارة على رجال الثورة "... وأشعر بذنب واحد وهو: "أن ثقتى الغير محدودة فيكم، مكنت للطغيان أن يسلب هذا الشعب حريته.. وكرامته.. وانسانيته.. ومهما كانت الشعارات الزائفة التى تردد والادعاءات التى تقال... فالناس جميعا يعرفون حقيقتها.

... والسلام .

إمضاء

كمال الدين حسين

١٩٦٥/١٠/٥

****

تُرى... أكان كمال الدين حسين يرسل هذا الخطاب إلى المشير عبد الحكيم عامر- وهو عضو مجلس قيادة الثورة الذي يعلم كل خفايا وأسرار الدولة - إلا إذا كان يعلم علم اليقين بأن أمر الديمقراطية والحريات كانت في يد المشير عامر وشلته، وأن عبد الناصر لم يكن يملك من هذا الأمر شيئا؟

الفهرس

رقـم الإيــــداع

٢٠٠٨/١٠٧٠٦

الترقيم الدولي I. S. B. N. 977-209-171-2

رقم الإيداع

٢٠٠٨ /١٠٧٠٦

الترقيم الدولي I. S. B. N. 977-209-171-2

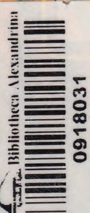
المصادر التي اعتمد عليها البحث

في سير أحداث العمليات الحربية لحرب ٦٧

قام السيد الرئيس محمد حسنى مبارك برئاسة لجنة تسجيل ثورة ١٩٥٢، حينما كان سيادته نائبًا لرئيس الجمهورية، وذلك للتحقيق في أحداث حرب ٦٧، وحتى تكون النتائج التي تتوصل إليها اللجنة هي أدق وأصدق معلومات عن حرب ٦٧، التي يتحتم أن يعتمد عليها جميع الباحثين والمحللين والمؤرخين - وقد تم نشر جزء منها في كتاب "اعترافات قادة حرب يونيو ٦٧" للكاتب سليمان مظهر - وهو الأمر الذي فرض علينا الالتزام بهذه المعلومات في هذا البحث باعتبارها المعلومات المعتمدة والموثقة رسميًا من الدولة.



- عبد العزيز البتشتي
- مواليد محافظة قنا
- تخرج من الكلية الحربية في ١٩٦٧/١٢/٦
- عمل بوحدات الصاعقة والمشاة
- ترقى إلى رتبة "العقيد" وأحيل إلى التقاعد في ١٩٨٥/١/٢



المكتب المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com
القاهـرة: ٢٠٢/٢٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٢٠٣/٤٨٤٦٦٠٢